مركز تحقيق التراث

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣هـ

الجزء الثلاثون

تحقيق

د. محمد عبد الهادي شعيرة

مراجعة

د. محمد مصطفى زيادة



١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

أشرف على الطبع والتصحيح

أحمد صلاح زكريا

الباحث الأول بمركز تحقيق التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا هو الجزء الثلاثون من نهاية الأرب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى ، وهو يقابل الجزء الثامن والعشرين بتقسيم المؤلف .

ويبدأ هذا الجزء بذكر أخبار السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى (سنة ثمان وخمسين وستمائة) وينتهى بذكر وصول السلطان الملك السعيد ناصر الدين إلى قلعة الجبل ، وما كان من أمره إلى أن انخلع من السلطنة ، وتولية أخيه السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش من بعده ، إلى أن تم خلعه (سنة ثمان وسبعين وستمائة) .

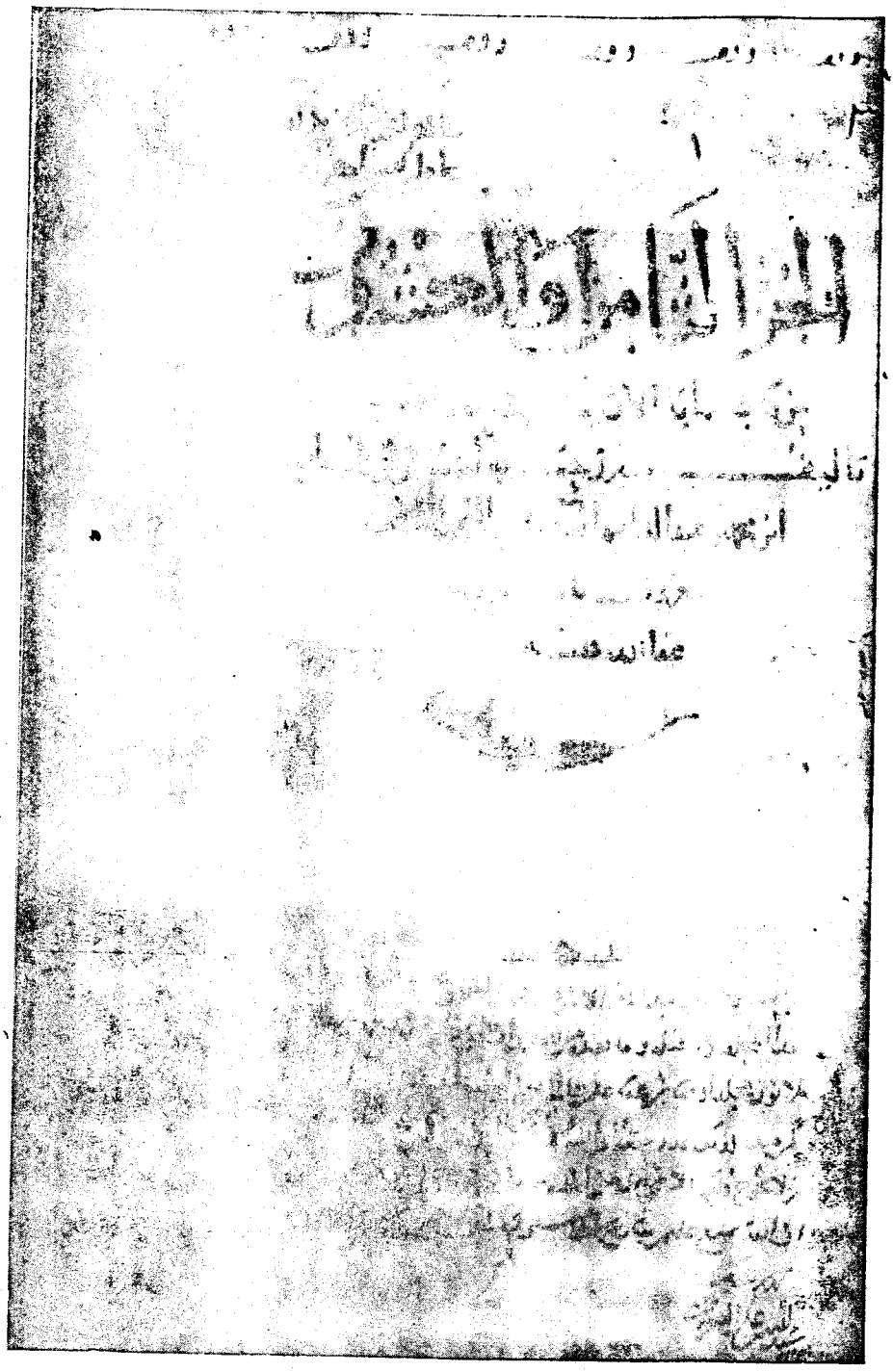
وقد اعتمد المحقق والمراجع — رحمهما الله — فى تحقيق هذا الجزء على نسختين :

الأولى : نسخة أيا صوفيا وهى نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٥١ معارف عامة وقد رمز لها بالحرف (ا) واعتبرت أصلا .

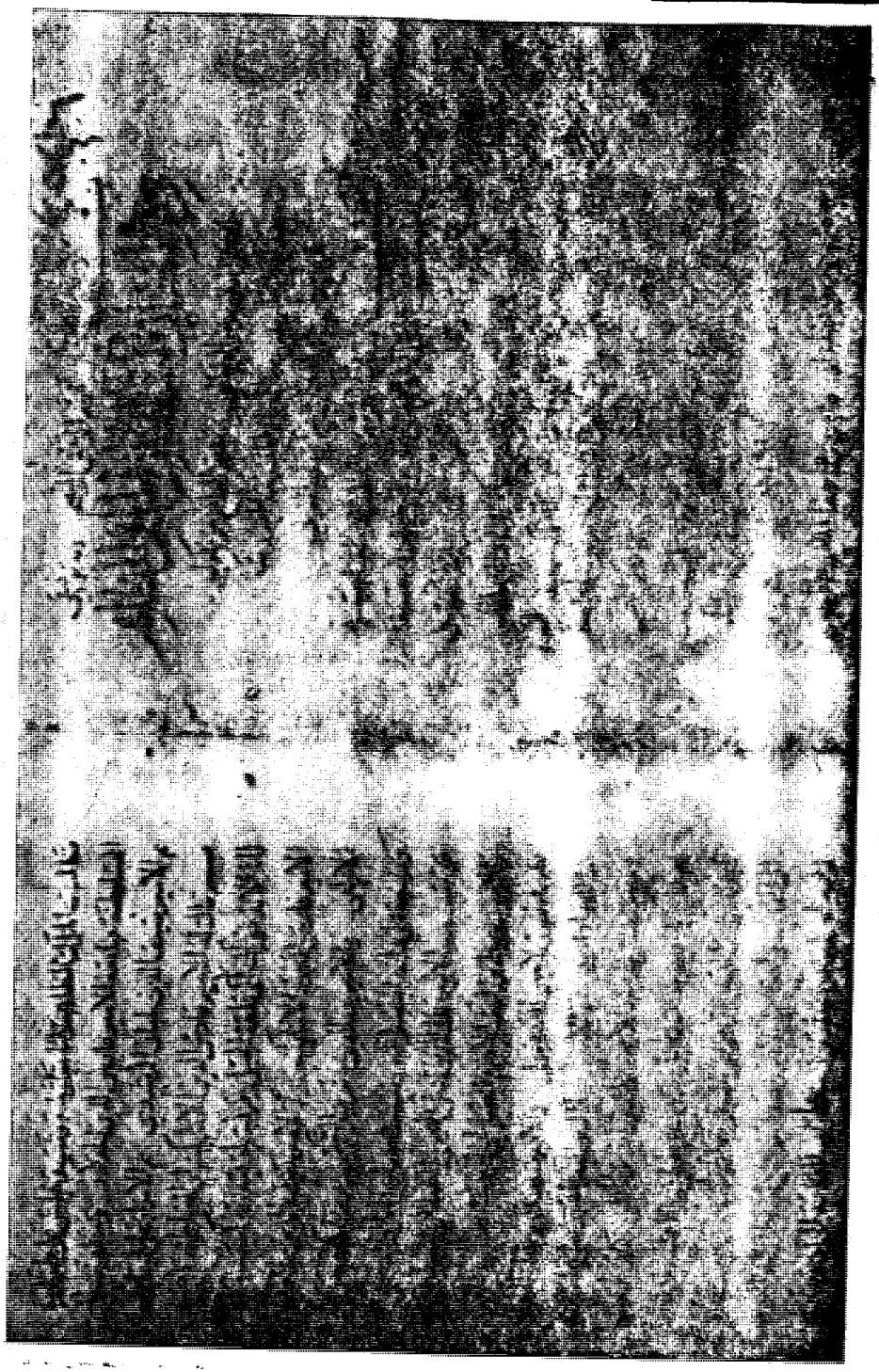
الثانية : نسخة كوبريلى وهى نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة وقد رمز لها بالحرف (س) .

نسأل الله التوفيق والسداد ،

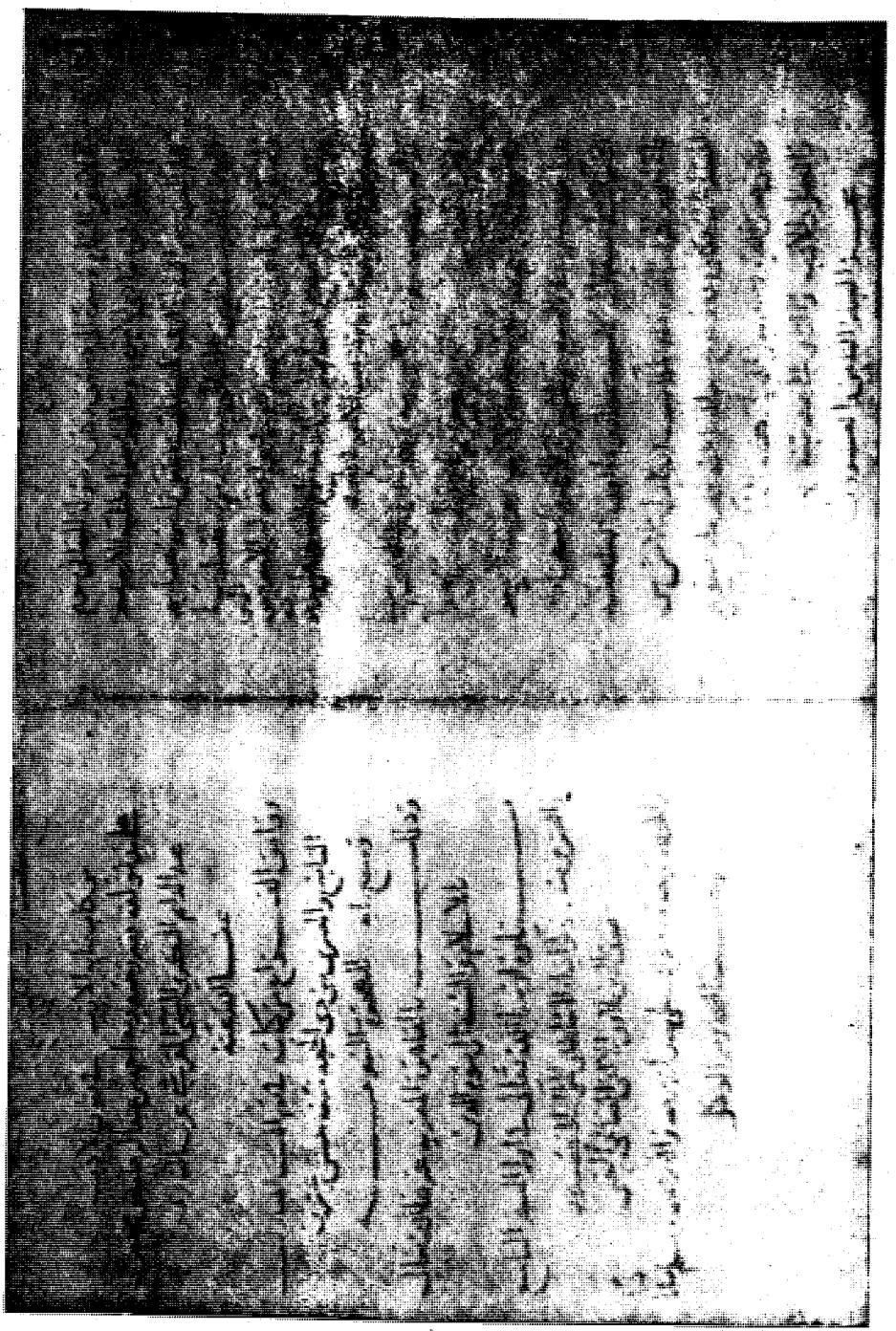
مركز تحقيق التراث



صفحة العنوان من النسخة (١)



الصفحة الأولى من النسخة (أ)



الصفحة الأخيرة من النسخة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيق

[سنة ثمان وخمسين وستمائة]

ذكر أخبار السلطان الملك الظاهر

ركن الدين بيبرس الصالحى

وهو الرابع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية المحروسة، وهو تركى الجنس من قبيلة البرلى ، ملك الديار المصرية والبلاد الشامية فى يوم السبت المبارك الخامس عشر من ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكان ذلك بمنزلة القصير[1] من منازل الرمل، فى اليوم الذى قتل فيه السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى .

وذلك أنه لما قتل الملك المظفر ساق الأمراء إلى الدهليز ونزلوا به ، وجلسوا كلهم دون طراحة السلطنة ، وتشاوروا فيمن يملكونه[2] عليهم ، فوقع اختيارهم عليه . ويقال إن الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب الصالحى الأتابك قال فى ذلك المجلس : « ينبغى ألا يلى السلطنة إلا من خاطر بنفسه فى قتل السلطان وأقدم على هذا الأمر العظيم » فقال الملك الظاهر : « أنا قتلته » ووثب وجلس

---

(١) المقصود قصير الصالحية ، وهى على مرحلة من مدينة الصالحية الحالية واسمها اليوم قرية الجمافرة بمركز فاقوس ، راجع النجوم (ج ٧ ص ١٠١ ، ص ١٢ — ١٥) .

(٢) فى الأصل ، وفى نسخة (ص) : يملكوه .

على طراحة السلطنة ، فبايعه الأمير فارس الدين المذكور ، وحلف له ، ثم الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، ثم الأمراء على طبقاتهم . ثم قال له الأمير فارس الدين الأتابك : « إن السـلطنة لا تـتم لك إلا بدخولك إلى قلعة الجبـل » ، فركب لوقته ، وركب معه الأمير فارس الدين الأتابك ، والامير سيف الدين قلاون الألفى ، والأمير بدر الدين بيسرى[1] الشمسى ، ومماليكه وخواصه .

وتوجه [بيبرس] إلى قلعة الجبل ، ورتب فى مسيره إليها أرباب الوظائف : فرتب الأمير جمال الدين أقش[2] النجيبى الصالحى استاد دارا[3] ، والأمير عز الدين أيبك الأفـرم الصالحى أمير جاندار ، والأمـير حسام الدين لاجين الدرفيل ، والأمير سيف الدين بلبان الرومى فى الدوادارية ، والأمير بهاء الدين أمير آخور على عادته . ولقيـه فى طريقه الأمير عز الدين أيدمر الحـلى ، وكان ينوب عن الملك المظفر بقلعة الجبل ، وقد خرج لتلقيه ، فأعلمه الملك الظاهر بمـا اتفق ، وعرض عليـه أن يحلف ، ثم تقدم [أيدمر] إلى القلعـة واجتمع بمن بهـا ، ووعدهم عن السلطان المواعيد الجميـلة فأجابوه ، ولم يزل على باب القلعة إلى أن وصل السلطان إليها ، فدخلها ليلا وتسلمها .

ويقال إنه لمـا ملك [بيبرس] تلقب بالملك القاهر ووصل إلى قلعـة الجبل ولقبه ذلك ، فأشار الصاحب زين الدين بن الزبير بتغيير هـذا اللقب ، وقال إنه ما لقب به أحد فأفلح : لقب به القاهر بن المعتضد فلم تطل أيامه وخلع وسمل .

---

(١) هذا الضبط منقول عن السلوك (جـ ١ ، ص ٤٠٥) .

(٢) كذا فى الأصـل بغـير ضبط أما صاحب النجوم (جـ ٧ ص ١٥٥) فإنه يرسم الاسم بالواو (أقوش) .

(٣) كذا فى الأصل دائما .

ولقب به القاهر صاحب الموصل فمم . فنقل السلطان لقبه إلى الملك الظاهر والله أعلم .

قال المؤرخ[(١)] وكانت القاهرة ومصر قد زينتا لقدوم الملك المظفر ، والناس فى سرور لمقدمه إثر هذا النصر العظيم[(٢)] ، فلم يرعهم إلا ومناد ينادى : « معشر الناس ، رحمكم الله ، ترحموا على الملك المظفر ، وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر ركن الدين » فوجم الناس لذلك ، وتألموا خوفا من شدة البحريه وما كانوا[(٣)] يعتمدونه من الظلم والسلطنة فى غيرهم ، فكيف وقد صارت فيهم . فعاملهم السلطان بما سرهم به ، وهو أن الملك المظفر كان قد جدد على الناس حوادث[(٤)] فى سنة ثمان وخمسين وستمائة : منها تصقيع الأملاك وتقويمها وأخذ زكاتها ، وأخذ ثلث التركة الأهلية ، ومضاعفه الزكاة ، وجباية الدينار من كل إنسان ، ومبلغ ذلك ستمائة ألف دينار . فأبطل السلطان [بيبرس] ذلك ، وكتب به توقيعا قرئ على المنابر ، فطابت قلوب الناس .

قال : ولما أصبح السلطان [بيبرس] فى يوم الأحد جلس بالإيوان بقلعة الجبل وحلف العساكر لنفسه ، واستناب مملوكه الأمير بدر الدين بيليك الخزندار[(٥)]

---

(١) المؤرخ المقصود هنا هو محى الدين بن عبد الظاهر مؤلف السيرة الظاهرية برغم عدم ذكر اسمه ذلك أن النويرى ينقل عن هذه السيرة الظاهرية دون التقيد باللفظ حتى إذا نقل عن غيرها نبه إلى ذلك .

(٢) الإشارة هنا إلى وقعة عين جالوت .

(٣) فى الأصل « كأنه » وما هنا من النسخة « س » .

(٤) الحوادث هنا بمعنى الضرائب الطارئة (انظر دوزى) .

(٥) كذا فى الأصل دائما .

وأقر الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب فى الأتابكية .

وكاتب الملوك والنواب والأمراء بالممالك الشامية يخبرهم بما جدده الله تعالى له من أمر السلطنة ، ويطلب منهم بذل الطاعة والموافقة .

واستهلت سنة تسع وخمسين وستمائة

فى هذه [السنة] كان للسلطان فى ابتداء سلطنته أخبار متشعبة متباينة : منها ما هو فى حضرته بمقر ملكه بالديار المصرية ؛ ومنها ما هو بدمشق ، ومنها ما هو بحلب ، وكل ذلك فى هذه السنة ، وبعضه فى أواخر سنة ثمان وخمسين .

وقد رأينا أن نبدأ من ذلك بما كان فى مقر مملكته فى بعض هذه السنة خاصة ، ثم نذكر ما كان بدمشق وحلب من الحوادث والوقائع إلى أن استقرت قواعد سلطنته وتأكدت أسباب دولته ، ثم نذكر ما يشمل المملكة عموما ، ثم نذكر بعد ذلك ما اتفق [له] من الأحوال ، وما رتبه من الأمور ، وما أمر به من العمائر والأوقاف وغير ذلك بمصر والشام ، ونذكر الأخبار والوقائع على حكم السنين نقدم ما قدمه التاريخ ونؤخر ما أخره .

لا نستثنى مما نورده من أخبار دولته إلا الغزوات والفتوحات : فإنا نذكرها مفردة ، ونختم بها أخبار دولته ، فإنها من الفتوحات الجليلة والغزوات المشهورة فأحببنا إيرادها فى موضع واحد ، لئلا تنقطع بغيرها من أخباره ، على ما نقف على ذلك إن شاء الله تعالى .

فأما ما كان من الأخبار والحوادث فى مقر ملكه بالديار المصرية

فمن ذلك ركوب السلطان من قلعة الجبل فى يوم الأثنين سابع صفر من السنة بشعار السلطنة ، وساق خارج المدينة إلى باب النصر ودخل منه ، وشق القاهرة وخرج من باب زويلة إلى قلعة الجبل ، والأمراء وأعيان الدولة مشاة فى خدمته .

ومنه تفويض وزارة الدولة إلى الصاحب بهاء الدين .

ذكر تفويض الوزارة إلى الصاحب الوزير بهاء الدين علي بن القاضي سديد الدين أبي عبد الله محمد بن سليم المعروف بابن حنا

في هذه السنة ، فوض السلطان إليه وزارة دولته ، وخلع عليه ، وركب في خدمته الأعيان والأكابر ، والأمير سيف الدين بلبان الرومي الداودار ، وجماعة من الأمراء ، وذلك في يوم الأثنين ثامن شهر ربيع الأول وقيل ثانية ، وتمكن [الصاحب بهاء الدين] من السلطان ودولته تمكنا عظيما . وحكى لي بعض الأكابر الثقات [أن] الصاحب بهاء الدين رأى في منامه قبل وزارته أنه ذبح السلطان الملك الظاهر ، فقصّ ذلك على من يثق به ممن له معرفة بالتعبير ، فقال له : « تتمكن منه تمكن الذابح من المذبوح » . وكان منه في أقرب منزلة وأعز مكانة .

ذكر القبض على جماعة من الامراء المُعزِّية

وفي شهر ربيع الأول أيضا ، قبض السلطان على جماعة من الأمراء المعزية وسبب ذلك أنه حضر إلى السلطان أحد أجناد الأمير عز الدين الصيقلي[1] وأنهى أن مخدومه فرق جملة من الذهب على جماعة ، وقرر معهم الوثوب على السلطان وقتله ، وكذلك الأمير علم الدين الغُنمي ، والأمير سيف الدين بهادر المعزي ،

(١) كذا في الأصل ، وفي النجوم (جـ ٧ ص ١٠٧) الصقلي .

والأمير شجاع الدين بكتوت وغيرهم . فقبض عليهم ، ثم قبض على الأمير بهاء الدين بغدى[1] الأشرفى ، فى شهر ربيع الآخر ، واعتقله فلم يزل فى اعتقاله حتى مات .

ذكر تفويض قضاء القضاء بالديار المصرية لقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز

وفى هذه السنة فوض السلطان الملك الظاهر قضاء القضاة بالديار المصرية لقاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الأعز خلف بن بنت الأعز[2] ، وعزل قاضى القضاة بدر الدين السنجارى[3] ، وعوق عشرة أيام ، ثم أفرج عنه وعطل عن الحكم .

ونسخة التقليد السلطانى : « لقاضى القضاة تاج الدين » ومثال العلامة الظاهرية عليه بعد البسملة : « المستعلى بالله » .

« الحمد لله الذى أنار مطالع الهدى ، وصان ما ابتذل من الأمور التى ما أهملت سدى ، وألبس الشريعة المطهرة ثوبا من الشرف مجددا ، وأعلى منارها بمن أضاءت مساعيه ، فلو سرى بها الركب لا هتدى » .

---

(١) مضبوط هكذا بالأصل ، ويذكر صاحب النجوم (جـ ٧ ص ٤٣) أنه كان يشغل وظيفة مقدم الحلقة وقتذاك .

(٢) أورد ابن تغرى بردى فى النجوم (جـ ٧ ص ٤١ حاشية ٣) هذا الاسم كاملا كالآتى : أبو محمد عبد الوهاب بن القاضى الأعز خلف بن بنت الأعز بن محمود بن بدو بن أبى محمد العلامى الشافعى .

(٣) فى النجوم (جـ ٧ ص ٤٣ حاشية ٢) أنه يوسف بن الحسن على السنجارى والنسبة إلى سنجار بشمال العراق .

« أحمده على نعم توالى هطل غمامها ، ومنن أضحت متناسقة عقود نظامها » .

« والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى عزت به أمور الإسلام بعد اهتضامها ، وعلى آله وأصحابه الذين أضحت بهم عرى الدين الحنيف وثيقة بعد انفصامها .

وبعد ، فلما كان المجلس السامى ، القاضى الأجل ، الصدر الكبير ، الإمام العالم ، الفقيه الفاضل ، المختار المرتضى ، الصاحب تاج الدين ، عز الإسلام ، مجد الأنام ، شمس الشريعة ، مفتى الفرق ، رئيس الأصحاب ، ذخر الملوك والسلاطين ، قاضى القضاة عبد الوهاب بن خلف ، أدام الله سعادته ونعمته ، ممن أحرز فى الفضايل قصب سبقه ، ووصل سح[1] غمامه فى العلوم الشرعية ببرقه واجتنى ثمارها الدانيه القطوف ، واجتلى أقمار معانيها التى لا تتوارى عنه بالسجوف[2] وسلك سهيلا من العفاف أضحى به وحيدا منفردا ، ومارس أمور الشريعة فتقف منها أودا ، وأعمل فكرته الصافية فحلل منها عقدا ، وأنعم نظره فيها فأوضح له من الضلال رشدا .

رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى ، زاد الله فى علائه ، وضاعف مواد نفاذه ومضائه[3] أن يفوض إليه الحكم العزيز بجميع الديار المصرية المحروسة ، لما علم فيه من فضل مازالت ثماره تجتنى ، ومساع حميدة

---

(١) فى الأصل : « السخ » بالخاء المعجمة ، وهو خطأ والراجح أنه السح بالحاء المهملة بمعنى السيل والصب والانهمار (القاموس المحيط) .

(٢) كذا فى الأصل . والسجوف جمع ، مفرده السجف بفتح السين أو كسرها وهو الستر (القاموس المحيط) .

(٣) فى الأصل « مضايه » . والناسخ من عادته دائما تليين الهمزات .

ما برح بها إلى الخلائق محسنا ، ودين متين يشيد من أمور الآخرة ما بنا ، وسؤدد مازال فيه وفى بيته مستوطنا ، وأوصانى جميلة خصته بنباهة أضحى بها متقدما وآراء مسددة أضاءت من سبل الرشاد ما كان مظلما ، ونزاهة مازالت له خلقا لا تخلقا ، وعفاف ما برح منه مثريا لا معلقا .

فليباشر هذا المنصب الذى أضحى ظل شرفه وارفا ، وكعبة حرمه التى يتوجه إليها من كان باديا أو حاكفا ، عاملا فيه بالتقوى التى يحافظ عليها مسرا ومعلنا ، ويتمسك بأسبابها إذا صد عنها غيره وانثنى ، فهى المعقل الذى لا يستباح له حمى ، والمقام الذى يجد الخائف أمنه فيه محققا لا غيبا مُرَجَّما (١) ، والعصمة التى تنجى من العطب ، والمركب الذى تجد به الأنفس راحتها الكبرى بعد التعب .

وليول من القضاة من يحيى من الحق سننا ، ويميت من الباطل بدعا ، ويكون رجاؤه بالاخرة متصلا ، ومن الدنيا منقطعا ، ليرجع به سبيل الحق بعد ضيقه متسعا ، وشمل الباطل بعزيمته مفترقا لا مجتمعا .

وليتفقد أمر العدول الذين أضحوا على الحقيقة عدولا عن المنهج القويم ، راغبين عن المحامد بما يأتونه من كل وصف ذميم . ولا يترك منهم إلا شاهدا كان عن المعايب غائبا أو متورعا ، لا يعتمد من الأمور إلا ما كان واجبا ، لتسلم عدالته من وصمة التجريح ، وتظهر مساعيه التى تذلل له من العلا كل جموح .

وأموال الأيتام والأوقاف فلا يباشرها إلا من كان لمباشرتها أهلا ، ومن تحقق أنه يكون عليها قفلا . فطالما ابتذلت أيدى الخونة منها مصونا ، وجعلت

(١) فى الأصل ، « عيبا مركا » والتعديل يقتضيه السياق المألوف ؛

العين منهـا أثرا حين مدت إليها عيونا . ولا تخلها من نظر يحفظ منهـا مضاعا ويحسم عنها أطماعا، ويخصها بمزية الزيادة بعد النقصان، ويكتب لها من مخاوف الخونة كتاب أمان .

فقد قلدناك هذه الأحكام التى ترجـو بك الخلاص من تبعاتها ، ورعينا بك حق الرعية ، فلا تخل أمورهـم من مراعاتها ، وامضى عزيمتك فى إقامة منار الشريعة بعـد القمود ، واعل همتك فى نظم ما تبدد له من العقود . واجتهد فى أمره الاجتهاد الذى يرقل منـه فى ضافى البرود ، ومتع الخـلائق بأيام بيض من أحكامك غير سود ، ففيك من السؤدد ما ينقاد به المفاخر ، ومن الأوصاف الجميلة ما تتميز به على الأوائل وأن جئت فى الزمن الآخر .

وقد قررنا لك من الجامكية والجراية نظير ما كان مقررا لمن تقدمك ، وهو فى كل شهـر أربعون دينارا صرف أربعين وستمائة وستة وستون درهما ناصرية وثلثان وخمسة وعشرون أردبا غلة نصفين .

فليوصل ذلك إليـه على تمـامه وكماله عند وجوبه واستحقاقه ، بعد العلامة الشريفة أعلاه إن شاء الله تعالى .

وكتب فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وستمائة . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه ، وآله وصحبه الظاهرين وسلامه .

وعين جهة الجامكية على الجوالى بالديار المصرية ، والغلة على الأهراء المباركة بمصر المحروسة .

واستمر [الصاحب تاج الدين] فى القضاء بجميع الديار المصرية إلى شوال من السنة ، فاقتطع منه قضاء مصر والوجه القبلى ، وفوض ذلك إلى القاضى برهان

الدين الخضر بن الحسن بن على بن الخضر السنجارى[1] فى ثالث شوال ، ثم عزل [برهان الدين الخضر] وأعيد قاضى القضاة تاج الدين بتقليد سلطانى تاريخه الثامن من صفر سنة ستين وستمائة . وقد شاهدت هذا التقليد ووقفت عليه .

ذكر ما اعتمده السلطان فى ابتداء سلطنته ورتبه من المصالح وقرره من القربات والأوقاف والعمايز

كان مما ابتدأ به ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وأنابه ، عمارة الحرم الشريف النبوى وسنذكره .

ثم وصلت الكتب فى سنة تسع وخمسين أن القبة التى بالصخرة الشريفة ببيت المقدس قد تداعت ، فكتب إلى دمشق بتجهيز الصناع إليها وما يحتاج إليه من الآلات ، ونجزت العمارة بها فى سنة ستين .

وكانت عدة ضياع من أوقاف الخليل قد دخلت فى الإقطاعات ، فأمر [السلطان] بارتجاعها ، وعوض الأمراء عنها ، وأعادها إلى الأوقاف ، وأوقف قرية أذنا[2] على الخليل عليه السلام .

ذكر بناء قلعة الجزيرة[3]

كان السلطان الملك المعز قد أمر بهدمها ، وأباح ما بها من الرخام والأصناف

---

(١) عن النجوم (جـ ٧ ص ١٤ حاشية ٤) هو برهان الدين أبو محمد الخضر

(٢) كذا فى الأصل ، وكذا فى السلوك أيضا (جـ ١ ص ٤٤٥) ، ولم يستطع المحقق أن يجد تعريفا لهذا البلد من المراجع المتداولة .

(٣) المقصود جزيرة الروضة ؛ راجع النجوم (جـ ٦ ص ٣٣٠ حاشية ٤) ، وكذلك جـ ٧ ص ١٩٢ حاشية ٧) . وكانت مساحة القلعة ٦٥ فدانا ، وكان حدها الجنوبى وقتذاك عند المقياس الحالى .

التى غرم عليها السلطان الملك الصالح الأموال العظيمة ، فرسم السلطان [بيبرس] بعمارتها ، وندب لذلك الأمير جمال الدين بن يغمور ، فشرع فى إصلاح ما استهدم من قاعاتها ، ورتب فيها الجاندارية ، وأعادها إلى ما كانت عليه من الحرمة .

وفرق السلطان الأبراج : فرسم أن يكون برج الزاوية للأمير سيف الدين قلاون[1] الألفى ، وثانيه للأمير عز الدين الحلى[2] ، والبرج الثالث للأمير عز الدين إيغان[3] ، وبرج الزاوية الغربى للأمير بدر الدين بيسرى الشمسى . وفرق بقية الأبراج على الأمراء ، ورسم أن تكون بيوتاتهم واسطبلاتهم بها ، وسلم إليهم المفاتيح .

ورسم بعمارة القناطر بجسر شبرمنت بالجيزية وأكثر ما كانت الجيزية تشرق عنه . فبنيت القناطر فى هـذا الجسر تلتقى صدمه المـاء الأولى وتفتح لتصريف الميـاه أولا فأولا (كذا) .

ورسم بعمارة مشهد النصر بعين[4] جالوت ، وكتب بذلك إلى نواب الشام .

وحث على عمارة الأسوار بثغر الاسكندرية وحفر خنادقها ، ورتب جملة من الأموال فى كل شهر تصرف فى نفقة العامر وبنى مرقبا لثغر رشيد لكشف مراكب الفرنج .

ورسم بردم فم بحر دمياط ، وتوغيره بالقـراتيص ، وتضييقه ليمنـع السفن الكبيرة من الدخول فيه .

---

(١) كذا فى الأصل بواو واحدة دائما ، أما النسخة « س » فترسم الاسم بواوين دائما .

(٢) راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٤٥) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى السلوك (جـ ١ ص ٤٤٥) : « أرغان » بالواو بدل الياء .

(٤) كذا فى الأصل .

ورسم بحفر بحر أشموم طناح ، وندب لذلك الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى فتوجه لذلك وحفر ما يجب حفره ، وغرق المراكب قبلى فم البحر من الجانب الغربى حتى ترد الماء إليه .

واهتم بعمارة الشوانى وأعادها إلى ما كانت عليه من الأيام الكاملية والصالحية .

وأمر بعمارة شوانى الثغرين وأحضرها إلى ساحل مصر ، وكانت تزيد على أربعين قطعة ، وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد والسلايير[1] .

وركب الخليفة والسلطان فى يوم الأحد تاسع عشر شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة من القلعة إلى ساحل مصر ، وركبا[2] فى الحراريق ، وتفرجا ، وطلعا إلى قلعة الجزيرة وجلسا بمقعد البانياس ، ولعبت الشوانى ، ثم عادا إلى القلعة .

ورسم بعمارة القلاع المنصورة بالبلاد الشامية وهى : قلعة دمشق ، والصلت وعجلون ، وصرخد ، وبصرى ، وبعلبك ، والصبيبة ، وشيزر ، وشميس[3] ، وكان التتار قد خربوا أسوارها فرسم بإعادة ما استهدم وإصلاح ما تشعث .

ورسم بعمارة مدرسته التى بالقاهرة ، وسيأتى ذكرها ، إن شاء الله تعالى .

هذا ما قرره من المصالح العامة ورتبه من المهمات فى ابتداء سلطنته ، فلنذكر خلاف ذلك من المتجددات .

---

(١) السلايير جمع سلورة وهى نوع من السفن ، انظر السلوك (ج ١ ص ٢٧١ — ٢٧٢)

(٢) فى الأصل : « وركب » .

(٣) كذا فى الأصل . ولم يستطع المحقق أن يجد تعريفا لهذا البلد فى المراجع المتداولة ولعل المقصود شميميش من كورة حمص ، وهذا الاسم الوارد فى السلوك (ج ١ ص ٩٤٦ ، ٩٤٧)

ذكر وصول من يذكر من الملوك إلى خدمة السلطان وما قرره لكل منهم وما عاملهم به من الإحسان

وفى سنة تسع وخمسين وستمائة ، وردت كتب النـواب بدمشق يذكرون وصول الملك الصالح صاحب الموصل[1] بأهـله وغلمانه وأولاده ، فكتب السلطان إلى النواب بدمشق بالمبالغة فى خدمته وترتيب الإقامات له ولمن معه فى الطرقات من دمشق إلى القاهرة ، فوصل فى شـعبان من السنة ، فتلقاه السلطان وأنزله فى أدر أخليت له .

ثم ورد بعده بأيام الخبر بوصول أخيه الملك المجاهد صاحب الجزيرة[2] فاعتمد السلطان معه نظير ما اعتمـده فى حق أخيه . وكان المـلك المظفـر[3] أخوهما قد اعتقله الأمراء بحلب على ماذكره ، فأفـرج السلطان عنـه وأحضره إلى الديار المصرية ، وذلك قبـل وصولهما إليه ، فلما وصل أخـواه استأذن فى تلقيهما ، فأذن له السلطان فى ذلك .

وأنعم السلطان عليهم بالأموال والخيـول والخلع والحوائص لهم ولأصحابهم وعين جماعة من البحرية برسم خدمتهم والتصرف فى مهماتهم ، ثم رسم السلطان

---

(١) عن السلوك (جـ ١ ص ٤٦٠) وعن النجـوم (جـ ٧ ص ٢٠٠ ، ص ٢٥٦ س ١٣) أنه الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

(٢) المقصود هنا جزيرة ابن عمر .

(٣) عن السلوك (جـ ١ ص ٤٦١) وعن النجـوم (جـ ٧ ص ١١٥) أنه الملك المظفر علاء الدين على صاحب سنجار .

بكتابة تقاليدهم ببلادهم . وكان الخليفة قد فوض ذلك إلى السلطان بتقليد على مانذكره إن شاء الله تعالى .

فكتب تقليد الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بالموصل وولاياتها : بالوصا ، والجزيرة [و] مدينة البوازيج[1] ، والزيادة : عقر[2] [و] شوش ، ودارا وأعمالها ، والقلاع العمادية ، [و] كنكور وبلدها .

وكتب تقليد الملك المجاهد سيف الدين إسحق ببلاد الجزيرة وأعمالها وزيادة حرين .

وكتب تقليد الملك المظفر : سنجار وأعمالها .

وكتب لعلاء الملك ولد الملك الصالح تقليد بقلعة الهيثم .

ولما توجه السلطان إلى الشام وخيم بظاهر القاهرة سيرت هذه التقاليد إليهم ومعها أحمال الكوسات والصناجق والأموال . وأعفوا من الحضور والخدمة عليها ، وساروا فى خدمة السلطان إلى الشام فسلطنهم .

وذلك أنه أحضرهم مجلسه وجهز لهم خيل النوبة والعصائب[3] والجمدارية[4] ،

---

(١) عن معجم ياقوت أنه موضع قرب تكريت عند مصب الزاب الأسفل بنهر دجلة ، راجع معجم ياقوت (ج ٢ ص ٢٩٧) .

(٢) عن معجم ياقوت أنهما مكانان متقاربان قرب جزيرة ابن عمر ، وأنهما ليسا مكانا واحدا وقلعة عقر تعرف أيضا باسم عقر الحيدية ، وأهلها أكراد . ويضرب بهما المثل فى العلو فيقال : أعلى من العقر ، راجع معجم ياقوت (ج ٦ ص ١٩٤) .

(٣) العصائب جمع عصابة وهى راية عظيمة من حرير أصفر مطرز بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه ، راجع السلوك (ج ١ ص ٦٧) .

(٤) الجمدارية هم الذين يقومون على شئون السلاطين الأمراء ويلبسونهم ثيابهم ، راجع السلوك (ج ٢ ص ٩) .

ولبسوا الخلع وقبلوا الأرض وخرجوا بشعار السلطنة ، والأتابك فى خدمتهم ، وتوجهوا صحبة الخليفة على ما نذكره .

فاتفق انفصالهم منه فى أثناء الطريق لأسباب جرت ، وتوجه كل منهم إلى مملكته : فأما الملك الصالح فتوجه إلى الموصـل وأقام بها ، فاتفق اجتماع التتار عليها وحصارها . وأما أخواه فإنهما خافا مهاجمة العدو فعادا إلى الشام ، واستأذنا فى الحضـور ، فأذن لهما السلطان فحضرا ، وسألا السلطان إنجـاد أخيهما لفرد الأمير شمس الدين صنقر الرومى وجماعة من البحرية والحلقـة . فتوجهوا فى رابع جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، وكتب [السلطان] إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين طيـبرس[1] ورحل العسكر المصرى والشامى من دمشـق فى عاشر جمادى الآخرة .

ذكر وصول الخليفـة المستعصم بالله إلى الديار المصرية ومبايعته وتجهيزه بالعساكر إلى بلاد الشرق وما كان من أمره إلى ان قتل

قال المؤرخ : وفى العشر الآخر من جمادى الآخر[2] سنة تسع وخمسين وستمائة ورد كتاب علاء الدين طيبرس ، والأمير علاء الدين البندقدار[3] مضمونه أنه وصل

(١) راجع السلوك (جـ ١ ص ٦٠٠) : هو علاء الدين الحاج طيبرس الوزيرى .

(٢) ورد شهر جمادى مذكرا ومؤنثا ، والأصل التأنيث والتذكير جائز مع تقدير لفظ شهر . وقد جرت عادة المؤلف على أن يكتب جمادى الأول ، وجمادى الآخرة .

(٣) راجع السلوك (جـ ١ ص ٥٩٨) : هو علاء الدين ايدكين البندقدار أستاذ السلطان الظاهر بيبرس .

إلى جهة دمشق فى أول الغوطة رجل ادعى أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر ومعه جماعة من عرب خفاجة فى قريب من خمسين فارسا ، وأن الأمير سيف الدين قليج البغدادى عرف أمراء العرب المذكورين وقال : « بهؤلاء يحصل القصد من العراق » فكتب السلطان بخدمته وتعظيم حرمته وأن يسير صحبته بحجاب . فكان وصوله إلى القاهرة فى يوم الخميس التاسع من شهر رجب من السنة ، فخرج السلطان للقائه وساير أهل المدينتين ، وكان يوما مشهودا ، وشق القاهرة وهو لابس شعار بنى العباس ، وطلع إلى القلعة راكبا ، ونزل فى المكان الذى أخلى له .

وفى يوم الاثنين ثالث عشر أحضر السلطان الفقهاء والأئمة والعلماء والأمراء والصوفية والتجار وغيرهم بقاعة العمد ، وحضر الخليفة وأثبت نسبه على ما قدمنا ذكره فى أخبار الدولة العباسية . ولما ثبت النسب بايعه السلطان على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، وأخذ الأموال بحقها وصرفها فى مستحقها ، ثم قلد الخليفة السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما سيفتحه الله من أيدى الكفار . وكتب بذلك تقليد شريف عن الخليفة للسلطان ، وبايع الناس الخليفة على اختلاف طبقاتهم . وكتب السلطان إلى سائر الأعمال بأخذ البيعة له وأن يخطب باسمه على المنابر وتنقش السكة باسمه .

ولما كان فى يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب خطب الخليفة بالناس فى جامع القلعة[1] ، واهتم السلطان بذلك ونثرت جمل من الذهب والفضة . وحصل

(١) هو جامع قديم كان فى مواضع الجامع الناصرى الحالى القائم إلى جانب جامع محمد على بالقلعة إلى اليوم . وقد ظل الجامع القديم قائما إلى عام ٧١٨ إلى أن بنى الناصر جامعه الباقى إلى الآن .

الخليفة توقف فى الخطبة .

وفى يوم الإثنين رابع شعبان ركب السلطان إلى خيمة ضربت فى البستان الكبير والناس فى خدمته ، وحملت الخلع صحبة الأمير مظفر الدين[1] وشاج الخاجى وخادم الخليفة . ودخل السلطان إلى خيمة أخرى ولبس الخلعة الخليفية ، وهى عمامة سوداء مزركشة ، ودَرّاعة بنفسجى ، وطوق ، وعدة سيوف تقلد منها وحملت خلفه ، ولواءان ، وسهمان كبيران ، وترس ، وغير ذلك مما جرت العادة به . وقدم له فرس أشهب فى رقبته مشدة سوداء ، وعليه كنبوش[2] أسود . وطلب الأمراء وخلع عليهم ، وعلى الصاحب بهاء الدين ، وقاضى القضاة ، وصاحب ديوان الإنشاء الشريف : وهو القاضى فخر الدين بن لقمان ، وطلع ابن لقمان على منبر قد جلل بالأطلس الأصفر ، وقرئ التقليد على كافة الناس وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم[3]

الحمد لله الذى أضفى على الإسلام ملابس الشرف ، وأظهر بهجة دوره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف . وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف . وقيض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلاف . أحمده على نعمه التى تسرح الأعين منها فى الروض الأنف ، وألطافه التى وقف الشكر عليها فليس عنها منصرف[4] .

---

(١) كذا فى الأصل راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٥٢) .

(٢) الكنبوش هو البردعة التى تكون تحت السرج ، راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٥٢) .

(٣) نفس نص المتن وارد فى السلوك (جـ ١ ص ٤٥٣ — ٤٥٤) وفى النجوم (جـ ٧ ، ص ١١١ — ١١٢) . والنص هنا فى نسخة الأصل أضبط لغة وأسلم نسخا .

(٤) التفات من الخطاب إلى الغيبة فى هذه الجملة فقط .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة توجب من المخاوف أمنا ، وتسهل من الأمور ما كان حزنا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى جبر من الدين وهنا ، وأظهر من المكارم فنونا لافنا ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبهم باقيه لا تفنى ، وأصحابه الذين صحبوه فى الدنيا فاستحقوا الزيادة من الحسنى ، وسلم تسليما » .

« وبعد : فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره ، وأحقهم أن يصبح القلم راكعا وساجدا فى تسطير مناقبه وبره ، من سعى فأضحى سعيه الحميد متقدما ، ودعا إلى طاعته فأجابه من كان مُنْجِدا ومتهما ، وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زندا ومعصما ، ولا استباح بسيفه حمى وغى إلا أضرمه نارا وأجراه دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى — شرفه الله وأعلاه — ذكرها الديوان العزيز النبوى[1] تنويها لشريف قدره ، واعترافا بصنعه الذى تنفد العباره ولاتقوم بشكره ، وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقعدتها زمانة الزمان ، وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان[2] ، وعتب دهرها المسىء فأعتب ، وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب ، وأعاده لها سلما بعد أن كان عليها حربا ، وصرف لها اهتمامه فرجع كل مضيق من أمرها واسعا رحبا . ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعطفا ، وأظهر من الولاء رغبة فى ثواب الله مالايخفى ، وأبدى من الاحتفال بأمر الشريعة والبيعه أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه ، ولو تمسك

(١) انظر النجوم (نفس الموضع) حيث توجد ألقاب إضافية .

(٢) كذا فى الأصل .

بحبله متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه ، لكن الله أدخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه ، ويخفف بها يوم القيامه حسابه . والسعيد من خفف حسابه ، فهذه متقية أبى الله إلا أن يخلدها فى صحف صنعه ، ومكرمة [قضت[1]] لهذا البيت الشريف النبوى بجمع شمله بعد أن حصل الإياس من جمعه » .

« وأمير المؤمنين يشكر الآن [لك] هذه الصنائع . ويعترف أنه لولا اهتمامك بأمره لاتسع الخرق على الراقع . وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار الجزرية[2] ، والبكرية ، والحجازية ، واليمنية وما يتجدد من الفتوحات فورا ونجدا ، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حتى أصبحت بالمكارم فردا : وما جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون مستثنى ولا جهة من الجهات تعد فى الأهلى ولا فى الأدنى » .

فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لثقلها حاملا ، وخلص نفسك اليوم لك التبعات ، ففى غد تكون مسئولا عنها لا سائلا . ودع الاغترار بأمر الدنيا ، فما نال أحد منها طائلا ، وما لحظها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا ، فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة ، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمته غير التقوى مردودة لا مقبولة . وأبسط يدك بالإحسان والعدل ، فقد امر الله بالعدل والإحسان . وكرر ذكره فى مواضع من القرآن ، وكفر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه آثاما ، وجعل يوما واحدا منه كعبادة ستين عاما ماسلمك [أحد][3] سبيل العدل واجتنبت ثماره من أفنان ، ورجع الأمن بعد

(١) الإضافة يقتضيها السياق وتسند إلى نفس السلوك أيضا (نفس الموضع) .

(٢) فى النجوم (نفس الموضع) : الفراتية .

(٣) إضافة يقتضيها السياق مسندة إلى نفس السلوك (نفس الموضع) .

تداعى أركانه مشيد الأركان، وتحصن به من حوادث الزمان فكانت أيامه فى الأيام أبهى من الأعياد ، وأحسن من الغرر فى أوجه الجياد ، وأحلى من العقود إذا حلى بها عاطل الأجياد » .

« وهذه الأقاليم المنوطة بنظرك تحتاج إلى حكام وأصحاب رأى من أرباب السيوف والأقلام، فإذا استعنت بأحد منهم فى أمرك فنقب عليه تنقيبا، واجعل عليه فى تصرفاته رقيبا ، وسل عن أحواله ، ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا وبما اجترم مطلوبا ، ولا تول منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا. وأمرهم بالأناة فى الأمور والرفق ، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق ، وأن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق . وألا يعاملوا أحدا على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق ، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعية إخوانا ، وأن يوسعوهم برا وإحسانا ، وألا يستحلوا حرماتهم إذا استحل لهم الزمان حرمانا ، والمسلم أخو المسلم ، وإن كان أميرا عليه أو سلطانا . فالسعيد من نسج ولاته فى الخير على منواله ، واستنوا بسنته فى تصرفاته وأحواله ، وتحملوا عنه ماتعجز قدرته عن حمل أثقاله » .

« ومما يؤمرون به أن يُمْحَى ما أحدث من سيىء السنن ، وجدّد من المظالم التى هى على الخلائق من أعظم المحن ، وأن يُشترى بإبطالها المحامد، فإن المحامد رخيصة بأقل الثمن . ومهما جنى منها من الأموال فإنها فانية(١) وإن كانت حاصله، وأجياد الخزائن وإن أصبحت بها خالية فإنما هى الحقيقة عاطلة. وهل أشقى ممن احتقب إثما ، واكتسب بالمساعى الذميمة ذما ، وجعل السواد الأعظم يوم القيامة له

(١) فى الأصل : « باقية » وهو تصحيف ظاهر .

خصما ، وتحمل ظلم الناس مما صدر عنه من أعماله ، وقد خاب من حمل ظلما . وحقيق بالمقام الشريف السلطانى الملكى الظاهرى الركنى أن تكون ظلامات الأيام مردودة بعدله ، وغرائمه مخففة عن الخلائق ثقلا لاطاقة لهم بحمله[1] ، فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخرا ، فأحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمامُ هدى ، وأوجب لك مزية التعظيم وتنبيه الخلائق على ماخصك الله به من هذا الفضل العظيم . وهذه أمور ينبغى أن تلاحظ وترعى ، وأن توالى عليها حمد الله ، فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا . وقد تبين أنك صرت فى الأمور أصلا ، وصار غيرك فرعا » .

ومما يجب ذكره : الجهاد الذى أضحى على الأمة فرضا ، هو والعمل الذى يرجع به مسود الصحائف مبيضا . وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعد لهم عنده المقام الكريم ، وخصّهم بالجنة لالغو فيها ولا تأثيم » .

« وقد تقدمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرعت فى سواد الحساد ، وعرف منك عزمة هى أمضى[2] مما تحت ضمائر الأغماد . واشتهرت لك مواقف فى القتال هى أبهى وأشهى إلى القلوب من الأعياد . وبك صان الله حمى الإسلام من أن يتبذل ، وبعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ، وبسيفك الذى أثر فى الكافرين قروحا لا تندمل ، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة المعظمة إلى ما كان عليه من الأيام الأول . فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ماكان هاجعا ، وكن فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لاتابعا . وأيد كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا » .

(١) فى الأصل « له » .

(٢) فى الأصل « ما » .

« ولا تخل الثغور من اهتمام بأمرها تبتسم له الثغور ، واحتفال يبدل ما دجى من ظلماتها بالنور ، واجعل أمرها على الأمور مقدما ، وسد منها ما غادره العدو متداعيا متهدما . فهذه حصون يحصل منها[الانتفاع](١) وبها تحسم الأطماع ، وهى على العدو داعية افتراق لا اجتماع » .

« وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفتا ناظرا ، لا سيما ثغور الديار المصرية ، فإن العدو وصل إليها رابحا ، ورجع خاسرا ، واستأصلهم الله فيما مضى حتى ما أقال منهم عاثرا » .

« وكذلك الأصطول الذى ترى خيله كالأهلة وركائبه بغير سائق مستقلة ، وهو أخو الجيش السليمانى ، فإن ذلك غدت له الرياح حاملة وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة . وإذا لحظها الظرف سائرة فى البحر كانت كالاعلام ، وإذا شبهها قال هذه ليال تقلع فى أيام» .

« وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب ، وأتاك من أصالة الرأى الذى يريك المغيب ، وبسط بعد القبض منك الأمل ، ونشط من السعاده ما كان قد كسل ، وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتديا إليها ، وألهمك المراشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ، والله تعالى يؤيدك بأسباب نصره ، ويوزعك شكر نعمه . فإن النعم تستتم بشكره ، بمنه وكرمه » .

ثم ركب السلطان وشق المدينة بعد أن زينت ، وحمل التقليد الأمير جمال الدين النجيبى استاد الدار العالية ، والصاحب الوزير بهاء الدين فى بعض الطريق(٢)

(١) الإضافة يقتضيها السياق مع الأستناد إلى نص السلوك (نفس الموضع) .

(٢) من النجوم (ج ١ ص ١١١ ، ص١٣) أن الصاحب بهاء الدين حمل التقليد على رأسه راكبا ، والأمراء يمشون بين يديه .

وبسط أكثر الطريق للسلطان بالثياب الفاخرة، [و[1]] مشى عليها بفرسه، ووصل إلى القلعه .

وشرع السلطان فى الاستخدام للخليفة : فكتب للأمير سابق الدين بوزبا أتابك العسكر بألف فارس ، وللأمير ناصر الدين محمد بن ضيرم الخازندار بمائتى فارس، وللأمير الشريف نجم الدين استاد الدار بخمسمائة فارس . وأمر جماعة من العربان ، وحملت إليهم الطبلخاناة والصناجق ، وأنفق فيهم الأموال لعدة شهور. واشترى السلطان مائة مملوك[2] جمدارية وسلاح دارية للخليفة ، وأعطى لكل واحد منهم ثلاثه أرؤس خيلا وجملا لعدته ، ولم يبق أحد ممن تدعو الحاجة إليه من صاحب ديوان وكاتب إنشاء وديوان وأئمه ومؤذنين وغلمان وحكماء وجرائية إلا استخدموا. ولما تكامل ذلك كله تقدم السلطان بتجهيز العساكر .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان من السنة ركب السلطان هو والخليفة فى السادسة من النهار ، ونزل كل منهما فى دهليزه ، واستمرت النفقه فى أجناد الخليفه .

وفى يوم العيد ركب الخليفة والسلطان تحت الجتر ، وصليا العيد ، وفى هذه الليلة حضر الخليفة إلى خيمة السلطان وألبسه الفتوة بحضور[3] من يعتبر حضوره فى ذلك .

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

(٢) زاد نص السلوك (ج ١ ص ٥٨٤ س ٧) : « مائة مملوك كبارا وصغارا ورتبهم جمدارية » .

(٣) زاد نص السلوك « ج ١ ص ٥٨٤ ، س ٩ » : وألبسه سراويل الفتوة .

وفى يوم السبت سادس شوال رحلا متوجهين إلى الشام ، فلما وصلا إلى الكسوة خرج عسكر الشام للقائهما ، ودخلا دمشق فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة . ونزل السلطان بالقلعة ، ونزل الخليفة فى تربة الملك الناصر بجبل الصالحية[1] . وجرد الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، والأمير شمس الدين سنقر الرومى إلى جهة حلب ، وأمرهم السلطان بالمسير إلى الفرات ، وأنه متى ورد عليهم كتاب الخليفة يطلب أحدا منهم إلى العراق يتوجه إلى خدمته لوقته .

وركب السلطان وودع الخليفة ، وسير إليه الملوك الذين ذكرناهم .

ثم ورد كتاب الخليفة يذكر أنه وصل إلى حديثة وعانا[2] ، وولى فيها ثم كان ما ذكرنا من خروج طائفة من التتار وقتال الخليفة لهم واستشهاده ، رحمه الله تعالى ، على ما قدمناه فى أخباره ، فى أخبار خلفاء الدولة العباسية .

وحسب ما أنفق فى مهم الخليفة والملوك فكان ألف ألف دينار عينا

وفى هذه السنة قبل مسير السلطان إلى الشام ، كتب منشور الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا[3] بالإمرة على جميع العربان ، وأطلق السلطان للعربان الغلال من بلد حلب ، وذلك قبل خروج السلطان إلى الشام .

---

(١) زاد نص السلوك (جـ ١ ص ٤٦٠ س ٣) : « فنزل الخليفة بالتربة الصالحية فى سفح قاسيون » .

(٢) كذا فى الأصل ، وانظر النجوم (جـ ٧ ص ١١٦ س ٥) وانظر السلوك كذلك (جـ ١ ص ٤٦٣) لتحديد الموضع المقصود .

(٣) عن النجوم (جـ ٧ ص ١١٦) هو شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن خضبة ابن فضل بن ربيعة أبو مهنا أمير آل فضل .

هذا ما كان من الأخبار بالديار المصرية ، فلنذكر ما اتفق بالشام من حين ابتداء سلطنة السلطان الملك الظاهر إلى أن استقرت قواعد ملكه .

ذكر استيلاء الأمير علم الدين سنجر الحلبي على دمشق وسلطنته بها ، وأخذها منه ، وتقرير نواب السلطان بها

قد ذكرنا أن السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز كان قد فوض نيابة السلطنة بدمشق للأمير علم الدين سنجر الحلبي[1] ، فلما اتصل به خبر قتل الملك المظفر وثب على السلطنة بدمشق وحلف العساكر الشامية لنفسه ، ولقب نفسه بالملك المجاهد ، وركب بشعار السلطنة ، فلما اتصل ذلك بالسلطان الملك الظاهر كتب إليه يقبح فعله ويسترجعه عنه ، فعادت أجوبته بالمغالطة . فأرسل إليه السلطان الأمير جمال الدين أقش المحمدى يستميله[2] ويرده عن تعاطى ما لا يتم له ، وسير إليه صحبته مائة ألف وعشرين ألف درهم وحوائص وخلعا وملابس بألفى دينار عينا . فلما وصل ذلك إليه جلس الأمير علم الدين الحلبى مجلسا عاما للناس وأشهدهم على نفسه أنه قد نزل عن الأمر الذى كان قد استحلف الناس عليه ، وأنه من جملة النواب الظاهرية .

ثم رجع عن ذلك وركب بشعار السلطنة على ما كان عليه أولا ، فركب الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار وخرج إلى ظاهر دمشق ، ونادى باسم السلطان الملك الظاهر ومعه جماعة فساق بهم إلى جهة السواد ، فندب الحلبى جماعة لقتالهم ، فانهزم أصحاب الحلبى ، ثم رأى انحراف الناس عنه واتفاقهم عليه ،

(١) عن النجوم (ج ٧ ص ١٥٤ س ١) أنه « يلقب بالكبير » .

(٢) فى الأصل : « يستميله » . وهو سهو .

ففارق دمشق وتوجه إلى قلعة بعلبك . ودخل الأمير علاء الدين البندقدار دمشق، وحلف الناس للسلطان الملك الظاهر وجهز إلى بعلبك من أحضر الحلبى تحت الاحتياط . وكتب بذلك إلى السلطان ، فجدد السلطان المناشير للأمراء والجند، وقرر الحديث فى الأموال ونيابة القلعة للأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، ورسم باحضار الحلبى ، فلما وصل إليه اعتقله بقلعة الجبل ، ثم أطلقه بعد ذلك وخلع عليه ، واستمر فى الخدمة إلى أن جهزه إلى نيابة حلب . هذا ما اتفق بدمشق .

ذكر ما اتفق بحلب فى أمر النيابة

كان السلطان الملك المظفر قد استناب بالمملكة الحلبية الملك المظفر علاء الدين ابن صاحب الموصل ، ولقبه بالملك السعيد على ما ذكرناه ، فتوجه إلى حلب ، وحصلت منه أمور أنكرها عليه الأمراء، وكان الملك المظفر قطز قد أقطع جماعة من الأمراء العزيزية والناصرية بالبلاد الجبلية ، فلما اتصل بهم قتل الملك المظفر اجتمعوا وقبضوا على الملك السعيد ونهبوا وطاقة ، وكان قد برز إلى الباب المعروف بباب الله[1] للقاء التتار، واستولوا على خزائنه فلم يجدوا فيها مالا طائلا ، فتهددوه بالعذاب إن لم يقر لهم بالمال ، فأخرج لهم من تحت الأشجار مالا كان قد دفنه ، تقدير خمسين ألف دينار مصرية ، ففرقت فى الأمراء[2] واعتقلوا الملك السعيد بالشغر[2]، ثم أفرجوا عنه بعد ذلك، وقدموا عليهم الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى ، فكتب السلطان إليه تقليد بنيابة المملكة الحلبية .

---

(١) كذا فى الأصل وقد ورد بالأصل أيضا بعد بضع صفحات : « بابلا » (ص ٤٢).

(٢) كذا فى الأصل مضبوطا بضم الشين وبالغين المعجمة . أما « ص » فقد رسمت الأسم بالعين المهملة .

ذكر وصول طائفة من التتار
إلى البلاد الإسلامية
وما فعلوه بحلب وتقـدمهم إلى حمص وقتالهم وانهزامهم
وما كان من خبر عودهم

وفى سنة تسع وخمسين وستمائه بلغ التتار أن الأمراء العزيزية والناصرية قد وقع بينهم اختلاف ، فتجمعوا من كل جهـة وعبروا الفرات ، ولمـا بلغ الملك السعيد خبرهم وأنهم وصلوا إلى جهة البيرة جرد إليهـم جماعة قليـلة من العسكر الحلبي ، وقدم عليهـم سابق الدين أمير مجلس الناصرى ، فنهاه الأمراء العزيزية والناصرية عن ذلك ، واستقلوا العسكر المجرد ، فلم يرجع إلى قولهم ، وصمم على إرساله ، فسار سابق الدين ومن معه حتى قاربوا البيرة ، فصدمهم التتار ، فهرب سابق الدين منهم ودخل البيرة ، بعد أن قتل أكثر من معه . فكان ذلك من أكبر الأسباب التى أوجبت القبض على الملك السعيد ، ثم توجه التتار إلى جهة حلب ، فاندفع الأمير حسام الدين الجوكندار والعسكر الحلبي بين أيديهم إلى جهة حماة ، ووصل التتار إلى حلب فى أواخر سنة ثمـان وخمسين وستمائة وملكوها ، وأخرجوا أهلها إلى قرنبيا ، واسمها قديما مقر الأنبياء ، فسماها العامة قرنبيا ، فلما اجتمعوا بها بذل التتار فيهم السيف فقتلوا أكثرهم . وتقدم التتار إلى جهة حماة ، ففارقها العسكر الحلبي وصاحبها الملك المنصور إلى حمص ، واجتمعوا هم والملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص ، واتفقوا على قتال التتار ، وانضم إليهم الأمير زامل بن على أمير العربان ، ووصل التتار إلى حمص ، والتقوا واقتتـلوا فى يوم

الجمعة خامس المحرم من السنة[1] فانهزم التتار أقبح هزيمة، وقتل أبطالهم وشجعانهم، فاستشهد فيهم بقول الشاعر :

فإن كان أعجبكم عاصم فعودوا إلى حمص فى قابل

فإن الحسام الصقيل[2] الذى قتلتم به فى يد القاتل

وقد شاهد جماعة كثيرة فى هذه الواقعة طيورا كثيرة بيضاء تحوم حال القتال .

حكى عن الأمير بدر الدين محمد القيمرى قال: « والله، لقد رأيت بعينى طيورا بيضا وهى تضرب بأجنحتها فى وجوه التتار » . وقد ذكر ذلك جماعة كثيرة حتى بلغ حد التواتر، فما كان بأسرع من انهزام التتار .

قال المؤرخ :

ثم اجتمع من سلم من التتار ونزلوا بسلمية ، وعادوا إلى حماة ، ورحلوا عنها إلى أفامية ، وكان قد وصل إلى أفامية الأمير سيف الدين الديبلى[3] الأشرفى ومعه جماعة فأقام بقلعتها وبقى يغير على التتار ، فرحلوا عن أفامية وعادوا إلى حلب ، فأخرجوا من بها من الرجال والنساء ولم يبق إلا من ضعف عن الحركة واختفى خوفا على نفسه، ثم نادوا فيهم : من كان من أهل حلب فليعتزل . فلم يعلم الناس ما يراد بهم ، فظن الغرباء النجاة لأهل حلب ، وظن أهل حلب نجاة الغرباء ،

---

(١) زاد السلوك (ج ١ ص ٤٤٢ س ١٠) بذكر مكان المعركة : « على الرستن » فى منتصف الطريق بين حماة وحمص ، وراجع معجم ياقوت .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل بغير نقط وما أثبتناه هنا من النسخة « ص » بتقديم الياء المثناه على الباء الموحدة .

فاعتزل بعض كل من الطائفتين مع الأخرى بحسب ما أدى كل منهم اجتهاده ، فلما تميز الفريقان أخذ التتار الغرباء وتوجهوا بهم إلى بابلى[1] فضربوا أعناقهم ، وفيهم جماعة من أهل حلب وأقارب الملك الناصر ، ثم أعادوا من بقى من أهل حلب إليها ، وسلموا كل طائفة إلى رجل من الأكابر ، ثم أحاطوا بالبلد ولم يمكنوا أحدا يدخل إليه ولا يخرج منه .

ثم فارق التتار حلب فى أوائل جمادى الأول سنة تسع وخمسين وستمائة وكان سبب رحيلهم عنها أن السلطان الملك الظاهر جرد فى العشر الأول من شهر ربيع الأول الأمير فخر الدين الطنبا الحمصى والأمير حسام الدين لاجين الجوكان دار[2] والأمير حسام الدين العين تابى[3] فى عسكر لدفع التتار عن حلب . فلما وصلوا إلى غزة أرسل فرنج عكا إلى التتار بخبرهم فرجعوا وفارقوا حلب .

ولما رحل التتار عن حلب تغلب عليها جماعة من أحداثها فحلوها من العسكر، منهم نجم الدين أبو عبد الله بن المنذر ، وعلى بن الأنصارى ، وأبو الفتح ، ويوسف بن معالى ، فقتلوا ونهبوا ، وبلغوا أغراضهم ممن كان فى قلوبهم منهم ضغائن ، فلما قاربوا الأمير فخر الدين الحمصى والأمير حسام الدين العين تابى ، ومن معهما هرب هؤلاء عن حلب . ولما دخلها الأمير فخر الدين الحمصى صادر

---

(١) وترسم أيضا بابلا على ميل تقريبا من مدينة حلب (عن معجم ياقوت) وانظره باب الله» التى وردت من قبل فى هذا المتن (ص ٣٩).

(٢) عن السلوك (جـ ١ ص ٤٢٩) : هو حسام الدين لاجين بن عبد الله الجوكندار (كذا) العزيزى .

(٣) عن السلوك (جـ ١ ص ٤٩٢) : العتابى .

أهلها وعذبهم واستخرج منهم ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم بيروتية ، وأقام بها إلى أن وصل الأمير شمس الدين أقش البرلى ، ففارقها .

ذكر الغلاء الكائن بحلب

قال الشيخ شمس الدين بن الجزرى فى تاريخه : وفى سنة تسع وخمسين وستمائة بعد أن توجه[1] التتار من البلاد الإسلامية غلت الأسعار بحلب ، وقلت الأقوات فبلغ رطل اللحم سبعة عشر درهما ، ورطل السمك ثلاثين ، ورطل اللبن خمسة عشر ، ورطل الشيرج سبعين ، ورطل الخل ثلاثين ، ورطل الأرز عشرين ، ورطل الحب رمان ثلاثين ، ورطل السكر خمسين ، والحلوى كذلك ، ورطل العسل ثلاثين ، ورطل الشراب ستين ، والجدى الرضيع بأربعين درهما ، والدجاجة بخمسة دراهم ، والبيضة بدرهم ونصف[2] ، والبصلة بنصف درهم ، وباقة البقل بدرهم ، والبطيخة بأربعين درهما ، والتفاحة بخمسة دراهم ، ولم يذكر سعر الخبز والقمح ، ولعل ذلك لعدمه .

قال : وكانت المكاسب كثيرة والدرهم متيسر الحصول .

ذكر اختلاف العزيزية والناصرية ، ومفارقة الأمير شمس الدين أقش البرلى البلاد ، وتولية الحلبى نيابة حلب وعزله ، وعود البرلى إليها وخروجه منها ، ونيابة البندقدار وعود البرلى إليها ثانية وخروجه

وفى سنة تسع وخمسين وستمائة ، بعد وقعة التتار ، اختلف الأمراء العزيزية

(١) توجه بمعنى رحل .

(٢) كذا فى الأصل .

والناصرية ، وحضروا إلى الساحل ، فأعطى السلطان بعضهم الإقطاعات ، وحضر الباقون إلى الديار المصرية ، وكان الأمير شمس الدين أقش البرلى مقطعا مدينة نابلس من الأيام المظفرية ، فزاده السلطان بيسان وجعل لمملوكه قجقار عدة نواحى وتوجه إلى دمشق . ثم أمر السلطان بإمساك الأمير بهاء الدين بغدى الأشرفى فغضب البرلى لذلك ، واجتمع معه العزيزية والناصرية ، ونزلوا بالمرج وتوجهوا إلى حلب . وكان السلطان قد استناب الأمير علم الدين الحلبى بحلب قبل حدوث هذه الواقعة ، وأمّر جماعة وقرر لهم وظائف وهم : الأمير شرف الدين قيران[1] الفخرى وجعله استاذ الدار ، والأمير بدر الدين جماق وجعله أمير جاندار ، والأمير علاء الدين ايدكين الشهابى وجعله شاد الدواوين . فتوجه الأمير علم الدين ووصل إلى حلب فى يوم السبت ثالث شعبان من السنة ووصلت مطالعته إلى السلطان يذكر عبوره إلى حلب ، وأن جماعة من العزيزية والناصرية حضروا إليه يطلبون الأمانات . ولما وصل الحلبى إلى حلب جرد جماعه من العسكر خلف البرلى ومن معه من العزيزية والناصرية ، فعطف عليهم العزيزية والناصرية فهزموهم ، فعزل السلطان الحلبى لذلك . وقيل إنه إنما عزله لأسباب أخر اتفقت أوجبت عزله . ولما عزل الحلبى فارق حلب وعاد إلى دمشق ، فخلت مدينة حلب ، فحضر الأمير شمس الدين البرلى إليها وأقام بها ، وسير الأمير بدر الدين أيدمر الحلى رسولا منه إلى السلطان يبذل له الطاعة ، فأبى السلطان إلا حضوره إلى الخدمة . وأقام البرلى بحلب إلى أن وصل السلطان إلى دمشق فى سنة تسع وخمسين ، فجرد العساكر إليها ففارقها البرلى وتوجه إلى الفرات ، وعاد العسكر

(١) دون نقط فى الأصل ، والنقط المثبت منقول عن « ص » .

وأغار على بلاد أنطاكية[1] ، وكان فى العسكر صاحب حمص وصاحب حماة ، فأخذت المينا وأحرقت المراكب ، وأخذت الحواصل ، وعادت العساكر إلى القاهرة فى يوم الخميس تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ستين وستمائة وصحبتهم مايزيد على مائتين وخمسين أسيراً[2] .

ثم استناب السلطان بحلب الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار[3] ، فتوجه إليها وأقام بها . ثم خشى عاقبة عود الأمير شمس الدين اقش البرلى ، ففارق حلب وعاد وأقام بحماة واعتذر أنه إنما فارق حلب لشدة الغلاء وعدم الأقوات .

وكان الأمير شمس الدين البرلى قد أرسل إلى السلطان الأمير علم الدين جكم يكتبه يسأله الصفح ، فلما فارق البندقدار حلب عاد البرلى إليها وكتب إلى السلطان يعتذر من رجوعه إلى حلب ، وأنه مارجع إلا طائعا ، وأن الأمير علاء الدين انفصل عن حلب اختيارا منه ، ولو أقام لما قصده أحد ، وتوالت كتبه بالاعتذار واستأذن فى توجهه إلى الموصل ، والسلطان يغلظ له تارة ويلين أخرى .

ثم جرد السلطان عسكرا صحبة الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نجدة لصاحب الموصل ، وانفق فيهم الأموال . فلما اتصل الخبر بالأمير شمس الدين البرلى توجه إلى سنجار والتقى التتار وقاتلهم قتالا شديدا . وكان معه نحو ألف فارس وهم فى جموع كثيرة فلم تساعده المقادير ، وذلك أنه سقط عن فرسه فانكسرت رجله ، فركبه أحد مماليكه وساق يوما كاملا ولم يعلم من معه أن رجله كسرت ، ثم كان من أمره ما نذكره ، إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل ، بدون نقط و بدون رأس الكاف .
(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧٢) .
(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٣) .

هذا ما اتفق بالشام وحلب .

ذكر ما اتفق للسلطان بالشام فى مـــدة مقامه بدمشق وما وقع فى سفرته هذه خلاف ما قـدمنا ذكره من أمر الخليفة

من ذلك أنه لمـا وصل إلى دمشق وصل إلى خدمته الملك المنصور صاحب حماة ، والملك الأشرف صاحب حمص والرحبة ، فتلقاهمـا وأكرمهما وأنعـم عليهما بخيل النوبة والعصائب وشعار السلطنة ، وركب كل منهما بمفرده والأمراء مترجلون فى خدمتـه ، وكتب لهما التقاليد ، وزاد الملك الأشرف تل باشر والملك المنصور بلاد الإسماعيلية ، وتوجها إلى بلادهما .

ومن ذلك أن أمراء العربان حضروا إلى خدمة السلطان فأنعم عليهم ووصل أرزاقهم ، وسلم إليهم خفر البلاد ، وألزمهم حفظها إلى حدود العراق[1] .

ومن ذلك أنه فوض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى ، وكان قبل ذلك بنيابة قلعة دمشق ، والأموال[2] .

ذكر ركوب السلطان إلى الميـــدان بدمشق ولعبـه بالكره ومن كان فى خدمته من المـلوك

قال المولوى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى السيرة الظاهرية : ولعب السلطان فى ميـدان دمشق ، فرأيت فى خدمته جماعة من المـلوك وهم : الملك الصالح صاحب الموصل [و][3] الملك المجاهد صاحب الجزيرة ، [و] الملك المظفر

(١) زاد الســلوك (جـ ١ ص ٤٦٥) : « وكتب منشور الإمرة على جميـع العربان للامير شرف الدين عيسى بن مهنا » .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٥ ص ٤) . (٣) إضافة وارات العطف للايضاح .

صاحب سنجار ، [و] الملك علاء الملك ، [و] الملك الأشرف صاحب حمص ، [و] الملك الزاهر أسد الدين ، [و] الملك المنصور صاحب حماة [و] الملك الأمجد تقي الدين بن الملك العادل سيف أبي بكر بن أيوب[1] ، [و] الملك المنصور [و] الملك السعيد ، [و] الملك المسعود ، وأولاد الملك الصالح عماد الدين اسماعيل (و) الملك الأمجد وأخوته أولاد الملك الناصر داود ، (و) الملك الأشرف ابن ولد أفسيس [و] الملك القاهر بن الملك المعظم ، وجماعة كثيرة منهم .

قال : وهذا ما لا رآه ملك آخر .

ذكر الصلح مع ملوك الفرنج

لما توجه السلطان إلى الشام سير سيرجوان ديكين ، كند يافا ، يبذل الطاعة . ولما وصل السلطان إلى العوجا سأل الأمان للحضور إلى الدهليز ، فتوجه الأتابك إليه وأحضره إلى السلطان . فأكرمه وكتب له منشورا ببلاده ورده إلى بلده .

قال : ثم وردت رسل ملوك الفرنج يهنئون السلطان بالسلامة ومعهم الإقامات الكثيرة .

فلما وصل السلطان إلى دمشق حضر رسول من عكا يسأل أمانا للرسل المتوجهين من سائر البيوت . فكتب إلى متولي بانياس بتمكينهم[2] ، فحضر أكابر الفرنج والتمسوا الصلح ، فتوقف السلطان واشترط شروطا كثيرة فتوقفوا ،

(١) عن النجوم (ج ٧ ص ٥ س ١٠) هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر يوسف بن الملك المسعود أفسيس بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب .

(٢) في الأصل : بدون رأس الكاف .

فأهانهم وزجرهم . وكان العسكر قد توجه للإغارة على بلاد الفرنج من جهة بعلبك ، فسألوا فى رجوعه وتقرير الصلح على ما كان الأمر عليـه إلى آخر الأيام الناصرية وإطلاق الأسرى ، من حين انفصال الأيام المذكورة إلى وقت هذه الهدنة . وتوجهت الرسل معهم لأخذ العهود عليهم (١) .

وكذلك تقررت الهـدنة لصاحب يافا ومتمـلك بيروت على حـكم الأيام الناصرية ، وأمنت السبل وكثرت الأجلاب .

وشرع السلطان فى جمع الأسارى وسـيرهم إلى مدينة نابلس حفظا للعهود ، والفرنج يكاسرون (٢) فى أمر الأسارى . فلما طال ذلك رسم السلطان بنقل الأسارى إلى دمشق واستعمالهم فى العمائر وبقى الحال موقوفا (٣) .

ذكر الغارة على العرب والفرنج

قال : ولمـا وصل السلطان إلى الشام جرد الأمـير جمال الدين المحمـدى ، وجرد معـه جماعة من العسكر المنصور ، ورسم لهـم بالإغارة على بلد الفـرنج ، فتوجهوا ونهبوا وكسبوا ، وعادوا سالمين (٤) .

وجرد جماعة من البحرية وكتم خبرهم . وكان السلطان بلغه أن جماعة من عرب زبيـد قد كثر فسادهم وأنهـم مخالطون الفرنج وموافقوهـم فى الباطن ويدلونهم على عورات المسلمين ؛ فساق البحرية إليهـم وانتهبوا أموالهم وقتـلوا منهم وذبحوا جماعة كثيرة ، وكفى الله الإسلام شرهم (٥) .

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٣/٤) .
(٢) بمعنى يماطلون بحسب التعارف فى العامية .
(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٤ س ٤ — ٩) .
(٤) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٤ س — ٩) .
(٥) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٤ — ٤٦٥) .

وفى هذه السنة والسفرة ، عزل السلطان القاضى نجم الدين بن قاضى القضاة صدر الدين بن سنى الدولة عن القضاء بدمشق ، وفوضه للقاضى شمس الدين أحمد ابن بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكى من العريش إلى سلمية ، وفوض إليه النظر فى جميع الأوقاف بالشام ، منها الجامع والبيمارستان والمدارس وغير ذلك ، وفوض إليه تدريس سبع مدارس وهى : العادلية ، والعذراوية ، والناصرية ، والفلكية ، والركنية ، والإقبالية ، والبهنسية . وكان تدريس هذه المدارس بيد القاضى نجم الدين المعزول ، ووكل بالقاضى نجم الدين[1] وأمره أن يتوجه إلى الديار المصريه . وكان مذموم السيرة فى ولايته . ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة جملة من معانيه .

ذكر عود السلطان إلى الديار المصرية

قال : ولما استقرت هذه الأمور عاد السلطان إلى الديار المصرية ، وكان وصوله فى يوم السبت سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وخمسين وستمائة .

ذكر أخذ الشويك

كان السلطان قد جهز الأمير بدر الدين الأيدمرى وصحبته جماعة من العسكر ، وما أعلم أحدا ممن جرد بالجهة التى يتوجهون إليها ، فتوجه إلى الشويك وبذل المال والخلع فسلمت إليه . ووصل الخبر بتسليمها فى سادس عشرين ذى الحجة من السنة . وولى نيابتها الأمير سيف الدين بلبان المحتصبى[2] ، واستخدم بها النقباء

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٥ — ص ٦ — ٧) ، هو نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد ابن يحيى بن السنى .

(٢) كذا فى الأصل واضحا ، وفى السلوك (جـ ١ ص ٤٤٧ س ١ ؟) ، « المختصى » .

والجاندارية ، وأفرد لخاص القلعة ما كان لها إلى آخر أيام الصالحية النجمية .

وفى هذه السنة ، كانت وفاة الصاحب صفى الدين أبى إسحق إبراهيم ابن عبد الله بن هبة الله بن أحمد بن مرزوق العسقلانى ، وكان قد وزر للملك الأشرف ابن الملك العادل بدمشق مدة ، ثم عزل بجمال الدين بن جرير ، وكان تاجرا مشهورا بالثروة و كثرة الأموال . وكان ابتداء أمره كما حكى عنه أنه حكاه عن نفسه قال : أرسلنى والدى إلى القاهرة من مصر لأبتاع له قمحا ، وكان له طاحون بمصر ، فتوجهت إلى دار بعض الأمراء فاشتريت ألف أردب بخمسة آلاف درهم ، وتسلمتها ، وبت فى تلك الليلة بالقاهرة ، وأصبحت فتحسن سعرها فبعتها بسبعة آلاف ، فأوفيت الثمن ، وأخذت ما بقى ، وصرفت به مائة وثلاثين دينارا . وأتيت والدى فسألنى عن القمح ، فقلت : بعته ، فقال : ولم لا أتيت به؟ فقلت له : إنك لم ترسل معى الثمن ، حتى ولم تعطنى دابة أركبها ، وعندك عشرين دابة ، ماهان عليك أن أركب منها دابة[1] . وكنت قد مشيت من مصر إلى القاهرة فحقدت ذلك عليه . قال : ثم اتجرت فى ذلك المال الذى ربحته من ثمن القمح فبارك الله لى فيه حتى جمعت منه ستمائة ألف دينار عينا ، غير ما اشتريت من العقار والأثاث والخدم والدواب والمسفر وغيره .

وكانت وفاته بمصر ودفن بسفح المقطم . ومولده فى شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

وفيها توفى الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس بن بدر الدين خمارتكين[2] ، وهو صاحب صهيون ، وجده عتيق الأمير مجاهد الدين صاحب صرخد .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) انظر النجوم (جـ ٧ ص ٢٠٦ س ٢ — ٤) .

وكانت وفاته فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة بقلعة صهيون ودفن بها ، وولى بعده ولده سيف الدين محمد . وكان هو قد ولى صهيون بعد وفاة والده ناصر الدين منكورس فى سنة ست وعشرين وستمائة . وخلف الأمير مظفر الدين من الأموال مالا يحصى كثرة . حكى الشيخ شمس الدين ابن الجزرى فى تاريخه قال : حكى لى الصاحب مجد الدين اسماعيل بن كبيرات الموصلى قال : كان مظفر الدين صاحب صهيون يجلس فى كل يوم فى باب القلعة ويأخذ قطعا من الشمع ويختم عليها بخاتمه ، فمن كان له دعوى على خصمه أو محاكمة جاء إليه وأحضر معه شيئا من المأكول فيضعه فى الدركاه بين يدى الأمير مظفر الدين ، ويأخذ قطعة من ذلك الشمع المختوم ويتوجه إلى خصمه ويقول هذا ختم السلطان ، فيأخذ الخصم معه شيئا أيضا ويحضر إلى بين يديه فيحكم بينهما بنفسه . قال : فسألته عن مقدار ما يحضره الواحد منهم . قال : يأتى كل واحد بحسبه من الرأس الغنم إلى خمس بيضات . ومات وقد ناف على تسعين سنة ، رحمه الله .

وفيها توفى الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن عيسى بن درياس المارداني[1] الشافعى ، وكانت وفاته بالقاهرة فى يوم السبت سادس شوال ، ودفن من يومه بسفح المقطم . ومولده فى ليلة الثلاثاء ثانى عشرين شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وخمسمية ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل المارانى ، والتعديل مستند إلى النسخة س ، وإلى شذرات الذهب فى وفيات عام ٦٥٩ هـ ، واسمه : القاضى كمال الدين أبو حامد محمد بن قاضى القضاة صدر الدين عبد الملك المارداني المصرى الشافعى الضرير ، ويلقبه صاحب النجوم (جـ ٧ ص ٢٠٥ س ١٧) « الصدر العدل » .

واستهلت سنة ستين وستمائة

فى هـذه السنة ، فى ثالث عشرين المحرم ، أعرس الأمير بدر الدين بيليك الخزندار الظاهرى نائب السلطنة الشريفة على ابنة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كان ، وكان عقد النكاح قد عقد فى ثالث عشر شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ، وذلك أن السلطان كان قد استدعى الملوك إخوتها فى اليوم المذكور وعرفهم مكانة الأمير بدر الدين منه ، وأن محله محل الولد ، وخطب أختهم له ، فأجابوا إلى ذلك ، وعقد النكاح . وملكه السلطان فى ذلك اليوم بانياس وقلعتها بالبيع الشرعى . ثم كان البناء بها فى هذه السنة . وعمل العرس بالميدان الأسود . واحتفل السلطان به احتفالا عظيما ، وفوض إليه بعد أيام قلائل النظر فى أمر الجيش : يقطع الإقطاعات ويزيد وينقص ؛ وفوض إليه أمر الرعايا وكشف ظلاماتهم وغير ذلك .

وفيها ، حصل الصلح بين السلطان والملك المغيث صاحب الكرك[1] ، وكان ولده الملك العزيز فى الاعتقال من الأيام المظفرية . فإن والده كان قد سيره إلى هولاكو كما ذكرنا فاتفق عوده إلى دمشق عند دخول الملك المظفر إليها ، فأمر بإرساله إلى قلعة الجبل واعتقاله بها . فأطلقه السلطان الآن ، وأقطعه دبنان[2] بمنشور ، وحلف السلطان لأبيه . ثم بعد ذلك سير السلطان له صنجقا وشعار السلطنة ، فقبل عقب الصنجق وركب بشعار السلطنة .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٨ س ٥) .

(٢) كذا فى الأصل ، ولم يجد المحقق تعريفا لهذا المكان فى المراجع المتداولة .

وفيها ، انتصب السلطان لعرض العساكر بنفسه وحلّف الناس لولده الملك السعيد ناصر الدين بركة خاقان ، فحلفوا له ، وسيرت نسخ الأيمان إلى القلاع والممالك[1] والناس بأجمعهم .

ذكر وصول الأمير شمس الدين سلار البغدادى وشىء من أخباره[2]

وفى نصف شهر رجب سنة ستين وستمائة وصل الأمير شمس الدين سلار البغدادى من العراق إلى الديار المصرية ، وكان رجلا تركيا من قبيلة دروت[3] وهو من مماليك الخليفة الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله ، ولاه واسط والكوفة والحلة . فأقام بها فى الأيام الظاهرية والمستنصرية والمستعصمية . فلما استولى هولاكو على بغداد وقتل الخليفة ، اجتمع سلار هذا وصاحب شستر ومن انضم إليهما ، وقاتلوا التتار فلم يكن لهم بهم طاقة لكثرة التتار ، فتوجه إلى برية الحجاز ، فأقام بها نحوا من ستة أشهر ، ثم راسله هولاكو وكتب له فرمانا بإقراره على ما كان عليه فى الأيام المستعصمية ، فحضر إليه فأقره ، فلما أفضت السلطنة بالديار المصرية إلى السلطان الملك الظاهر كاتبه السلطان ، وطلب منه الوصول إليه مرة بعد أخرى ، فتقرر حضوره إليه ، وتأخر ذلك إلى أن يتحيل لنفسه ويجمع أمواله ، فاتفق أن السلطان تحدث مع قليج البغدادى فى بعض الأيام فقال له السلطان : خوشداشك سلار يصل إلينا ؟ فقال : هذا لا يتصور

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٨ س ١١ — ١٤).

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٨ حاشية ٣) .

وقوعه ، لأن سلار من المماليك بالعراق ، فكيف يفارق ما هو فيه ويحضر إلى هذه البلاد ؟ فقال السلطان : متى لم يحضر برضاه أحضرته بغير رضاه . وبعث قاصدا يكتب إليه على أنها أجوبة كتبه ، وبعث قاصدا آخر وقال له : إذا قربت من الأردو فاقتل هذا القاصد واترك ما معه ، ففعل ذلك . ولما قتل القاصد وجده القراؤل ، فأحضره إلى هولاكو فقرئ ما معه من الكتب فوجدت أجوبة سلار . وكان بمقام هولاكو جماعة من أولاد مماليك الخليفة أخذهم لنفسه وجعلهم خواصا عنده ، فسيروا إلى سلار في الوقت يعلمونه الخبر ، فعلم أنها مكيدة ، ورسم هولاكو بطلبه إلى الأردو ، فوصل إليه الخبر قبل ورود مرسوم هولاكو بطلبه . وكان حال وصول الخبر إليه يتصيد ، فعلم أنه متى وصل إلى هولاكو قتله ، فساق لوقته إلى أن وصل إلى الديار المصرية . وترك جميع أمواله وذخائره وأهله وأولاده . ولما وصل أكرمه السلطان وعامله بإحسان كثير ، وأنزله بالكبش ، وأمره طبلخاناه ، وأقطعه منية بني خصيب . فقال للسلطان : لقد ضيع السلطان على المسلمين أموالا عظيمة ، فإنك لو تركتني حتى أحضر بما جمعته من الأموال والذخائر انتفع بيت المال به ، فإني جمعت خراج سنتين . فقال له السلطان : إنما كان قصدي حضورك ، ولم أقصد الأموال . ولا تجلس بين يدي . السلطان لا يرفع أحدا عليه[1] . ثم جرده السلطان في مقابلة الفرنج بساحل عكا ، فكتب إلى السلطان يسأله أن يقيم بالشام فأقطعه نصف [مدينة][2] نابلس ، وأقام ستة أشهر ثم أعاده [السلطان] إلى الديار المصرية .

---

(١) تفيد العبارة أن السلطان التفت إلى جماعة الحاضرين وتحدث من سلار بصيغة الغائب .

(٢) زاد السلوك (جـ ١ ص ٤٦٨ س ١٣) : « وأعطاه إمرة خمسين في الشام » .

وكان السلطان قبل وصول سـلار البغدادى قد اعتقل الأمـير سيف الدين قليج لأمر صدر منه ، فأطلقه السلطان بغـير شفاعه ، وأحسن إليـه وأعاده إلى الإمرة ولعب معه الكرة .

ذكر عود رسل السلطان من جهة الأنبرور[1]

وفى شعبان سنة ستين وستمائة ، وصل الأمير سيف الدين الكزى[2]، والقاضى أصيل الدين خواجا إمام، وكان السلطان بعثهما إلى الأنبرور ،وذكرا أن الأنبرور أهتم بأمرهما اهتماما عظيما ،وأنه أحضرهما ساعة وصولهما وعرضت عليه الهدية، وكان فى جملتها زرافة فأعجبته إعجابا عظيما ، وشاهد التتار الذين سيروا إليه [ذلك][3]، وذكرا أنه جهز رسولا وهدية تحضر فيها بعد .

وكان فى جمـلة رسله إلى السلطان نفـران من البحرية[4] ، فلما وصلا، أمر السلطان بتأديبهما لمـا بلغه من سـوء اعتمادهما ، وسـيرهما إلى قلعة الجـزيرة يعملان فيها .

ذكر عود رسل السلطان من جهة صاحب الروم ووصول رسله إلى السلطان ، وما قرره السلطان من بلاده .

وفى هذا الشهر ، وصل الأمير شرف الدين الحاكى ، والشريف عماد الدين الهاشمى . وكان السلطان قد سيرهما إلى السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٩) .

(٢) كذا فى الأصل وفى السلوك أيضا .

(٣) الإضافة يقتضيها السياق .

(٤) راجع حاشية الدكتور زيادة فى السلوك (جـ ١ ص ٤٦٩ حاشية ٢ ، ٤) .

صاحب الروم ووصل صحبتهما الأمير ناصر الدين نصر الله بن كوح[1] رسلان أمير حاجب ، والصدر صدر الدين الخلاطي[2] رسولان منه ، ومعهما كتابه إلى السلطان يذكر أنه نزل للسلطان عن نصف بلاده ، وسيّر درجا فيها علائم بما يقطع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمّره [وسأل أن][3] يكتب له من جهته منشورا قرين منشور صاحب الروم . فلما وصل الرسل إلى السلطان أكرمهم وجهز جيشا نجدة لصاحب الروم . وأمر بكتب المناشير، وعين الأمير ناصر الدين أغلمش السلاح دار الصالحي لتقدمة الجيش ، وعين له ثلاثمائة فارس ، وأقطعه فى الروم ، وكتب للامير ناصر الدين الرسول المذكور منشورا بثلاثمائه فارس وأقطعه آمد وأعمالها ، وتقرر سفره صحبة العسكر ، وأن يتوجه صدر الدين رفيقه فى البحر صحبة رسل السلطان . ووقع الإهتمام فى كتب المناشير وتجريد الأمراء من الشام وحلب .

وفى شهر رجب من السنه ، وصل الأمير عماد الدين ولد الأمير مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من جهة أخيه الأمير سيف الدين ، وصحبته الهدايا الحسنة . فأحسن السلطان إليه وكتب له منشورا فى بلاد حلب بثلاثين فارسا ، وكتب له منشورا آخر فى بلاد الرومية بمائة طواش .

وفى هذه المده ورد كتاب صاحب الروم يذكر أن العدو لما بلغهم اتفاقه مع السلطان ولوا هاربين ، وأنه سير إلى قونيه يحاصرها ليأخذ من بها من أصحاب أخيه .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٩ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى السلوك (نفس الموضع السابق) : الأخلاطى .

(٣) الإضافة عن متن السلوك للايضاح (نفس الموضع السابق) .

وفى هذا التاريخ ، وصلت كتب الأمير علاء الدين الخزندار مقدم العسكر المتوجه إلى الصعيد بسبب العربان عندما قتلوا الأمير عز الدين الهواش متولى الأعمال القوصية يذكر تبديد شملهم وأبادتهم وأنه أراح المسلمين من فسادهم .

وفى شعبان منها توالى وصول جماعة ممن كان صحبه الأمير شمس الدين أقش البرلى من العزيزية والناصرية ، فأحسن السلطان إليهم ، ولم يؤاخذهم بما كان منهم .

ذكر عود رسل السلطان من جهة الأشكرى وخبر مسجد القسطنطينية

وفى هذه السنة ، وصل الأمير فارس الدين أقش[1] المسعودى الذى كان توجه رسولا إلى الأشكرى ، وكان الأشكرى قد سير رسولا إلى السلطان يلتمس بطركا للنصارى الملكيين[2] فعين لذلك الرشيد الكحال ، وسير إليه صحبة الأمير فارس الدين المذكور ، فأكرمه الأشكرى وأكرم من صحبه من الأساقفة ، وصادف وصولهم إلى الأشكرى فتح القسطنطينية ، فركب يوما ليفرج فارس الدين المذكور فيها وفى عمارتها . فمر بمكان وقال : هذا جامع ، وقد أبقيته ليكون نوابه للسلطان . فلما سمع السلطان هذا الخبر استبشر به وفرح فرحا عظيما . وأمر لوقته بتجهيز الحصر العبدانى[3] والقناديل المذهبة والستور المرموقه والسجادات والمباخر والعنبر والعود والمسك وماء الورد .

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٧١) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى السلوك : « الملكية » (نفس الموضع) .

(٣) النسبة إلى عبادان وكانت مشهورة بالحصر معجم ياقوت (جـ ٦ ص ١٠٤) .

وهذا المسجد كانت عمارته فى سنة ست وتسعين للهجرة . وكان قد وقع الصلح مع الروم على أن يبنى بها مسجد جامع[1] فبنى . ولما طالت المدة جعلوه حبسا . وقيل: إن الصلح كان قد تقرر على أن يبنى مسجد قدر جلد بعير، وتقررت العهود على ذلك فعمد المسلمون إلى جلد بعير فقدوه سيورا ومدوها . فأنكر ذلك فقال المسلمون: هذا جلد بعير ، لم نزد عليه شيئا ، وعليه وقع الاتفاق . فسكتوا وقيل : إن بانيه مسلمة بن عبد الملك فى أيام أخيه الوليد . والله أعلم .

ذكر حضور الأمير شمس الدين

أقش البرلى العزيزى إلى الديار المصرية[2]

قد ذكرنا من أخباره وتردده إلى حلب وقتاله التتار فى سنة تسع وخمسين وستمائة ما قدمناه .

قال المؤرخ : ولم يزل السلطان يكاتبه ويرغبه ويعطيه العهود والمواثيق على الوفاء ، وسير إليه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى فى رسالة ، وشافهه باليمين ، فقال له الامير شمس الدين : « قد جاءتنى رسالة هولاكو يطلبنى إليه ، وحلف لى . وهذه رسالة السلطان ويمينه ، وأنا ، والله ، أعلم أن هولاكو يفى ، وأن السلطان لا يفى » . وكان أولاده وأهله بالقاهرة فترجح عنده الحضور لخضر ، ولما وصل إلى دمشق كتب السلطان إلى النواب بخدمته وترتيب الإقامات له فى جميع الطرقات والمنازل إلى أن يصل إلى القاهرة ، وكان متمرضا من

(١) سقطت من الأصل عبارة من نحو سطرين من ١٧ كلمة ، على حين تشمل النسخة «ص» كل العبارة الساقطة .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٧٥ ، ٤٧٦) .

جراحة فى رجله بجهز إليـه الأدوية واهتم بأمره اهتماما عظيما ، وكان وصوله إلى القاهرة فى ثانى ذى الحجة سـنة ستين وستمائة ، فركب السلطان لتلقيه وحـمل إليه من الأموال والأقمشة والخلع والخيول وآلات البيوتات ما لا يكون مثله إلا لملك . ولم يترك شيئا ممـا يحتاجه الأمراء إلا سيره إليه . وكتب له منشورا بستين فارسـا ، وأعطاه طبلخاناه ، وأمر من صحبـه من الأمراء . وأعطى كل واحد منهم بحسب حاله . قال : ولمـا استقر أرسل إلى السلطان يسأله زيادة فى الشام[1] أو فى نابلس أو بـلاد الصلت أو بعلبك أو حران ، وينزل عن البيرة ، ويقول : إن قدرته تعجز عن حفظها ، فشكره السلطان ولم يقبل البيرة منه . وقال : « أنا أرجـو لك الزيادة » وصار السلطان يقربه فيسايره إذا ركب ، ويستشيره إذا جلس ، ويساهمه فى كل شىء حتى فيما يكون بين يديه من الطرف . ولازمه حتى لم يفارقه صيد ولا غيره ، ثم جدد السؤال فى قبول البيرة ، فقبلها السلطان منه وأعطاه الرها وغيرها ، وأمر مماليكه . وسافر فى صحبـة السلطان إلى الطـور ثم قبض عليه لاسباب نذكرها ، إن شـاء الله تعالى .

ذكر القبض على علاء الدين طيبرس الوزيرى نائب السلطنة بالشام[2]

وفى سـنة ستين وستمائة ، بلغ السلطان عن الأمير الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى النائب بدمشق أمور أنكرها عليه ، فسير الأمير عز الدين الدمياطى ، والأمير علاء الدين أيدغدى الحاج الركنى فتوجها من الديار المصرية فى شوال ،

(١) المقصود دمشق .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٧٢ ص ١٤ — ١٦) .

ودخلا إلى دمشق فى ثالث ذى القعدة . فلما خرج اليهما ليتلقاهما ووصل إلى الأمير عز الدين الدمياطى أهوى ليكارشه على ماجرت العادة به فى السلام ، فقبض الدمياطى بيده على عضد طيبرس و بيده الأخرى على سيفه ، وأنزل عن فرسه وركبوه بغلا ، وقيد وأرسل إلى السلطان ، ووقعت الحوطة على أمواله وحواصله بدمشق ، وكان قد سير جملة منها مع العرب . وكان طيبرس قد أساء السيرة فى أهل دمشق ، وضيق عليهم ، وتسلم الأمير علاء الدين الركنى دمشق ينظر فيها إلى حين حضور نائب مستقل .

ومن عجيب ماوقع فى القبض عليه ماحكاه شمس الدين الجزرى فى تاريخه عن الرشيد فرج الله كاتب البيرقات بدمشق ، قال : لما وصل الأمراء الذين قبضوا على طيبرس إلى الكسوة طلبنى وقال : جهز سماطا جيدا لهؤلاء الأمراء ، وأحضره أنت بنفسك واحترز عليه ، فأنا لا أحضره . قلت : لأى سبب يتأخر مولانا هنه ؟ فأسر إلى وقال : إن هؤلاء جاءوا ليقبضوا على قبل دخولهم إلى دمشق . فقلت : يكفيك الله ، و بكيت . فقال : هذا أمر لابد منه ، فأبصر أنت كيف تكون . فخرجت من عنده ، وجهزت السماط كما رسم ، وكان من قبض ماتقدم قال الرشيد : فدخلت يوما على الأمير علاء الدين الركنى وهو يحكم بدمشق ، فسألنى عن أشياء تتعلق بالديوان والسماط إلى أن ذكر الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى وأثنى عليه خيرا ، فوجدت مجالا للكلام ، فذكرت له هذه الحكاية . فقال لى : أنا أحكى لك أعجب من هذا : بينا أنا فى دارى بالقاهرة فى وقت القايلة و إذا برسل السلطان تستدعينى إليه ، فما شككت حين طلبنى فى غير الوقت المعتاد أنه يقبض على . فأوصيت استادارى بما يعتمده ، وودعت أهلى ، وركبت إلى القلعة ، فوافيت الأمير عز الدين الدمياطى وقد طلب كما طلبت ، فتحققنا

جميعا إننا نمسك ، ثم دخلنا على السلطان فوجدناه فى خلوة، فلما أقبلنا عليه نهض قائما ، وأكرمنا فقبلنا الأرض بين يديه وزال عنها ما كنا نجده ، ثم أمرنا بالقرب منه ، فتقدمنا حتى التصقت ركبنا بركبتيه ، ثم أخرج من جيبه خشمة واستحلفنا أننا لا نذيع له سرا ، وأن نفعل مايأمرنا به ، فحلفنا، فلما تمت اليمين قال : تتوجها الساعة إلى دمشق وتستصحبا معكما العسكر المقيم بغـزة ، وتمسكوا[1] علاء الدين طيبرس نائب الشام ، وتكون أنت مكانه ، وإن سمعت هذا الحديث من أحد من خلق الله تعالى قبل أن تفعلاه شنقتكما . فخرجنا من عنده فلما صرنا تحت القلعة إذا بحرفوش يقـول لآخر : هؤلاء رايحين إلى دمشق يقبضوا على طيبرس نائب السلطنة بها ، فأصفر عند ذلك لونى ولون الدمياطى ، وحلفنا جميعا لانصل إلى بيوتنا ، وقال كل منا لاستاذداره أن يلحقـه بهجين وجنيب إلى البئر البيضاء[2] وسقنا من وقتنا إليها . فلحقنا غلماننا ومانحتاج إليـه بعد العصر ، واستمر بنا السير حتى نفذنا أمر السلطان . وهـذا شىء أجراه الله تعالى على السنة عوام مصر ، لاينطقون بشىء فى غالب الأوقات إلا ويكون كذلك .

ذكر وصول جماعة من التتار إلى خدمة السلطان[3]

قال المؤرخ : كان السلطان قد جهز كشافة من الأمراء وهم، جمال الدين أقش الرومى السلاح دار من الخواص ومعه الخيول الجياد ، ثم جهـز الأمير علاء الدين أقسنقر الناصرى ، وكتب إلى الشام بأردافهـم ، وأرسـل أمراء

(١) كذا فى الاصل بالعامية .

(٢) البئر البيضاء بين القاهرة وبلبيس انظر السلوك (ج ١ ص ٨٠٥) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧٣ — ٤٧٥) .

العربان فساقوا إلى حدود العراق . وكانت الأخبار من جهة القصاد قد وردت أن هولاكو جمع جمعا كبيرا ولم يعلم قصده ، فاحترز السلطان وسير هذه الكشافة . فأمسكوا من وسط التتار جماعة ، واستطلعوا منهم الأخبار ، وكانوا مسلمين ، فأطلقهم الأمير علاء الدين . ولما توالت الأخبار بحركة هولاكو عمل السلطان بالحزم ، وتقدم إلى أهل دمشق بالحضور بأهاليهم لتخف ظهورهم وترخص الأسعار فحضر منهم جماعة كثيرة .

وكتب إلى النواب بحلب بحريق الأعشاب ، وسير جماعة إلى بلاد آمد ومواضع الأعشاب فأحرقوا من المروج مسيرة عشرة أيام ، وكذلك أعشاب بلاد خلاط[1] حتى صارت كلها رمادا . ثم ورد كتاب الأمير الحاج علاء الدين أقسنقر الناصرى أن الكشافة وجدوا جماعة كثيرة من التتار مستأمنين وافدين إلى باب السلطان ، وأنهم من أصحاب الملك بركة ، وكانوا نجدة عند هولاكو ، فلما وقع بينهما كتب الملك بركة إليهم بالحضور إليه وإن عجزوا عن ذلك ينحازوا[2] إلى عسكر الديار المصرية وأنهم يذكرون أن العداوة قد استحكمت بين الملكين هولاكو وبركة ، وأن ولد هولاكو قتل فى المصاف ، وأنهم فوق مائتى فارس ، فكتب السلطان إلى نواب الشام بإكرامهم وترتيب الإقامات لهم فى الطرقات وحمل الخلع إليهم وإلى نسائهم ، وأحسن إلى مقدميهم الأربعة ، فوصلوا يوم الخميس رابع عشرين ذى الحجة سنة ستين ، وخرج السلطان للقائهم يوم السبت السادس والعشرين من الشهر . وكان السلطان قد رسم بعمارة أدر ومساكن لهم بقرب اللوق ، فسكنوها ، وحملت إليهم الخلع وسيقت الخيول ، وفرقت فيهم

(١) فى الأصل « خلاصا » ، والتصحيح مستند إلى متن السلوك (ج ١ ص ٤٧٣ س ٧) .

(٢) حذف مفعول وقع جائز فى العامية ، واللفظ وارد هنا بمعناه العامى .

الأمـوال ، ولعبوا الكرة مع السلطان ، وأمر أكابرهم بمـائة فارس فما دونها ، ونزل بقيتهم فى جملة بحريته ومماليكه ، وأفردت لهـم جهات يستخرج منها مرتباتهم . وأسلموا وحسن إسلامهم . وبلغ التتار ما نال هؤلاء من الإحسان وما شملهـم من الأنعام فتوافدوا جماعة بعـد جماعة ، والسلطان يعتمد مع كل من يحضر منهم مثل ما اعتمد مع من قبلهم .

ذكر إنفاذ الرسل إلى الملك بركة[1]

قال : ولمـا وصلت جماعة التتار إلى السلطان ، واستطلع منهم الحال وعرف أحوال الملك بركة ومقامه والطريق إليه جهز إليه رسله وهم : الأمير سيف الدين كشربك[2] وهو رجل تركى كان جمدار السلطان خوارزمشاه يعرف البلاد واللغات ، والفقيه مجد الدين الروذ راورى ، وسير صحبتهم نفرين[3] من التتار الذين وصلوا إليه من أصحاب الملك بركة . وكتب على أيدى الرسـل كتابا بتسميله ويحثه على الجهاد ، ويصف العساكر الإسلامية وكثرتهـم وعدة أجناسهم من الترك وعشاير الأكراد وقبائل العربان ومن أطاعها من الملوك الإسلامية والفرنجية ، ومن خالفها ، ومن وافقها ، ومن عاداها[4] وهادنها ، وأن جميعها فى طاعته وسامعة لإشارته إلى غير

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٧٥) .

(٢) كذا فى الأصـل ، « كشربك » بالشين المعجمة والباء الموحدة ، وفى السلوك (جـ ١ ص ٤٧٥) : « كسربك » بالسين المهملة والباء المثناه . ومن قراءات السلوك فى الحاشية « كشتك » بحذف الراء ، وبتاء مثناه فوقية .

(٣) من السلوك (جـ ١ ص ٤٧٣) أن اسمهما « بلاغا وطغرشاه » .

(٤) كذا فى الأصل والراجح أن الأسلوب كان يقتضى : « من عاداها ومن هادنها » .

ذلك من الأغراء بهولاكو وتهوين أمره وتقبيح الغفلة عنه ، وأعلمه بوصول من وصل من التتار وادعائهم أنهم من أصحابه ، وأن الإحسان إليهم إنما هو من أجله . وكان الخليفة الحاكم بأمر الله قد حضر وبويع بحضور الرسل وكتب نسبته وأذهبت وأشهد على ثبوت نسبه ، وسير ذلك إلى الملك بركة . وزود الملك الظاهر الرسل لمدة شهور ، وتوجهوا فى المحرم سنة إحدى وستين . ووصلوا إلى بلاد الأشكرى فأحسن إليهم وصادف وصولهم وصول رسل الملك بركة إلى الأشكرى ، فسيرهم صحبتهم ورجع الفقيه مجد الدين لمرض حصل له ، وتوجه الرسل صحبة رسل الملك بركة : الأمير جلال الدين والشيخ نور الدين على ، ووصلت كتب الأشكرى أن رسل السلطان توجهوا سالمين .

ذكر تفويض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير جمال الدين النجيبى الصالحى[1]

قال : ولما تسلم الأمير علاء الدين الركنى مدينة دمشق على ما قدمناه اختار السلطان الأمير جمال الدين أقش النجيبى الصالحى لنيابة السلطنة بدمشق ، وجهز معه الصاحب عز الدين عبد العزيز بن وداعة وزير الشام . وكان قد حصل بينه وبين الأمير علاء الدين طيبرس مفاوضات أوجبت حضوره إلى الباب السلطانى صحبة الركاب الشريف فرسم بعوده على وظيفته[2] .

وفى هذه السنة فى ذى القعدة ، خرج أمر السلطان لقاضى القضاة تاج الدين[3] أن يستنيب نوابا من المذاهب الثلاثة ، فاستناب القاضى صدر الدين سليمان

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٨٠) .

(٢) فى النسخة « س » فرسم بعوده على عادة وظيفته .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧٢) .

الحنفى ، والشيخ شرف الدين عمر السبكى المالكى ، والشيخ شمس الدين الحنبلى .

وفيها : اشتد الغلاء بالشام[1] ، وأبيعت غرارة القمح بأربعمائة وخمسين درهما ، والشعير بمائتين وخمسين ، وأبيع القمح بحماة من كل مكوك أربعمائة درهم ، ثم غلت سائر الأصناف ، ومات خلق كثير من الجوع .

وفيها : فى ذى الحجة ظهر بالقاهرة عند الركن المخلق معبد وفيه حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه السلام ، فجددت عمارته . وهو إلى الآن يعرف بمعبد موسى .

ذكر وفاة شيخ الإسلام عز الدين أبى محمد
ابن عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم
ابن الحسن بن أبى محمد السلمى الدمشقى
الشافعى وشىء من أخباره[2]

كانت وفاته ، رحمه الله تعالى ، بالمدرسة الصالحية النجمية بالقاهرة المعزية ، فى يوم السبت قبيل العصر التاسع من جمادى الأول سنة ستين وستمائة ، ودفن يوم الأحد قبل الظهر بسفح المقطم . ومولده تقريبا فى سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، وولى من المناصب الدينية بدمشق : تدريس زاوية الغزالى ، وخطابة الجامع الأموى . وولى بالديار المصرية : القضاء بمصر والوجه القبلى ، وخطابة جامع عمرو بن العاص ، وتدريس المدرسة الصالحية بالقاهرة ، والنظر فى عمارة

(١) » » (جـ ١ ص ٤٦٦) .

(٢) راجع ابن العماد ، شذرات الذهب ط . مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ فى وفيات عام ٦٦٠ ، وراجع السلوك (جـ ١ ص ٤٧٦) .

المساجد بالقاهرة ومصر . وكان ، رحمه الله تعالى، أحد أئمة المسلمين ، إليه انتهت الفتيا فى زمانه ، وصنف التصانيف المشهورة ، منها : الإمام فى أدلة الأحكام ، وقواعد الفقه الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، والغاية فى اختصار النهاية ، وجمع بين الحاوى والنهاية ، واختصر الشامل لابن الصباغ ، واختصر الكشاف ، واختصر تفسير ابن عباس والماوردى ، وفسر سورة البقرة فى مجلدة (١) ، وفسر من سورة يس إلى سورة الناس ، واختصر صحيح مسلم فى مجلدين ، وعمل عليهما حواشى مفيدة ، واختصر الرعاية ، وصنف فى الزهد شجرة المعارف ، وغير ذلك من التصانيف المفيدة . وكان ، رحمه الله ، كثير الزهد والإيثار ، لا يعتنى بالملابس ، ولا يكترث بها ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ولا يخشى سطوة ملك ، لم يزل يصدع الملوك بمر الحق ، ويفتى بحكم الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن خالف ذلك آراء الملوك واعتقادهم ، وكرهوه منه ، ونهوه عنه فلا يرجع عما علمه ، ويطلب المناظرة عليه . واتفقت له وقائع مع الملوك راموا فيها قتله ، فحماه الله تعالى منهم ، وهى وقائع تدل على صلابة دينه ، وحسن يقينه ، وتمسكه من السهب الأقوم بمتينه . منها : واقعته مع الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل صاحب دمشق فى مسألة الكلام . وكان الملك الأشرف قد صحب جماعة من مبتدعة الحنابلة من صغره ممن يقول بالحرف والصوت ، فاستمالوه إلى مذهبهم وقرروه عنده حتى أمتزج بلحمه ودمه ، واعتقد كفر من يعتقد خلافه وأنه مباح الدم . وكان فى ابتداء سلطنته يميل إلى الشيخ عز الدين لما يبلغه عنه ، وقصد حضوره إليه ، والشيخ يأبى ذلك ويمنع منه ولا يجيب إليه . فألق

(١) لا يعقل أن تكفى مجلدة واحدة ، والراجح أن العدد الذى كان قبل التمييز قد سقط .

إلى السلطان من صحبه من الحنابلة أن الشيخ مخالف لرأيه مباين لمذهبـه ، وأنه يقدح فيمن يعتقده ويذمه ويسبه ، فأتهمهـم السلطان فى ذلك ، وطلب منهـم تحقيقه عنده ، فاجتمعوا وكتبوا فتيا فى مسألة الكلام وأرسلوها إلى الشيخ ، وكان قـد اتصل به خبر مكيدتهم ، فلما أتته كتب عليها بمـا يعتقده من تعظيم الله تعالى وتنزيهه وتوحيده ، وأنه حى مريد سميع بصير عليم ، قدير متكلم قديم أزلى ليس بحرف ولا صوت ولا يتصور فى كلامه أن ينقلب مدادا فى الألواح والأوراق ، بل الكتابة من أفعال العباد ، ولا يتصور فى أفعالهم أن تكون قديمة ، ويجب احترامها لدلالتها على ذاته ، كما يجب احترامها لدلالتها على صفاته . وأطال فى الفتيا وبسط الكلام واستدل ، ونقى عن الإمام أحمـد بن حنبل رحمه الله ، وأكابر أصحابه خلاف ذلك ، وأخرج الفتيا من يده وقـد تحقق ما يؤول أمرها إليه ، فعرضت على السلطان ، ومن عرضها لا يشك أن فيها سفك دم الشيخ . فلما وقف عليها استشاط غضبا وقال : صح عندى ما قالوه عنه ، وتكلم فى حقه بأشنع الكلام ، وكفره ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، وقـد اجتمع على بساطه القضاة والعلماء ، فما استطاع أحد منهـم أن يرد عليه لمـا عنده من الحرج . فقال بعضهـم : السلطان أولى بالعفو والصفح لا سيما فى مثـل هذا الشهر ، وموّه آخرون بكلام يوهـم صحة فذهب خصمه ، ثم انفصلوا من المجلس . فنهض فى ذلك الشيخ جمـال الدين أبو عمرو بن الحاجب المـالكى ، رحمه الله تعالى ، وهو عالم مذهبـه فى زمانه . واجتمع بالقضاة والأعيان الذين حضروا المجلس ، ووبخهم ولامهم وشدد عليهم النكير كونهم ما ذكروا الحـق وكونهم سألوا العفو والصفح ، وقال : هذا يوهم الذنب ، ولم يزل إلى أن أخذ

خطوطهم بموافقة الشيخ . فعند ذلك التمس الشيخ من السلطان أن يعقد مجلسا للشافعية والحنابلة ويحضره المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين . وقال : الذى يُعتقد فى السلطان أنه إذا ظهر له الحق يرجع إليه ، وأنه يعاقب من موه الباطل عليه ، وهو أولى الناس بموافقة والده السلطان الملك العادل ، تغمده الله برحمته ، فأنه كان قد عزر جماعة من أعيان الحنابلة المبتدعة تعزيرا بليغا رادعا وبدع (١) بهم وأهانهم .

فأجابه السلطان بخطه ما مثاله :

بسم الله الرحمن الرحيم

« وصل إلىّ ما التمسه الفقيه ابن عبد السلام ، أصلحه الله ، من عقد مجلس وجمع المفتيين والفقهاء . وقد وقفنا على خطه وما أفتى به ، وعلمنا من عقيدته ما أغنى عن الإجتماع به . ونحن فنتبع ما عليه الخلفاء الراشدون الذين [قال] صلى الله عليه وسلم ، فى حقهم . « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » . وعقائد الأئمة الأربعة فيها كفاية لكل مسلم يغلب هواه و يتبع الحق و يتخلص من البدع ، اللهم إلا أن كنت تدعى الاجتهاد فعليك أن تثبت ، ليكون الجواب على قدر الدعوى لتكون صاحب مذهب خامس .

وأما ما ذكرته عن الذى جرى فى أيام والدى ، تغمده الله برضوانه ، فذلك الحال أنا أعلم به منك . وما كان له سبب إلا فتح باب السلامه ، لا لأمر دينى وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جانيه العذاب . ومع هذا فقد ورد فى الحديث

(١) كذا فى الأصل والمعنى بحسب السياق « نكل » وفى النسخة من ورده : « ندد » .

الفتنة نائمة ، لعن الله مثيرها ؛ ومن تعرض إلى إثارتها قابلناه بما يخلصنا من الله ، وما يعضد كتاب الله وسنة رسوله » .

فلما وصلت هذه الرقعة إلى الشيخ قرأها ، وقال للرسول : إذهب فقد وصلت . فقال : تقدمت الأوامر المطاعة السلطانية بإحضار جوابها ، فكتب الشيخ ما مثاله :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

أما بعد حمدا لله الذى جلت قدرته وعلت كلمته وعمت رحمته وسبغت نعمته ، فإن الله تعالى قال لأحب خلقه إليه وأكرمهم لديه : ﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ (٢) وقد أنزل الله تعالى كتبه وأرسل رسله بنصائح خلقه . فالسعيد من قبل نصائحه وحفظ وصاياه . وكان فيما أوصى به خلقه أن قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ (٣) وهو سبحانه وتعالى أولى من قبلت نصيحته وحفظت وصيته . وأما طلب المجلس وجمع العلماء فما حملنى عليه إلا النصح للسلطان وعامة المسلمين . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين فقال : « الدين النصيحه » ؛ قيل لمن؟ يا رسول الله : قال : « لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم » ، فنصح الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ولكتابه بالعمل بمواجبه ، وللائمة بإرشادهم

(١) الحجر آية ٩٢ ، ٩٣ .
(٢) الأنعام آية ١١٦ .
(٣) الحجرات آية ٦ .

إلى أحكامه والوقوف عند أوامره ونواهيه ، ولعامة المسلمين بدلالتهم على ما يقربهم إليه ويؤلفهم لديه . وقد أديت ما علىّ فى ذلك .

والفتيا التى وقعت فى هذه القضية يوافق عليها علماء المسلمين من الشافعية والمالكية والحنفية والفضلاء من الحنابلة ؛ وما يخالف فى ذلك إلا رعاع لا يعبأ الله بهم ، وهو الحق الذى لا يجوز دفعه ، والصواب الذى لا يمكن رفعه . ولو حضر العلماء مجلس السلطان لعلم صحة ما أقول ، والسلطان أقدر الناس على تحقيق ذلك . وقد كتب الجماعة خطوطهم بمثل ما قلته ، وإنما سكت من سكت فى أول الأمر لما رأوا من غضب السلطان . ولولا ما شاهدوه من غضب السلطان لما أفتوا أولا إلا بما رجعوا إليه آخرا . ومع ذلك فيكتب ما ذكرته فى هذه الفتيا وما ذكره الغير ، ويبعث إلى بلاد الإسلام ليكتب فيها من يجب الرجوع إليه ويعتمد فى الفتيا عليه . ونحن نحضر كتب العلماء المعتبرين ليقف عليها السلطان .

ويبلغنى أنهم ألقوا إلى سمع السلطان أن الأشعرى يستهين بالمصحف . ولا خلاف بين الأشعرية وجميع علماء المسلمين أن تعظيم المصحف واجب . وعندنا أن من استهان بالمصحف أو بشىء منه فقد كفر ، وانفسخ نكاحه ، وصار ماله فيئا للمسلمين ، وتضرب عنقه ، ولا يغسل ، ولا يكفن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، بل يترك بالقاع طعمة للسباع . ومذهبنا أن كلام الله سبحانه وتعالى قديم أزلى قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق ولا يتصور فى شىء من صفاته أن يفارق ذاته ، إذ لو فارقته لصار ناقصا ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، وهو مع ذلك

مكتوب فى المصاحف محفـوظ فى الصـدور مقـروء بالألسنة ، وصـفة الله القديمة ليست بمداد الكاتبين ولا ألفـاظ اللافظين . ومن اعتقد ذلك فقد فارق الدين وخرج عن عقائد المسلمين بل لايعتقد ذلك إلا جاهل غبي ، وربنا المستعان على ما تصفون .

وليس رد البدع وإبطالها من باب إثاره الفتن . فإن الله سبحانه وتعالى أمر العلماء بذلك ، وأمرهم ببيان ما علموه . ومن امتثـل أمر الله ونصر دين الله لا يجوز أن يلعنه رسول الله .

وأما ما ذكر من أمر الاجتهاد والمذهب الخامس : فأصول الدين ليس فيها مذاهب فإن الأصل واحد ، والخلاف فى الفروع .

ومثل هـذا الكلام مما اعتمدتم فيه قول من لا يجوز أن يعتمد قوله . والله أعلم بمن يعرف دينه ويقف عند حدوده .

وبعد ذلك فأنا نزعم أنا من جمـلة حزب الله وأنصار دينه وجنـده . وكل جندى لايخاطر بنفسه فليس بجندى .

وأما ما ذكر من أمر باب السلامة ، فنحن تكلمنا فيه بما ظهر لنـا من أن السلطان الملك العادل ، تغمده الله برحمته ، إنما فعـل ذلك إعزازا للدين ونصرة للحق . ونحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرايز ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

وكتب الشيخ هذا الجواب مسترسلا بحضرة رسول السلطان ، ودفعه إليه . فلما قرأه السلطان اشتد غضبه ، وأرسل إليه أستادداره غرس الدين خليلا برسالة ،

وكان فرس الدين يحب الشيخ و يعتقده ، فحضر إليه وجلس بين يديه ، وتلطف به واستأذنه فى أداء الرسالة ، فقال : أدها كما قيلت لك .

فقال : يقول لك السلطان : «إنا قد شرطنا عليك ثلاثة شروط ، أحدها : ألا تفتى ، والثانى : ألا تجتمع بأحد ، والثالث : أن تلزم بيتك » . فقال له : إن هذه الشروط من نعم الله الجزيلة علىّ ، المستوجبه للشكر لله تعالى على الدوام ، أما الفتيا : فإنى والله كنت متبرما بها وأكرهها . وأعتقد أن المفتى على شفير جهنم . ولولا أنى كنت أراها متعينة علىّ لما أفتيت . والآن فقد سقط عنى الوجوب وتخلصت ذمتى ولله الحمد والمنة . وأما ترك اجتماعى بالناس ولزومى لبيتى : فهذا من سعادتى لتفرغى لعبادة الله تعالى . والسعيد من لزم بيته وبكى على خطيئته واشتغل بطاعة الله تعالى . وهذا تسليك من الحق ، وهدية من الله تعالى إلىّ أجراها على يد السلطان وهو غضبان وأنا بها فرحان . والله لو كان عندى خلعة تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة لخلعتها(١) عليك ونحن على الفتوح ، خذ هذه السجادة صل عليها فقبلها الحاجب وقبلها ، وانصرف إلى السلطان وقص عليه ما قاله الشيخ . فقال لمن حضره : قولوا لى ما أفعل به ، هذا رجل يرى العقوبة نعمة ، أتركوه ، بيننا وبينه الله .

وبقى على ذلك ثلاثة أيام إلى أن ركب الشيخ العلامة جمال الدين الحصيرى شيخ الحنفية حماره وتوجه إلى القلعة ، وكان معظما عند السلطان وقد جمع العلم والعمل ، فلما بلغ السلطان وصوله إلى القلعة أرسل خواصه يتلقونه ، وأمرهم أن يدخلوا به إلى داره على حماره ففعلوا . ولما رآه السلطان وثب إليه وتلقاه ،

(١) فى الأصل : « تلبته » ؟

وأنزله عن حماره وأجلسه على تكرمتـه واستبشر به . وكان ذلك عنـد غروب الشمس . فلما أذن المؤذن وصلوا المغـرب قدم السلطان إليـه شرابا وناوله إياه بيـده . فقال: ماجئت إلى طعامك ولا إلى شرابك . فقال : يرحم الشيخ ونحن نمتثل أمره . فقال : أى شئ بينك وبين ابن عبد السلام ؟ هذا رجل لو كان فى الهند أوفى أقصى الدنيا كان ينبغى للسلطان أن يسعى فى حلوله فى بلاده لتتم بركته عليـه وعلى بلاده و يفتخر به على سائر الملوك . قال : عندى خطه باعتقاده فى فتيا، وخطه أيضا فى رقعة جواب، رقعة سيرتها إليه. فيقف الشيخ عليهما ويكون الحكم بينى وبينه . ثم أحضر الورقتين ، فقرأهما الشيخ وقال : هـذا اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ونفس المؤمنـين ، وكل ما فيهما صحيح ، ومن خالف ما فيهما وذهب إلى ما قاله الخصم من إثبات الحرف والصوت فهو حمار . فقال السلطان : نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارط فى حقه ، والله لأجعلنه أغنى العلماء .

وأرسـل إليه واسـترضاه ، وطلب محاللته ومخاللته . وتقـدم السلطان إلى الفريقين بالإمساك عن الكلام فى مسأله الكلام وألا يفتى أحد فيهـا بشئ سدا لباب الخصام .

ثم وصل السلطان الملك الكامل إلى دمشق . وكانت الواقعه قـد اتصلت به ، فرام الاجتماع بالشيخ فاعتذر إليه ، فطلب أن يكتب له صورة الواقعة مستقصاة، فأمر ولده الشيخ شرف الدين أن يكتب ذلك من أوله إلى آخره ففعل . وأرسله إلى الملك الكامل فقرأه وكتمه . ثم سأل أخاه الملك الأشرف عن الواقعة . فقال: منعت الطائفتين من الكلام فى المسألة، وانقطع بذلك الخصام . فقال له السلطان

الملك الكامل : ليست هذه سياسة حسنة ، تساوى بين أهل الحق والباطل ، وتمنع أهل الحق من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتأمرهم أن يكتموا ما أنزل الله إليهم . كان الطريق أن تمكن أهل السنة أن يلحنوا بحججهم وأن يظهروا دين الله ، إلى غير ذلك من الكلام . وتحقق الملك الأشرف صحة ما قاله الشيخ وصرح بخجله منه ، وصار يترضاه ، ويعمل بفتاويه ، ويأمر أن يقرأ عليه تصانيفه الصغار مثل : الملحة فى اعتقاد أهل الحق ، ومقاصد الصلاة ، وكرر قراءتها عليه فى يوم ثلاث مرات .

واستمر الحال على ذلك إلى أن مرض الملك الأشرف مرضة موته[1] . وأرسل أكبر أصحابه إلى الشيخ وقال : قل للشيخ محبك موسى بن العادل أبى بكر يسلم عليك ويسألك أن تعوده وتدعو له وتوصيه بما ينتفع به غدا عند الله تعالى . فأبلغه الرسول الرسالة ، فتوجه إلى السلطان فسر برؤيته ، وقال له : اجعلنى فى حل ، وادع لى ، وأوصنى ، وانصحنى : ففعل الشيخ ذلك ، وتحدث معه فى أشياء منها : إبطال المنكرات بدمشق . فأمر بإبطالها ، وتولى الشيخ إزالة بعضها بنفسه ، وأطلق السلطان له ألف دينار عينا ، فردها عليه : هذه اجتمعه لله تعالى ، لا أكدرها بشئ من الدنيا . ثم مات الملك الأشرف إثر ذلك .

ولما حضر الملك الكامل إلى دمشق وانتزعها من أخيه الصالح إسماعيل كما تقدم ، حضر الشيخ إلى مجلس السلطان فأكرمه ، وفوض إليه تدريس زاوية الغزالى بجامع دمشق ثم فوض إليه قضاء القضاة بعد ذلك بدمشق . فاشترط شروطا كثيرة ولم يله . وقيل إنه تولاه مدة يسيره وعزل نفسه .

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

ثم كانت واقعة مع الملك الصالح عماد الدين إسماعيل [بن العادل[1]] صاحب دمشق [عندما أذن للفرنج فى دخول دمشق وشراء السلاح ... فأفتى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج ... وكان الصالح غائبا عن دمشق فورد كتابه بعزل ابن عبد السلام . وولى خطابة] دمشق[2]، بعد عز الدين بن عبد السلام ، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار .

فلما سلم الملك الصالح صفد والشقيف وغير ذلك للفرنج وصالحهم ، كما تقدم ، امتنع [الشيخ ابن عبد السلام] من الدعاء له على المنبر الجامع بدمشق فكان من خبر عزله واعتقاله وخروجه من الشام ووصوله إلى الديار المصرية وولايته الخطابة بجامع عمرو بن العاص بمصر، والقضاء بمصر والوجه القبلى، وعزله نفسه مرة بعد أخرى ، وغير ذلك من أحواله ما قدمناه فى أخبار الدولة الصالحيه النجمية .

ولم يزل الشيخ، رحمه الله تعالى ، معظما عند الملك الصالح وغيره من الملوك بعده بالديار المصرية يرجعون إلى رأيه ويعتمدون على فتاويه ، ويقف الأكابر عند أوامره إلى أن ملك السلطان الملك الظاهر فزاد فى تعظيمه وإكرامه وبره ، واستشاره فى ابتداء دولته فيما يفعله مما فيه صلاح دولته ، فقال له : إن الدولة لا تقوم إلا بأمرين، أحدهما : قيام الشرع الشريف . والثانى : تحصيل الأموال من وجوهها ، ولا أرى لمنصب القضاء مثل تاج الدين عبد الوهاب ، يريد ابن بنت الأعز ، وللوزارة مثل بهاء الدين على . فرجع السلطان إلى رأيه وتمسك بقوله ، وفوض المنصبين لهما ، فقام كل منهما فى منصبه أحسن قيام . وحمدت عاقبة هذه الولاية ، وشكر سداد هذا الرأى .

(١) الإضافة يقتضيها الإيضاح ، ويؤيدها السلوك (جـ ١ ص ٣٠٤) .

(٢) الإضافة مأخوذة عن السلوك (جـ ١ ص ٣٠٤) بسبب سقط سطرين بين لفظي دمشق .

ولما توفى الشيخ ، رحمه الله تعالى ، تألم السلطان لفقده ، وشيع جنازته أمراء الدولة وأكابرها ، وحملوا نعشه إلى أن وضع فى قبره ، رحمه الله تعالى .

وهذا الذى أوردته من أخبار الشيخ فى مسألة الكلام نقلته من خط ولده الشيخ شرف الدين محمد ، رحمه الله تعالى . وفضائله ومناقبه ، رحمه الله تعالى ، كثيرة . وقد أتينا منها بما يدل على مجموعها .

وفيها : أيضا توفى الصاحب كمال الدين[1] عمر ، ابن قاضى القضاه نجم الدين أبى الحسن أحمد بن هبة الله[2] بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى ابن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبى جراده الحنفى المعروف بابن العديم الحلبى ، كان فاضلا أديبا شاعرا كاتبا رئيسا مؤرخا ، وكانت وفاته بمصر فى العشرين من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، ودفن بسفح المقطم ، ومولده بحلب فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

---

(١) عن السلوك (جـ ١ ص ٤٧٦) أنه يكنى بأبى قاسم .

(٢) عن السلوك (نفس الموضع) ورد بعد أحمد بن هبة الله : محمد بن هبة الله .

واستهلت سنة إحدى وستين وستمائة

ذكر البيعة للإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد العباسي[1]

كان وصوله إلى الديار المصرية فى سنة ستين وستمائة فتلقاه السلطان وأكرمه وخدمه ، وأنزله بقلعة الجبل ، وأدر عليه النفقات ، ثم بايعه فى يوم الخميس الثانى من المحرم سنة إحدى وستين وستمائة على ما قدمنا ذكره فى أخبار الدولة العباسية .

ذكر القبض على الملك المغيث صاحب الكرك واعتقاله[2]

كان القبض على الملك المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرك فى يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الأول سنة إحدى وستين وستمائة . وذلك أن السلطان توجه من قلعة الجبل المحروسه لقصد الشام فى سابع شهر ربيع الآخر من السنة ، وخيم بظاهر القاهرة إلى أن تجهز الناس ، ورحل فى حادى عشر الشهر فوصل إلى غزة المحروسة فوجد والدة الملك المغيث بها ، فأحسن إليها وأنعم عليها ، وأعطاها شيئا كثيرا ، وحصل الحديث معها فى حضور ولدها[الى السلطان][3] ، وتقررت الأمور سرا ولم يعلم أحد بما تقرر ، وأعاد عليها العطاء والإنعام وعلى كل

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧٢ — ٤٧٩) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٨١ — ٤٨٢) .

(٣) الإضافة للإيضاح ، وهى منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٤٨١) .

من حضر معها ، وتوجهت وصحبتها الأمـير شرف الدين الحاكى المهندار ، برسم تجهيز الإقامات للملك المغيث إذا حضر من الكرك .

ونظـر السلطان فى أمر أمراء التركمان وخلع عليهـم . وأحضر أمراء العابد وجرم وثعلبة وضمنهم البلاد ، وألزمهم بالعداد[1] وشرط عليهـم إقامة خيل البريد فى المراكز .

ثم سار من غزة ونزل الطـور ، فى ثانى عشر جمادى الأول . وسـير الملك الأشرف صاحب حمـص إلى السلطان يلتمس الإذن له فى الحضور إلى الخدمة فأذن له ، فحضر فى نصف الشهر فتلقاه السلطان وأحسن إليه . وصارت رسل الملك المغيث تتوالى إلى السلطان وهو ينعم عليهم . وخرج [إليه][2] الملك المغيث من الكرك وأقام مدة فى الطريق . وأظهر السلطان من الاحتفال بأمره شيئا كثيرا وخدعه أعظم خديعة . ولما وصل الملك المغيث إلى بيسان ركب السلطان لتلقيه فالتقاه وساق الملك المغيث إلى جانبه ، فلما وصل إلى باب الدهليز ترجل ودخل إلى الخيمة فأدخل إلى خركاه واحتيط عليـــه وعلى أصحابه . وكان السـلطان قد استدعى قبـل ذلك قاضى القضاة بدمشق والعلماء وأظهر أن ذلك لمبايعته ، ولم يطلع أحد على غير ذلك . فلما وقعت الحوطة على المـلك المغيث أحضر السلطان الملوك والأمراء وقاضى القضاة والشهود والأجناد ورسل الفـرنج وأخرج كتبا من جهة العدو المخذول إليه . وقال الأتابك لمن حضر : « السلطان يسلم عليهـــم ويقول ما أخذت الملك المغيث إلا بهذا السبب » . وقرئت الكتب . وانصرف

(١) العداد : زكاة معنوية تقع على القطعان وتؤديها القبائل العربية والتركمانية .

(٢) الإضافة للايضاح ، وهى منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٤٨٢) .

الملك الأشرف ومن حضر . وقال للقاضى وجماعة العلماء : ماطلبتكم إلا بهذا السبب . وكتب مكتوب بصورة الحال ، وكتب فيه القاضى والجماعة . ثم جهز الملك الأشرف وركب السلطان لوداعه .

وفى اليوم الذى قبض فيه على الملك المغيث جلس السلطان بعد انقضاء المجلس وأمر بالكتب إلى الكرك : يعد من فيها بالإحسان ، ويحذرهم عاقبة مخالفته . وسير الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، والأمير عز الدين أيدمر الظاهرى أستاد الدار العالية إلى جهة الكرك وجهز الخلع والأموال ليلحقهما بها[1] ، وجهز الملك المغيث عشية النهار إلى الديار المصرية صحبة من أختاره لذلك ، وأطلق أهله وحاشيته ، وسير حريمه إلى مصر وأطلق لهم الرواتب .

وكان من خبر وفاة الملك المغيث ما قدمناه فى أخباره ، رحمه الله .

وفى هذه المنزلة[2] وصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل ولدا[3] الصاحبين مقدمى الدعوة ، فأحسن السلطان إليهما وتوجها .

وفيها : أغار السلطان على عكا ، وكان من أخبار الفرنج ماذكر إن شاء الله تعالى فى غزوات السلطان وفتوحاته .

ولما رجع السلطان من الغارة توجه إلى نحو الكرك ، وكان رحيله من منزلة الطور فى يوم الأثنين ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة . وجرد صحبته جماعة من العسكر وطائفة أخرى صحبة الأمير علاء الدين أمير جاندار إلى الصالحية .

---

(١) كذا فى الأصل بالعامية ؛

(٢) المقصود منزلة الطور بحسب السياق ؛

(٣) فى الأصل : « ولد » بالمفرد والتصحيح بمقتضى السياق .

ووصل السلطان إلى القدس الشريف فى يوم الجمعة، فزار تلك الأماكن الشريفة وعاين مايحتاج إليه من العمارة ، وكتب إلى دمشق بتجهيز جميع مايحتاج إليه من الأصناف والصناع . ثم صلى الجمعة ، وتصدق وكتب بحماية الأوقاف ، وتوجه نحو الكرك .

ذكر أخذ الكرك[1]

وفى يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وستمائة نزل السلطان على الكرك وصحبته العساكر، وأحضرت السلاليم الخشب من الصلت وغيرها . وكان السلطان قد استصحب من الديار المصرية جماعة من المجارين والبنائين والنجارين والصناع على أنه يبنى الطور، وأحضر جماعة من دمشق وغيرها وسيروا إلى عين جالوت ، وأشاع أن ذلك لبناء جامع ، ولم يكن ذلك إلا لأجل الكرك . وعزم على الطلوع إليها بنفسه . فخاف أهل الكرك ، ونزل أولاد الملك المغيث ، وقاضى المدينة ، وخطيبها وجماعة من أهلها ، ومعهم مفاتيح الحصن والمدينة ، وطلبوا العوض فحلف السلطان على ما طلبوا وأرضاهم بالعطاء ، وسير الأمير عز الدين أيدمر أستاد الدار ، والصاحب فخر الدين[2] لتسلم الحصن . فطلعا فى ليلة الجمعة وقت المغرب وتسلماه . ودعى للسلطان فى بكرة الجمعة على أسوارها ، ونصبت الصناجق السلطانية على أبراجها . وأصبح السلطان وطلع إلى الحصن فى الثالثة من نهار الجمعة وجلس فى القاعة الناصرية ورتب أحوال الحصن واهتم بأمره ، وعين للقلعة خاصا . وأعطى أولاد الملك المغيث جميع

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٩١)

(٢) فى السلوك (نفس الموضع) أنه محمد بن الصاحب بهاء الدين على .

ما حواه الحصن من مال وقماش وأثاث ، وكذلك سائر غلمانهم وجميع الأمراء والمقادره والأجناد ، ولم يتعرض لأحد منهم فى شىء[1] ، ونزلوا جميعهم فى ذلك النهار ، وصلى السلطان بها الجمعة وخطب له . ونزل وقت المغرب .

وفى يوم الأحد ، سير إلى الملك العزيز ولد الملك المغيث الخلع والقماش ، وكذلك [إلى[2]] الطواشى بهاء الدين صندل والأمير شهاب الدين بن صعلوك أتابكه .

وكتب السلطان إلى الشام بحمل الغلال والذخائر والأصناف إليها . وطلع إليها يوم الاثنين وكتب المناشير لعربانها ومن بها . وكانت تزيد على ثلثمائة منشور فى وقت واحد ، وعلم عليها ، وثبتت ، وسلمت لأصحابها بعد تحليفهم بين يدى السلطان ، كل هذا فى بعض يوم . وجرد السلطان بها جماعة من البحرية والظاهرية ، واستناب الأمير عز الدين أيدمر أستاد الدار بالكرك ، وأضاف إليه النظر على الشوبك وأعمالها . وحلف مقدمى المدينة وحلف نصارها على الإنجيل . وحمل ما كان معه إلى الحصن من الزردخاناه والأغنام والشعير وغير ذلك من سائر الأصناف والأقمشة وسبعين ألف دينار عينا ، ومائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأعطى الأمير عز الدين أستاد الدار ثلاثين ألف درهم وجملة من القماش .

وتوجه السلطان إلى القاهرة فى يوم الأربعاء [تاسع عشر جمادى الآخرة[3]] فكان دخوله إليها فى سابع عشر رجب ، وزينت المدينة أحسن زينة . وشق

(١) فى الأصل : « إلى » وهو غير دقيق .

(٢) الإضافة يقتضيها السياق وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٤٩٢) .

(٣) الإضافة ضرورية لفهم نهاية الخبر ، وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٤٩٢) .

السلطان المدينة ، وخلع على الأمراء والمقدمين والمغادرة وجميع حاشيته وغلمانه وأمرّ ولد الملك المغيث الأكبر : مائة فارس .

ذكر القبض على الأمراء وهم : الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى والأمـــير شمس الدين أقش البرلى والأمير عز الدين الدمياطى ، ومانقل من الأسباب الموجبة لذلك

وفى شهر رجب الفـرد سنة إحدى وستين وستمائة ، قبـض السلطان على الأمراء المذكورين واعتقلهم . وسبب ذلك أن السلطان كان قد أحسن إليهم إحسانا عظيما . وكان مما اعتمده مع الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى أنه فوض إليه أمر المملكة ، وأنفذ كلمته ، وأطلق له فى كل جمعة خوانين من عنده يمدان بجميع ما يحتاج إليه حتى ماء الورد ، إلى غير ذلك . ورتب له فى كل شهر كَلْوتَتَين زركشا بمائة دينار عينا ، وكلبنداتها ، كل كلبند بأربعـين دينارا . كل ذلك زيادة على الإقطاعات العظيمة والمرتبات الكثيرة ، وعلى الإنعام ، حتى جامكيات[1] البزدارية والفهادين وعليق خيلهم . واشتغل الرشيدى بالشرب واللهو .

وأما الأمير عز الدين الدمياطى[2] فإن السلطان أعطاه وزاده ، ومن جمـــلة ما كان بيده نصف مدينة غزة زيادة ، وكتب له توقيعا أنه إذا سافر فى جميع المملكة لايمنع شيئا يطلبه فى الشام من غزة إلى الفرات .

---

(١) فى الأصل : « البرددارية » والتصحيح بحثمه السياق .

(٢) هو السلوك (ج ١ ص ٤٩٣) : أنه عز الدين أيبك الدمياطى

وأما الأمير شمس الدين البرلي فقد تقدم ماعامله به عند وصوله واستمر ذلك إلى آخر وقت .

ثم بلغ السلطان أن الرشيدى قد فسدت نيته فجعل عليه عيونا تحفظ جميع مايجرى منه ، فكان مما أنكر السلطان عليه أن الأمير أسد الدين أستاد دار الملك المغيث أخبر السلطان أن كتاب الرشيدى وصل إلى الملك المغيث يقول له لا تحضر ، فإن السلطان يريد أن يمسكك . وكان جواب السلطان : « إن كان الملك المغيث قد حلف للرشيدى فلا يحضر ، وإن كان حلف لى فيحضر » . ولم يظهر للرشيدى شيئا من ذلك . ولما سير السلطان الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى إلى الكرك كتب إلى السلطان يقول : « إننى أمسكت كتابا من الرشيدى بالكرك يقول : « لا تسلموها » ، ويحسن لهم التوقف عن التسليم ويعرض عليهم الاتفاق معه على أن يحضر هو ويتسلمها منهم ويحفظها لهم ، فكتم السلطان ذلك وأمر الأمير بدر الدين بيسرى بالاحتراز والتحفظ . ولما توجه السلطان إلى الكرك جعل على الرشيدى عيونا ، فبلغ السلطان أنه لما نزل الكفرين وتمرين قصد الركوب فى أصحابه ومماليكه[1] ويسبق إلى الكرك فيدخلها هجما . فركب السلطان إليه ونزل عنده ولاطفه وما زحه ، ففاته مادبره ، وحفظ السلطان عليه الطرقات ، ثم نزل السلطان بركة زَيْزَاء ، فبلغه أن الرشيدى قد عزم على الركوب إلى الكرك ، فخدعه السلطان بأن أرسل إليه أحد خواصه يبشره بتسليم الكرك . فلما سمع الرشيدى ذلك وقف عن فعله وخلع على المبشر . فلما رجع السلطان من الكرك ونزل غزة قام ليسبغ الوضوء على العادة ، وتفرقت الخاصكية للوضوء

(١) فى الأصل : « ويسبق » والتصحيح يقتضيه تركيب العبارة

والتهيؤ لصلاة الجماعة . وقام السلطان يتركع قبل الأذان ، وإذا بالرشيدى قد أقبل فى مقدار ثلاثمائة فارس مستعدة من مماليكه والدمياطى والبرلى ، فلما قضى السلطان صلاته شد سيفه ، وقال للأمير شمس الدين سنقر الرومى : ما الذى رأيت؟ فقال : « جماعة ما جاءوا فى خير » . ثم حضر الأمير سيف الدين قلاون الألفى وركب فرسا جيدا ووقف ، واجتمعت الخاصكية . وركب السلطان ، وأتى الرشيدى فوقف بالقرب من السلطان فى مكان ما جرت عادته بالوقوف فيه ، فحضر الأمير عز الدين إيغان الركنى فقال للرشيدى : « أراك فى هذا المكان ، ما هذا مكانك ياسيف الدين » ومازحه ومازال به حتى ساق من ذلك المكان ، وساق الدمياطى والبرلى وتفرقوا . وكان الدمياطى قد جرت منه قضية أخرى وهى أن السلطان لما ملك الكرك وأنزل أولاد الملك المغيث أعطاهم السلطان خلعا وأقمشة وإنعاما كثيرا وأنزلهم فى المنظرة التى فى الوادى تحت الكرك بقرب منزلة السلطان : سير الدمياطى ضوّاء(١) وجماعة يمشون حولهم بغير أمر السلطان ، ثم حضر فى الليل إليهم جماعة من مماليكه بالسيوف متلثمين فكسروا الصناديق وأخذوا القماش الذى كان السلطان أنعم عليهم به ظنا منهم أن تقوم فتنة وشوشة فى العسكر ولا يعلم أنهم مماليك الدمياطى ، فكشف الله ذلك ، وظهر القماش عند خواص مماليكه ، واطلع السلطان على ذلك ، وتحدث الأمير شجاع الدين المهندار مع الدمياطى فما أنصف من مماليكه ، وقال : « أنا أغرم عنهم » ، وأحضر بعض القماش ، وقرر أن تقوم بدارهم عن بقية ذلك . هذا والسلطان لا يتكلم بكلمة بل كتم ذلك إلى أن استقر بقلعة الجبل فلما أصبح طلب الرشيدى

(١) من طائفة « الضوية أو المشاطية أو أرباب الضوء

فاعتقله ، وطلع الأمراء إلى الخدمة فى اليوم الثانى ، فأمسك الدمياطى والبرلى وأحسن إلى مماليكهم وخواصهم وأقرهم على أخبازهم ، ولم يغير على أحد منهم ولا تعرض على بيوت الأمراء .

ذكر وصول [رسل][1] الملك بركة

قال : ولما وصل السلطان إلى غزة عند عوده من الكرك ، وصل إليه البريد من الأمير عز الدين الحلى نائب السلطنة بالديار المصرية ، يذكر أن رسل الملك بركة وصلوا إلى ثغر الإسكندرية ، وهم الأمير جلال الدين بن القاضى ، والشيخ نور الدين على ومعهما جماعة ، ويخبر بوصول رسل الملك الأشكرى ، ورسل مقدم الجَنَوية ، ورسل السلطان عز الدين صاحب الروم . فكتب بالإحسان إلى جميعهم . ولما استقر السلطان بقلعة الجبل أحضرهم واجتمع بهم بحضور الأمراء وغيرهم ، وقرئت الكتب ومضمونها ؛ السلام والشكر وطلب الإنجاد على هولاكو والإعلام بما هو عليه من مخالفة يسق[2] جنكرخان ، وأن جميع ما فعله من إتلاف النفوس بطريق العدوان منه ، وأنى قد قمت أنا وأخوتى الأربعة بحربه من سائر الجهات لإقامة منار الإسلام ، والتمس إنفاذ جماعة من العسكر إلى جهة الفرات لإمساك الطريق على هولاكو ، ويوصى على السلطان عز الدين صاحب الروم ويستمد مساعدته . فأنعم السلطان على الرسل إنعاما عظيما ، ورسم بتجهيز الهدية إلى الملك بركة .

---

(١) انظر المسلوك (جـ ١ ص ٤٩٥)

(٢) اليسق هو الياسا أو القوانين المنسوبة إلى جنكرخان

قال القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر : وكان فى جملة الهدية ختمة شريفة ذكر أنها خط عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ونمرة لقاة[1] ، وسجادات وذكر أشياء كثيرة من جملتها زرافة ، وسافرت الرسل فى سابع عشر شهر رمضان سنة إحدى وستين وستمائة .

ذكر توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية[2]

وفى سادس شوال سنة إحدى وستين وستمائة ، توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية ، وذلك بعد أن توجه نحو الصيد وتصيد . وكان دخوله إلى الثغر فى يوم الأربعاء مستهل ذى القعدة ، ودخل من باب رشيد . ورسم بمكتوب برد مال السهمين ، وصلة أرزاق الفقراء ، ووضع المظالم ، ثم لعب الكرة ، وخلع على الأمراء ووصلهم بالأموال والأقمشة . وركب لزيارة الشيخ القبارى[3] والشاطبى وجلس بدار العدل فى يوم الخميس تاسع الشهر وبسط المعدلة وأمر بتطهير الثغر من الخواطى الفرنجيات . ثم رجع السلطان فى حادى عشر الشهر .

وفى آخر ذى القعدة من السنة نزل السلطان إلى القاهرة ، وعاد الأمير سيف الدين قلاون الألفى ، والأمير علاء الدين أيدغدى الركنى والأمير حسام الدين بركة خان .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٩٨ — ٤٩٩)

(٣) هو الشيخ المقعد محمد بن منصور بن يحيى أبى القاسم القبارى (راجع السلوك جـ ١ ص ٤٩٩ ، ٥٣٣)

وفى ليلة الأربعاء الخامس من ذى الحجة توفى الأمير حسام الدين المذكور ، فحضر السلطان جنازته ومشى فيها .

ذكر وصول التتار المستأمنين[1]

وفى سابع ذى القعدة من السنة ، وردت الكتب من البيرة وحلب أن جماعة من التتار مستأمنة واردة إلى الباب العزيز ، يزيدون على ألف وثلاثمائة فارس من المغل والبهادرية . فكتب السلطان بالإحسان إليهم وتجهيز الإقامات لهم . وفى يوم الخميس السادس والعشرين من ذى الحجة كان وصولهم ، فركب السلطان وتلقاهم ، فنزلوا عندما رأوا السلطان ، وقبلوا الأرض . وكان السلطان قد رسم بعمارة مساكن لهم فعمرت باللوق فنزلوها ، وأحسن إليهم . ثم وردت الكتب بقدوم جماعة أخرى كثيرة منهم ، فاحتفل بهم وركب لتلقيهم . ثم ورد جماعة أخرى فاعتمد معهم من الإحسان نظير أولئك . وكان الواصل إلى الخدمة فى هذه الثلاث مرار من أكابر أمرائهم من يذكر . وهم : كرمون أغا[3] ، وهو الذى فتح بلاد الترك جميعها ، وامتغا[2] أغا ونوكا[3] أغا ، وجبراك[4] أغا ، وقنان أغا ، وطيشور ، وناصغبة[5] ونبتو ، وصجتى[6] وجوجلان ،

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٠١)

(٢) فى السلوك « إمطغية » .

(٣) فى السلوك « نوكه » .

(٤) فى السلوك « جبرك » .

(٥) فى السلوك « ناصعبه » .

(٦) فى السلوك « صجبى » .

واجقرقا ، وأوقدق[1] وصلاعنة[2] وميقتدم[3] ، واجتمعوا بمن كان قـد وصل قبلهم وهم : صراغان أغا ومن كان قد وصل معه . ثم عرض السلطان عليهم الإسلام فأسلموا على يديه .

وفى هذه السنة أمر السلطان بعمل جامع خام[4] يضرب على يمنة الخيمة السلطانية ، وعمل له محاريب وعدة أبواب ومقصورة برسم السلطان .

وفيها : أمر السلطان بعمارة دار العدل تحت قلعة الجبل ، وتجديد بنائها .

وفيها : وصلت رسل اليمن بتقادم ومعهم هدايا لخواص الأمراء ، فأمر السلطان بإنفادها إلى من عينت له وأذن لهم فى قبولهـا .

وفيها : عرض السلطان العساكر ، وكان يجلس لذلك فى كل خميس واثنين .

وفيها : جهز السلطان عرب خفاجة ، وسير الخلع إلى كبراء العراق ، وكتب إلى صاحب شيراز وغيره بالاغراء بهولاكو .

وفيهـا : توفى الأمير فخر الدين أبو الهيجا[5] بن عيسى بن خشترين الأزكشى الكردى أحد الأمراء بدمشق ، وكان شجاعا أبـلى فى وقعـه عين جالوت بـلاء حسنا ، رحمه الله تعالى .

---

(١) السلوك « ارقرق » .

(٢) فى السلوك « صلاغية » .

(٣) فى السلوك « متقدم » .

(٤) فى السلوك : « بعمل جامع من الثياب المفصلة » (جـ ١ ص ٥٠١) .

(٥) فى السلوك (جـ ١ ص ٥٠٢ هـ ١١) : مجير الدين .

وفيها : توفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك المسعود صلاح الدين أقسيس بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب . وكانت وفاته بنابلس فى خامس عشر ذى الحجة سنة إحدى وستين وستمائة ، ومولده بدار الوزارة بالقاهرة فى سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، وهو الذى كان قد ملك الديار المصرية فى أيام الملك المعز عز الدين أيبك كما تقدم .

فلما ملك السلطان الملك الظاهر أمرّه بالشام ، وخلف ، رحمه الله ، ولدا اسمه ناصر الدين محمد ، ونعته بالملك الكامل .

واستهلت سنة اثنتين وستين وستمائة

ذكر تفويض أمر جيش حماة إلى الطواشى شجاع الدين مرشد الحموى

وفى أول هـذه السنة طلب السلطان الطواشى المذكور[1] وتحدث فى اشتغال[2] صاحب حماه مخدومه بالملاذ واللهو ، وقال : « كتب إليه أو نبهه من هـذه الغفلة ، وسيرت إليه شرف الدين عبد العزيز شيخ الشيوخ فى ذلك فما أفاد ، وقد اعتمدت عليك فى مصلحة هذا البلد ، لما فيك من الديانة والخير والشجاعة » ، والزمه بتكمله الجيش والزام الجنـد باقامة البرك والعدة الكاملة . فالتزم بهـذه الأمور . وكتب تقليده بذلك وتوجه .

ذكر عمارة المدرسة الظاهرية وترتيب الدروس[3]

كان الشروع فى عمارة المدرسة الظاهرية التى هى بالقـاهرة المحروسة بين القصرين فى ابتـداء الدولة فى ثامن شهر ربيـع الآخر سـنة ستين وتجبـر بابها ودهاليزها وأبوابها وكتاب السبيل فى أواخر شعبان من السنة المـذكور . ولم يشرع فى بنائها حتى رتب أمور أوقافها . وكان المتولى عمارتها الأمير جمال الدين ابن يغمور ، ورسم له السلطان ألا يستعمل أحدا فيها بغير أجرة . وكان اجتماع

---

(١) زاد السلوك هنا (جـ ١ ص ٥٠٣) « إلى قلعة الجبل » .

(٢) يصف السلوك صاحب حماة بأنه مخدوم الطواشى (نفس الموضع) .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٠٤) .

أهل العلم بها فى يوم الأحد الخامس من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة . وفوض السلطان تدريس الحنفية للصدر مجد الدين بن الصاحب كمال الدين بن العديم ، وتدريس الشافعية للقاضى تقى الدين بن رزين . وصدر الافراء للفقيه كمال الدين المحلى ، والتصدر لإفادة الحديث النبوى للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطى شيخنا . وذكرت الدروس بها فى هذا اليوم ، وحضر السلطان ، ومدت الأسمطة وأنشد الشعراء وخلع عليهم .

وفى صفر من سنة ، خرج السلطان متصيدا إلى جهة الغربية وتوجه إلى ثغر دمياط وزار البرزخ ومر فى عوده ببلاد أشموم[1] ، وتصيد بمنزلة ابن حسون ، وأخذ على بلاد الشرقية .

ذكر وفاة الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص والرحبة[2]

وفى يوم الجمعة حادى عشر صفر من هذه السنة ، توفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى [بن مروان] رحمه الله تعالى . ولم يكن له ولد ولا أخ ولا ولى عهد ، فسير السلطان إلى نوابه بتسليمها . فوصل البريد فى سابع عشرين صفر بأن بدر الدين بيليك العلائى أحد الأمراء قد تسلما ، وحلف الناس بهما للسلطان .

---

(١) فى السلوك (جـ ١ ص ٥٠٥) : « المزلة » .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٠٥) .

وفى هـذا التاريخ ورد كتاب الأمـير جمال الدين النجيبى النائب بدمشق يذكر أنه ولى حران للأمير جمال الدين الحاكى ، والرقة لأمـير آخر .

وفى هـذا الشهر : سأل الفرنج نواب السلطان أنهم يأذنون لهم فى زراعة البلاد وتقويتها من أموالهـم وهى جملة كثيرة من الغـلال ؛ فتقررت الهـدنة معهم إلى أيام الحصاد .

وفى هذه السنة ثُمِّن القرط الذى قضمته الخيول السلطانية وجمال المُناخات فكان ثمنه خمسين ألف دينار[1] .

وفيها : استدعى السلطان الأمير علاء الدين الشهابى النائب[2] بحلب وأمره أن يستنيب عنـه الأمير نور الدين بن محلى[3] ففعل ذلك . ولمـا وصل الملك إلى الأبواب السلطانية عزله السلطان عن نيابة حلب ، وأقر الأمـير نور الدين بن محلى فى نيابة حلب فأحسن السيرة ، وعمـر البلاد وأعاد الفلاحين[4] ، وأفرد الخاص على ما كان عليه فى الأيام الناصرية .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٠٦) .

(٢) هو الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى (السلوك ج ١ ص ٥٤٠) .

(٣) هو نور الدين على بن محلى الهكارى (السلوك نفس الموضع) . ويرد اسم محلى هنا فى متن النويرى دون نقط بالحاء المهملة .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٠) .

ذكر جلوس السلطان بدار العدل
وما رتبه عند غلو الأسعار[1]

قال : وفى شهر ربيع الآخر من السنة غلت الأسعار [بمصر] وبلغ ثمن الأردب إلى قريب المائة درهم نقرة . فرسم السلطان بالتسعير طلبا للرفق . فاشتد الحال وعدم الخبز . فأمر السلطان أن ينادى باجتماع الفقراء تحت القلعة ، ونزل إلى دار العدل فى يوم الخميس سابع الشهر ، فأول ما تكلم فيه إبطال التسعير . ورسم أن يباع من الأهراء فى كل يوم خمسمائة أردب بما يقدره الله من ويبتين فما دونها تباع على الضعفاء والأرامل . ونزل الحجاب تحت القلعة وكتبت أسماء الفقراء ، وسير إلى كل جهة حاجبا لكتابة الأسماء فى القاهرة ومصر وحواضرها ، ولما تكامل حصر العالم أخذ السلطان ألوفا ، وأعطى لنواب ولده الملك السعيد كذلك ، وأعطى لكل أمير جماعة على قدر عدته ، وفرق على الأجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية ، وعزل التركمان والأكراد البلدين ، ورسم أن يعطى لكل فقير مئونته مدة ثلاثة شهور ، ويسلم نواب الأمراء والأكابر والتجار الفقراء . ثم قال السلطان : « هؤلاء الفقراء جمعناهم فى هذا اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعط كل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا ، ومن غد يتقرر الحال » . فانفق فيهم جملة كثيرة بهذا القدر خاصة . وأخذ الصاحب جماعة العميان والأتابك [جماعة][2] التركمان ، ولم يبق أحد من الخواص والحواشى وأرباب المناصب وغيرهم إلا أخذ جماعة . فانحطت الأسعار لذلك وكثر الخبز .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٩٦٥ حـ ٥٠٧) .

(٢) الإضافة يقتضيها الإيضاح .

وفى ثالث شهر ربيع الآخر من السنة رسم السلطان بمسامحة بنات الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى[1] بما وجب للديوان فى تركة أبيهن ، أربعمائة ألف درهم نقرة .

وفى هذه السنة ، قصد متملك الأرمن حلب المحروسة مرة بعد أخرى ، فلم يظفر بشىء ، وخاب سعيه على ما نشرحه إن شاء الله فى غزوات السلطان وفتوحاته[2] .

وفيها : رسم السلطان بحفر خليج الإسكندرية[3] ، وكانت قد استدت فوهته ، وندب لذلك الأمير عز الدين أمير جاندار فاهتم بذلك وحفر المكان المعروف بالنقيدى ، وأمر ببناء مسجد هناك ليكون تذكرة باقية . وجهز الأمير جمال الدين موسى بن يغمور أستاد الدار العالية وأمره بالاهتمام بأمر جزيرة بنى نصر لما بلغه قلة ريها ، فاحتفل بها كل الاحتفال .

وفيها : فى جمادى الأول ، تقدم أمر السلطان إلى الأمير سيف الدين بلبان الزينى أمير علم بالتوجه إلى الشام للاهتمام بأمر القلاع والبلاد وعرض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور ، والنظر فى المهمات الخاصة والعامة ، والزام الأمراء بتكملة العدد والعُدّة[4] وازاحة الأعذار وأخذ الأهبة للجهاد ، وكتب على يده إلى دمشق بحمل خزانة كبيرة إلى البيرة برسم نفقاتها ، فتوجه لذلك .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٠٨ — ٥٠٩) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥١٠) .

(٣) انظر السلوك (نفس الموضع) .

(٤) فى الأصل : « العدة والعدة » (بالتكرار) .

وفى العشر الأوسط من جمادى الاخره حصل الظفر بجاسوسين للتتار، وكانت أخبارهما وحلاّهما وصلت إلى السلطان من جهـة القصاد والناصحين بالأردو[1]، وكذلك من كل جهة يصلان إليها، إلى أن ركبا من عكا فى البحر، فلما وصلا إلى ثغر دمياط مسكا وأحضرا إلى بين يدى السلطان فذكر لهما الأمايز، فأقرّا، ووجد معهما فرمانين للأتابك من هولاكو، وهو يرغبـه ويستميـله. فطلب السلطان الأتابك وأراه ذلك، ولم يصدق ذلك فيه، ومزق ذلك وحرقه، واستدل بذلك على ضعف هولاكو.

وفى هذه السنة تجهّز البرج الذى أمر السلطان بعمله فى قارا[2]، وشرع فى بناء برج أكبر منه لحفظ الطرقات وصون الرعية من عوادى الفرنج المجاورين.

وفى جمادى الأول من السنة شرع النواب بالشام فى بناء شقيف تيرون.

وفى الشهر أنعم السلطان على عسكر الساحل الذين هم صحبة الأمير ناصر الدين القيمرى بمائتى ألف درهم فرقت عليه.

ذكر جلوسه بدار العدل وما قرره من مشاركة أمناء الحكم للأوصياء[3]

وفى مستهـل شهر رجب سنة اثنتين وستين وستمائة، جلس السلطان بدار العدل، فتقدم رجل من الأجناد ومعه صغير، فقال: «أنا وصىّ هذا الصغير»

---

(١) جرى المؤلف على رسم لفظ الأردو بالواو والألف وقـد جرينا نحن على حذف الألف دائما.

(٢) قرية على ٢٦ ميلا من حمص فيما بينها وبين دمشق (معجم البلدان).

(٣) انظرا السلوك (ط ص ٥١١، ٥١٢).

وشكا من قضية تتعلق به . فقال السلطان لقاضى القضاة : « أعلم أن الأجناد يموت الواحد منهم فيستولى خوشدا شيته على موجوده ويجعل اليتيم أوشاقية ، ويموت اليتيم فيستولى الوصى على الموجود ، أو يكبر اليتيم ولا يجد شيئا ولا يقوم له حجة على موجوده . وقد يموت الوصى فينغمس مال اليتيم فى ماله ، وأنا أرى ألا ينفرد أحد من الأوصياء بوصية ، وأن يكون نظر الشرع شاملا ، وأموال اليتامى مضبوطة ، وأمناء الحكم يحاققون على المصروف وطلب نواب الأمراء ونقباء العساكر وأمرهم بذلك . واستمرت الحال عليه إلى وقتنا هذا .

ذكر وصول جماعة من عسكر شيراز[1]

وفى جمادى الآخر ، بلغ السلطان أن جماعة من عسكر شيراز وصلوا لقصد الخدمة الشريفة ، فأمر بالإحسان إليهم . ووصلوا فى ثالث شهر رجب ومقدمهم بكلك ورفقته وهم : سيف الدين اقبار[2] جمدار السلطان جلال الدين خوارزم شاه والأمراء الأتابكية غلمان أتابك سعد منهم : سنقر جاه وغيره من الأتابكية . ووصل صحبتهم حسام الدين بن ملاح أمير العراق وجماعة من أمراء خفاجة ، فتلقاهم السلطان وأحسن إليهم ، وأمر الأمير سيف الدين بكلك وأعطاه طبلخاناه ، وكذلك أمراء خفاجة ، والأمير مظهر الدين وشاح بن مهرى[3] ، وأطلق لحسين ابن ملاح قرية فى الشام ، وجهزهم إلى بلادهم .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥١٢) .

(٢) هو سيف الدين اقبار الخوارزمى (انظر السلوك فى نفس الموضع) .

(٣) ورد فى السلوك : شهرى بالشين المعجمة (نفس الموضع) .

وفى شهر رمضان وصل رسول من الملك[1] شارل أخى الملك افرنسيس وهو صاحب مرشيلية ، وصحبته عدة من السناقر الشهب والأمتعة . ومضمون كتابه المحبة والمشايعة . ووصل كتاب استاد داره يقول : إن مخدومه أمره أن يكون أمر السلطان نافذا فى بلاده ، وأن يكون نائب السلطنة كما هو نائبه .

وفى يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان : قرئ مكتوب بجامع مصر بأبطال ما قرره على ولاية مصر من الرسوم وهى مائه ألف درهـم وأربعة آلاف درهـم [نقـرة][2] .

وفى هـذا الشهر أحضرت فلوس من جهة قوص وجدت مدفونة فأخذ منها فلس : فإذا عليه صورة ملك واقف، وفى يده اليمنى ميزان ، وفى اليسرى سيف ، ومن الوجه الآخر رأس مصور بآذان كبـيرة ، ويدار الفلس سـطور ، فقرأها راهب يونانى : فكان تاريخـه إلى وقت قراءته ألفين وثلاثمـائة سنة . وفيه مكتوب : أنا غلياث الملك، ميزان العدل ، والكرم فى يمينى لمن اطاع، والسيف فى يسارى لمن عصى ، وعلى الآخر : أنا غلياث الملك، أذنى مفتوحة لسماع كلمة المظلوم ، وعينى مفتوحة أنظر بها مصالح ملكى .

ذكر سلطنة الملك السعيد[3]

وفى يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة اثنتين وستين وستمائة ، حصل الاتفاق على سلطنة الملك السـعيد ، فأركبه السلطان بشـعار السلطنة ، ومشى بنفسه فى

(١) المقصود بشارل انجو ملك صقلية (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٠٢ حاشية ١) .

(٢) الإضافة يقتضيها الإيضاح وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٥١٤) .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥١٦) .

ركابه وحمل الغاشية . ثم أخذها الأمراء وحملوها وعليهم الخلع الفاخرة ، ورجع السلطان . ولم يزل الملوك والأمراء فى خدمته إلى باب النصر ، ودخلوا القاهرة رجالة يحملون الغاشية ، وقد زينت المدينة أحسن زينة . وشق الملك السعيد القاهرة وأتابكه عز الدين الحلى راكب إلى جانبه . وبسط الأمراء الثياب الأطلس والعتابى وغيرها تحت حوافر فرسه . ولم يزل إلى أن عاد إلى القلعة[1] . وكانت [الثياب[2]] بجملة عظيمة تفرقها المماليك السلطانية وأرباب المنافع .

وكتب له تقليد شريف أنشأه المولى محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر ، وقرئ بحضور الأمراء وقاضى القضاة والعلماء فى سابع عشر الشهر .

وفى العشر الأول من ذى القعدة من السنة ، عرض السلطان الجيش[3] ، وكان قبل ذلك رسم بتكملة العدة والتأهب للغزاة فجلس فى هذا اليوم على الصفة التى بجانب دار العدل عند طلوع الشمس ، وساق كل أمير فى طلبه ، وعليهم لامة الحرب ، وجروا الجنائب عليها عدة الحرب دون غيرها من التشاهير والمراوات المتخذة للزينة . وعبرت العساكر خمسة خمسة . فلما طال الأمر عبروا عشرة عشرة ، وهلك الناس من الزحام . وإنما قصد السلطان عرض العسكر فى يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا استعار من أحد شيئا . وكان الناس يدخلون من باب القرافة ويخرجون من جهة الجبل إلى صوب باب النصر إلى الدهليز المضروب هناك . ولما قرب وقت المغرب ركب السلطان وساق فى وسط العساكر فى جماعة يسيرة من سلاح داريته وخواصه ، ونزل إلى الدهليز ، ورتب

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥١٦) .
(٢) الإضافة يقتضيها الإيضاح .
(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥١٧) .

المنازل، ورجع إلى قلعته وقت المغرب . ثم اهتم الناس بعد ذلك باللعب بالقبق، ولبسوا خيولهم التشاهير والبراجم[1] البحرية والمراوات والأهلة الذهب والفضة والأطلس وغير ذلك . وساق السلطان إلى ميدان العيد[2] وبين يديه جنائبه العظيمة وهى مزينة . حكى القاضى محيى الدين عبدالله بن عبد الظاهر فى السيرة الظاهرية قال : قال لى القاضى فتح الدين بن سناء الملك وهو صاحب ديوان الخزائن قبل هذا الوقت بمدة سنة : إن الذى دخل فى المراوات من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصى . قال : وشرط السلطان لكل أمير يصيب القبق فرسا من خيوله بما عليه من التشاهير ، ولكل مفردى أو مملوك أو جندى خلعة تليق بمثله . ودخل الناس بالرماح بكرة النهار ، ثم شفع السلطان ذلك برمى النشاب . وحضر رسل الملك بركة فى ذلك الوقت ووقفوا مع السلطان وشاهدوا ذلك واستعظموه ، وأقام العسكر كذلك أياما .

وفى تاسع عشر ذى القعدة خلع السلطان على المماليك والأمراء والبحرية والحجاب والمفاردة وأرباب المناصب من الوزراء والقضاة وأرباب البيوت[3] . وحضر الناس بالخلع والتشاريف ولعبوا بقية ذلك النهار . فقالت رسل الملك بركة للسلطان : « هذه عساكر مصر والشام ؟ » . فقال : « بل عساكر المدينة خاصه ، غير الذين فى الثغور ، والمجردين والذين[4] فى إقطاعهم » فعجبوا من ذلك.

(١) فى السلوك (جـ ١ ص ٥١٨) : « البرامم » وهى السروج الحربية .

(٢) ومن حاشية فى النجوم (جـ ٦ ص ٦٧ حاشية ١) أن محل ميدان العيد هو اليوم المنطقة الواقعة بين باب النصر وباب الحسينية ، وهى المنطقة التى يخترقها شارع بجم الدين حاليا .

(٣) تعبير السلوك (جـ ١ ص ٥١٩) : « ذوى البيوت » .

(٤) تعبير السلوك (نفس الموضع) : « والذين سافروا فى إقطاعاتهم » .

ذكر ختان الملك السعيد ومن معه

قال : وفى عاشر ذى القعدة من السنة رسم السلطان بعمل سماط عظيم ، ومد بالقلعة لختان الملك السعيد بن السلطان ، فأكل الناس وختن الملك السعيد ثم ختن بعده ابن الأمير عز الدين الحلى ، وابن الأمير شمس الدين سنقر[1] الرومى ، وولد الأمير سيف الدين سكر ، وولد الأمير حسام الدين بن بركة خان ، وولد الملك المجاهد ابن صاحب الوصل ، ثم أولاد الملك المغيث صاحب الكرك الخمسة[2] وولد فخر الدين الحمصى ، وجماعة أخر من أولاد الأمراء . وكان قد تقدم قبل ذلك بكسوة جماعة من الأيتام وأبناء الفقراء بالقاهرة ومصر ، فأحضروا إلى القلعة وختنوا . وحمل السلطان عن الأمراء والخواص كلفة التقادم[3] .

ذكر خبر غازية الخنافة[4]

وفى هذه السنة ظهر بخليج القاهرة قتلى ، وفقد جماعة من الناس أتهم بهم معارفهم ، والتبس أمرهم . ودام ذلك شهورا . ثم ظهر أن امرأة حسناء وضيئة تسمى غازية كانت تتبرج بزينة فاخرة وتطمع من يراها من الأحداث فى نفسها ، ومعها امرأة عجوز ، فإذا رأت أحدا قد مال إليها تعرضت له وخاطبته فى أمرها وقالت : هذه لا يمكنها أن تجتمع بأحد إلا فى منزلها خوفا على نفسها . فمنهم من يحمله الغرض على موافقتها فيتوجه معها ، فإذا حصل عندها خرج إليه رجلان

---

(١) هو سنقر الأشقر (راجع السلوك ، جـ ١ ص ٥٢٠) .

(٢) فى السلوك (نفس الموضع) : « الثلاثة » .

(٣) زاد السلوك هنا (جـ ١ ص ٥٢٠) : « التى جرت العادة بها للملوك فى مثل هذا المهم » .

(٤) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢١) .

فيقتلانه و يأخذان[1] لباسه وما معه . وكانوا ينتقلون من مكان إلى آخر مخافة الشعور بهم ، ثم سكنوا خارج باب الشعرية على الخليج ، وكان بالقاهرة ماشطة مشهورة بحذاقتها العجوز وقالت لها : عندنا امرأة قد زوجناها ونحتاج إلى قماش وحلى تتجمل به بالأجرة على العادة ، فأحضرى لها ما يمكنك ونحن نزيدك فى الأجرة ، وواعدتها أن تأتيها ليلا ففعلت الماشطة ذلك وأتتها ومعها جارية تحمل القماش والمصاغ ، فوصلتها الجارية وعادت ، فلما دخلت الماشطة قتلت وأخذوا ما معها ، ثم جاءت الجارية من الغد وطلبت الماشطة فأنكروها ، فتوجهت الجارية إلى متولى المدينة ، فجاء وهجم الدار ، فوجد فيها الصبية والعجوز ، فأخذهما وقررهما ، فأقرتا على نفسيهما[2] وعلى رجلين آخرين فحبسهما . وجاء أحد الرجلين يتفقد أمرهما فى الاعتقال فقبض عليه وعوقب فأقر ودل على رفيقه وعلى رجل[3] طواب كان يحرق لهم من يقتلونه[4] فى قمين الطوب . فطولع السلطان فى أمرهم ، فأمر بتسمير الخمسة فسمروا تحت القلعة ، وشفع بعض الأمراء فى إطلاق المرأة فأطلقت وفكت المسامير فماتت بعد أيام . وهدم عوام القاهرة الدار التى كانوا يسكنونها و يقتلون فيها . و بنيت مسجداً[5] بمأذنة ، وظهر فى الدار حفيرة فيها قتلى كثيرة .

---

(١) فى الأصل : « يأخذا بحذف النون وهو خطأ » .

(٢) فى الاصل : فاقرا على أنفسهما « بالتذكير » ، والعدول إلى التأنيث مما يقتضيه السياق .

(٣) فى هذه الرواية رجل ثالث . أما فى السلوك (فى الموضع الموازى) فلا يوجد رجل ثالث ، بل يكون الطواب هو الرجل الثانى والثالث .

(٤) فى الأصل : « ما يقتلوه » بالعامية ، وقد صحح لأن السياق لا يحتمل الاستعمال العامى فى هذه العبارة .

(٥) فى الأصل : « مسجد » بالرفع .

ذكر وصول رسل الملك بركة

قد ذكرنا[1] أن السلطان كان قد جهز الأمير سيف الدين كشريك والفقيه مجد الدين الروذراورى إلى الملك بركة، وأنهما توجها فى المحرم سنة إحدى وستين وستمائة . وذكرنا عود الفقيه مجد الدين للمرض الذى أصابه ، فتوجه الأمير سيف الدين ومن معه من المُغُل . وكان اجتماعهم بالأشكرى فى أنبه ، ثم رحلوا إلى القسطنطينية فى عشرين يوما. ومنها إلى اصطنبول[2] ، ومنها إلى دَفْنِسْيا ، وهى ساحل السوادق من جهة الأشكرى ، ثم ركبوا فى البحر إلى البر الآخر ومسيرة ما بين العشرة أيام إلى يومين، ثم طلعوا إلى جبل يعرف بسوداق ، فالتقاهم والى تلك الجهة فى قرية اسمها القرم[3]، يسكنها عدة أجناس من القفجاق والروس واللان . ومن الساحل إلى هذه القرية مسيرة يوم، ثم ساروا من القرم إلى برية يوما واحدا، فوجدوا بها مقدم عشرة الآف وهو حاكم على تلك الجهات ، ثم ساروا عشرين يوما فى صحراء عامرة بالخركاهات والأغنام إلى بحر إتل، وهو بحر حلو سعته سعة نهر النيل، وفيه مراكب الروس ومنزلة الملك بركة على طول ساحله .

قال : وحملت إليهم الإقامات فى طول الطرقات . ولما قاربوا الأردو تلقاهم الوزير شرف الدين القزوينى .

(١) راجع ما سبق ص ٦٤ / ٦٥ من هذا الجزء.

(٢) هنا يميز النص بين القسطنطينية واصطنبول .

(٣) يتحدث القلقشندى (جـ ٤ ص ٤٦٩) عن الطريق البحرى إلى هذه المناطق ويقول ان طريق البحر يبدأ من دمياط إلى الاسكندرية إلى خليج القسطنطينية إلى بحر القرم ثم إلى بحر الأزق (ولعل الأصح بالقاء) ويتهى إلى آخره حيث تقع مدينة الأزق (كذا) ، وحيث يصب نهرتان (بناء من فوق وألف مماله) أى نهر الدون الحالى . وقد ورد فى السلوك جـ ١ ص ٧٣٨ أن الظاهر بيبرس أرسل هدايا برسم عمارة جامع قرم ، وأمر أن تكتب عليه ألقاب السلطان وأرسل حجارا لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ .

ثم حضروا عند الملك بركة ، وكانوا قد علموا آدابه التى تعتمد معه ، وهى الدخول عليه من جهة اليسار، فإذا أخذت الكتب منهم انتقلوا إلى جهة اليمين، ويكون القعود على الركبتين . ولا يدخل أحد معـه إلى خركاته بسيف ولا سكين ولا عدة ، ولا يطأ برجله عتبة الخركاه ، ولا يقلع الإنسان عدته إلا على الجانب اليسار ، ولا يترك القوس فى القربان، ولا يخليه موترا ولا يخط فى تركاشه نشابا ، ولا يأكل الثلج ، ولا يغسل ثوبه فى الأردو .

قال : ووجد الملك بركة فى خركاه تسع خمسمائة رجل مكسوة لبادا أبيض، مستورة من داخلها بالصندات والخطاى(١) مرصعة بالجواهر واللؤلؤ ، وهو جالس على تخت ، وإلى جانبـه الخاتون الكبرى ، وعنده خمسون أو ستون أميرا(٢) على كراسى الخركاه . ولما دخلوا إليه أمر وزيره بقـراءة الكتاب ، ثم نقلهـم عن اليسار إلى اليمين ، وسألهم عن النيل، وقال: « سمعت أن عظماء لابن آدم ممتدا على النيل يعبر الناس عليه ؟ » فقالوا : « ما رأينا هذا »

قال : وأخذ قاضى القضاة الذى عنده هذا الكتاب وفسره وبعث به نسخة إلى القان . وقرئ كتاب السلطان بالتركى على من عنده ، ففرحوا به . وأعادوا الرسل بجوابه ، وسير معهم رسله ، فكان وصولهم فى ذى القعدة من هذه السنة .

ذكر توجه السلطان إلى الاسكندرية

وتقديم سيف الدين عطاء الله على عرب برقة

قال : ولما فرغ السلطان من هذا المهم توجه إلى ثغر الإسكندرية متصيدا،

(١) كذا فى الأصل. (٢) فى الأصل « أمرا ».

فعدّى فى ذى القعدة من السنة وسار الى تروجة[1]، ومنها إلى الحمامات ، وسار إلى منزلة الكرش بالقرب من العقبة الصغرى ، وضرب حلقة هناك ، ووصلت المسيرة إلى قرب العقبة الصغرى ، وعيّد عيد الأضحى ، وصلى صلاة العيد ، ونحر الأضاحى ، وبلغه أن بعض العربان قد عصوا فى البرارى ، فجرد إليهم جماعة ، وحضر جماعة من عرب هوارة وعرب سليم فكتب عليهم المحج بعمارة البلاد ، وألا يقربوا أحدا من العربان العصاة .

وعاد السلطان إلى الإسكندرية ، وصلى فى الجامع الغربى[2] ، ولعب الكره بميدانها ، وزار الشيخ الشاطبى[3] ، ورجع إلى القاهرة فلما وصل إلى تروجة رسم بتقديم سيف الدين عطاء الله بن عزّار[4] على عرب برقة ، وتحدث معه فى أمر العربان وكونهم ينتفعون من مصر بأثمان الخيول المحلوية والأغنام ، وأنهم يستنتجون الأغنام ويزرعون ولا يقومون بحق الله . فالتزم المذكور بحفظ البلاد واستخراج الزكاة من العربان . وأنعم عليه السلطان بصنجق[5] ونقارات[6] ، وتوجه[7] .

---

(١) موضع خرب يقع اليوم جنوب غربى دمنهور واسمة كوم تروجة ، وكان ينزله فى أيام المماليك عرب تروجه (السلوك جـ ١ ص ٥٠٠) وكان يبدأ منها طريق الى الحمامات (السلوك جـ ١ ص ٥٢٠) .

(٢) راجع عن الجامع الغربى بالاسكندرية النجوم (جـ ٧ ص ٣٦١) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبى المتوفى بالاسكندرية عام ٦٧٢ هـ (عن السلوك جـ ١ ص ٦١٤)

(٤) كذا فى الأصل بزاى معجمة ثم راء مهملة ، وكذلك فى السلوك جـ ١ ص ٥٢٠) .

(٥) صنجق بالصاد ، ويرد اللفظ بالسين أيضا ، وهو لفظ تركى معناه الرمح ، والمراد هنا الراية .

(٦) راجع القلقشندى (جـ ١ ص ٤٧٥) عن النقارات .

(٧) زاد السلوك (جـ ١ ص ٥٢٢) « وتوجه لحفظ البلاد واستخراج الزكاة والعشور من العربان ببرقة » .

قال : ولما وصل السلطان من الإسكندرية وصل شحنة[1] تكريت ومعه جماعة فأحسن إليهم .

ذكر الواقعة الكائنة بين المسلمين والفرنج ببلاد الأندلس — وانتصار المسلمين

كانت هذه الواقعة فى سنة اثنتين وستين وستمائة . وورد الخبر بها إلى الديار المصرية فى سنة ثلاث وستين بمقتضى كتاب ورد فى جمادى الآخرة يتضمن انتصار المسلمين على الفرنج . وأمير المسلمين وسلطانهم يومئذ أبو عبد الله بن الأحمر وكان الفنش ملك الفرنج قد طلب منه الساحل من طريف إلى الجزيرة ، ومالقة إلى المرية ، وحضر بجموعة ، فاجتمع المسلمون ولقوهم واقتتلوا ، فانهزم الفرنج مرارا ، وأخذ أخو الفنش أسيرا . ثم اجتمع الفـرنج فى جموع كثيرة ونزلوا على أغرناطه[2] فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة ، وجمعوا من رءوسهم نحو خمسة وأربعين ألف رأس ، وجعلت تلا ، وأذن المسلمون فوقـه . وأسر من الفرنج عشرة الآف . وذلك فى يوم الخميس رابع عشر شهـر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة . وانهزم الفنش الى اشبيلية ، وكان قد دفن أباه بجامعها فأخرجه من قبره ، خوفا من استيلاء المسلمين عليها وحمله إلى طليطلة ، واستعاد المسلمون من الفرنج اثنتين وثلاثين بلدا[3] من جملتها اشبيلية ومرسية وشريش وغير ذلك .

---

(١) الشحنة هنا هو صاحب الشرطة بحسب السلوك (جـ ١ ص ٥٢٠ جـ ١ حاشية ٤) .

(٢) فى الأصل : « اغرناطه » .

(٣) فى الأصل : « بلد » بالرفع .

وفى هذه السنة كانت وفاة الأمير حسام الدين لاجين العزيزى الجوكندار[1] بدمشق، ودفن بفسح قاسيون . وقيل إنه سم، وأن مملوكه جمال الدين أيدغدى واطأ عليه. وكان شجاعا كريما متواضعا يحب الفقراء ويكرمهم ويتولى خدمتهم بنفسه ، رحمه الله تعالى .

ذكر مقتل الزين الحافظى[2]

وفى أواخر سنة اثنتين وستين وستمائة، احضر هولاكو زين الدين أبا المؤيد سليمان بن عامر العقريانى ، المعروف بالحافظى ، وقال له ما معناه : قد ثبت عندى خيانتك وتلاعبك بالدول ، وأنك خدمت صاحب بعلبك طبيبا ، فخنته ، واتفقت مع غلمانه على قتله . ثم انتقلت إلى خدمة الملك الحافظ الذى عرفت به ونسبت إليه ، فلم تلبث أن خنته ، وباطنت الملك الناصر حتى أخرجت قلعة جعبر عن يد مخدومك ، ثم انتقلت إلى خدمة الملك الناصر فخنته معى، ثم انتقلت إلىّ ، فأحسنت إليك إحسانا لم يخطر ببالك أن تصل إلى بعضه منى ، وقد شرعت تعاملنى بما عاملت به الملك الناصر . وعدد له ذنوبا أخر من خيانته فى الأموال التى كانت قد ندبه لاستخراجها من البلاد، وأمر بقتله هو وأهله ، فقتل هو وأخوته وأولاده وأقاربه ومن يلوذ بهم ، وكانوا نحو الخمسين لم ينج منهم إلا ولده مجير الدين محمد وولد أخيه اختفى بالسوق وقيل إن السلطان الملك

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٢) والجوكان هو المحجن الذى يضرب به الكرة ، وأنه عبارة عن عصا مدورة طولها نحو من أربعة أذرع ، ورأسها خشبة مخروطة تزيد على نصف ذراع انظر القلقشندى (جـ ٥ ص ٤٥٨) .

(٢) راجع عن الزين الحافظى السلوك (جـ ١ ص ٤٣٢) .

الظاهر تسبب فى قتله ، فأنه أحسن إلى أخيه عماد الدين أحمد ،ورتب له راتبا كبيرا ، وأمره بمكاتبة أخيه واستدعائه ، وأنه إذا وصـل كان له ما يقترحه ، بشرط المواطأة على هولاكو وإفساد من يقدر على إفساده منهـم . فلما وصلت إليـه الكتب حملها إلى هـولاكو وقال : إن صاحب مصر إنما يكاتبنى بمثل هذا لتقع الكتب فى يدك فتقتلنى ، وقـد عزمت على أن أكاتبت الأمراء القائمين بدولته والأعيان ، وأكيده كما كادنى . فأبى[1] هولاكو ذلك ، فـلم يزل يراجعه حتى أذن له . فكاتب جماعة فعـلم السلطان أنها مكيدة ، فكتب إليـه يشكره على عرض الكتب على هـولاكو ، ويستصوب رأيه فى عرضها لتزول التهمة عنـه ، وأمر القصاد أنهم إذا وصلوا إلى شط جزيرة ابن عمـر يتجردوا من ثيابهم ويتجيلوا فى إخفاء أنفسهم ليظن أنهم قصدوا السباحة ففرقوا، ففعلوا ذلك . وجاء نواب التتار فوجدوا الثياب فأخذوها وجهزوا الكتب إلى هـولاكو فقرأها . وكان ذلك من أسباب قتله ، والله تعالى أعلم .

(١) فى الأصل : رسم الفعل بالألف الياء .

واستهلت سنة ثلاث وستين وستمائة

فى المحرم منها ، وصل الأمير جمال الدين سكز[1] بن الدوادار ، وكان أبوه المجاهد دوادار الخليفة ببغداد ، وكانت له نعمة عظيمة ، فأحسن اليه السلطان وأمره بطبلخاناه .

وفى صفر من السنة ، وقف السلطان الخان بالقدس الشريف ، وقرئ كتاب وقفه بحضور السلطان وقاضى القضاة تاج الدين .

ووقف اسطبلين تحت القلعة يعرف أحدهما بجوهر النوبى ، وحبسهما على وجوه البر .

وفيها فى العشر الآخر من المحرم ، انهى إلى السلطان أن جماعة من الأمراء والأجناد اجتمعوا فى دار على أكل ططماج وجرى بينهم كلام كثير أفضى إلى الغض من الدولة ، فاتصل ذلك بالسلطان وعين له ثلاثة نفرا وسعوا فى الكلام فى ذلك فأمر بتسميرهم ، فسمر أحدهم ، وكحل الثانى ، وقطعت رجل الثالث . وأفرج عن بقيتهم ، وأمر ألا يجتمع أميران فى مكان ، وألا تعمل وليمة ولا ضيافة عن غير موجب ، فحسمت مادة الاجتماعات .

وفى صفر ورد كتاب الأمير عز الدين أيدمر النائب بالكرك أنه رتب راتب الأسمطة والضيافة بحرم الخليل عليه الصلاة والسلام للوافدين . وكان ذلك قد قطع من مدة طويلة .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤ : ٥) حيث سماه بشكر بدل سكز .

وفيهـا فى تاسع عشر شهر ربيع الأول قطع السلطان أيدى جماعة من نواب متولى القاهرة والخفراء وأصحاب الأرباع والمقدمين ، وكانوا ثـلاثة وأربعين رجلا[1] ، وكان سبب ذلك على ما حكاه الصاحب عز الدين بن شداد ، ظهور شلوح ومناسر بالقاهرة وضواحيها ينهبون ويقتلون حتى تعرضوا للعـريان الذين تحت القلعـة ، فارتفعت أصواتهم حتى سمعها السلطان وسأل عن خبرهم فأخبر بصورة الحال ، فلما أصبح أنتـه ورقة الصباح وليس فيها ذكر هـذه الحادثه ، فأنكر على متولى القاهرة ، فاعتذر أن نوابه لم يطالعوه بها ، فأمر السلطان بقطع أيد يهم فمات بعضهم وسلم البعض .

وحكى غيره ، عن الأمـير عز الدين أيدمر الظاهرى ، أن السلطان خرج ليلة متنكرا وجعل يطوف أزقة القاهرة ، وكان يفعل ذلك ويتفقد أمور الناس وأحوالهـم ويسمع من ألفاظهم ما لاينقل إليـه ، فمر فى بعض أزقة المـدينة فوجد بعض مقدمى[2] الوالى قد أمسك امرأة وهو يتهددها ، وهى تقول له : اتق الله ، والله ما أفعل هذا [إلا][3] من حاجة وأنت تعلم أن عندى خمسة أيتام . فقال : أنا ما أعرف هذا ، ولا بد أفعل وأصنع . فقالت له تقدم عنى ناحية . وخاصت لباسها وناولته إياه ، وقالت : والله ما أمسك سواه فأخذه وأطلقها . فعرفه السلطان ثم لم تكن له همة إلا أن جمعهم وقطع أيديهم ، وشاهد فيمن قطع ، ذلك المقدم بعينه .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٠) .

(٢) فى الأصل : « مقدمين » ، والتصويب مما يقتضيه النحو .

(٣) فى الأصل : « ما » والتصويب مما يقتضيه تركيب الجملة .

وفى هذه السنة توجه السلطان إلى الصيد بجهة العباسة، وذلك بعد عوده من ثغر الإسكندرية ، فرمى البندق ، وأصرع جماعة وادعوا للسلطان[1] ، ومن جملتهم الملك العزيز فخر الدين عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك .

وتوجه السلطان من العباسة إلى قلعة الجبل فأقام ليلة واحدة ، وجهز العساكر، ثم توجه هو بعدها إلى الشام وصرع بشراً[2] بالقرب من رأس الماء ، وذلك فى ثالث شهر ربيع الأول . وكان سبب توجهه ما بلغه من محاصرة التتار البيرة وكان فى هذه السفرة من الغزوات والفتوحات ما نذكره ، إن شاء الله تعالى ، فى موضعه .

وفى هذه السنة رسم السلطان بتبطيل المزر[3] بالديار المصرية وأن تخرب البيوت التى يعمل فيها وتكسر مواعينه ويسقط من الديوان ارتفاعه ، ورسم بتعويض المقطعين عنه . وكتب بذلك إلى الأمير عز الدين الحلى فأبطلها .

ولما فتح السلطان فى هذه السفرة ما نذكره من بلاد الفرنج عاد إلى مقر ملكه ، وكان رحيله من أرسوف فى يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة ، ودخوله إلى القاهرة فى يوم الخميس حادى عشر شعبان من السنة، وشق المدينة والأسارى بين يديه ،وهم الناس بالخلع والإنعام،

---

(١) راجع عن : « الادعاء » السلوك (جـ ١ ص ٥٢٣).

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٣) .

(٣) تفرق نصوص هذا العصر بين المزر والقمز والخمر (راجع عن القمز السلوك جـ ١ ص ٦٠٧ ، ٦٢٦) .

من الأمراء والوزراء والمقـدمين والمفاردة والخـواص حتى البرد داريّة[1] وجميـع الحاشية. وتصدق بجملة عظيمة من الدراهم والغلال على الفقراء، وفرق كساوى بالجوامع .

ذكر خبر الحريق بالقاهرة ومصر واتهام أهل الذمة وما قرره عليهم من الأموال بسببه[2]

وفى هـذه السنة فى جمادى الآخرة ، وقعت نار بحارة الباطليـة بالقاهرة ، فأ مرقب ثلاثا[3] وستين دارا جامعة . ثم كثر الحريق بعد ذلك بمصر حتى احترق من رباعها المشهورة ربع فرح ، وكان وقفا على الأشراف بالمدينة ، وأكثر ربع العـادل وغير ذلك . وكانت توجد لفايف من المشاق والكبريت والأصـناف النفطية على الأسطحه . وشاع الخـبر أن النصارى يفعـلون ذلك لأجل ما فعله السلطان ببـلاد الفرنج من إحراق الكنائس . فجمـع السلطان عنـد عوده من الشام النصارى واليهود ، وأنكر عليهم هذه الأمور التى تفسخ عهودهـم ، وأمر بتحريقهم . فجمع منهـم عالم كثير تحت القلعة وأحضرت الأحطاب والحلفا . فسأل أهل الذمة مراحـم السلطان ، فقرر عليهم حمـل خمسمائة ألف دينار إلى بيت مال المسلمين ، والتزم بتوزيعها واستخراجها بطرك النصارى ، والتزموا أنهم لا يعودون إلى شىء مما كانوا يعتمدونه من المنكرات ، ولا يخرجون عن الذمة وشرطها وحمـل المـال المقرر شيئا بعد شىء .

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٣٤) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٣٥) .

(٣) فى الأصل : « ثلاثة » .

وفى هذه السنة ، اعتقل السلطان الأمير نور الدين زامل بن على[1] ، وكان قد حصل منه إساءات وفتن مرة بعد أخرى . وقبض السلطان عليه ثم أطلقه وأصلح بينه وبين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، والأمير أحمد بن حجى ، والأمير هارون ، وحلفهم ، وأعاد إقطاع زامل إليه و إمرته . فلما توجه لم يتأن إلى أن يصل البلاد بل ساق من أوائل الرمل [وهجم على بيوت عيسى][2] وأفسد ، وأمسك قصاد السلطان ومملوك الأتابك المتوجه إلى شيراز ، وأخذ منهم الكتب ، وتقرب بها إلى هولاكو ، وتوجه إليه وأطمعه فى البلاد فأعطاه إقطاعا فى العراق . وتوجه [زامل] إلى الحجاز فنهب وقتل وانتهك حرمة الأشراف ، وحضر إلى أوائل الشام[3] . وكان السلطان قد أعطى إقطاعه و إمرته لأخيه أبى بكر ، فراسل زامل السلطان فى طلب العفو ، فتقرر حضوره فى وقت معلوم وأنه متى تأخر عنه ليس له عهد ولا أيمان ، فتأخر عن المدة المعينة ثم وصل فاعتقله السلطان .

وفيها : حضر إلى السلطان نعجة قد ولدت خروفا على صورة الفيل له خرطوم طويل وأنياب وإلية خروف .

وفيها : جهز السلطان الأخشاب والحديد والرصاص والآلات والصناع[4] ، فكانوا ثلاثة وخمسين رجلا لإتمام عمارة الحرم الشريف النبوى . وأنفق فيهم الأموال وجهزمعهم المئونة ، وندب لذلك الطواشى شهاب الدين محسن الصالحى[5] ،

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٣٥) .

(٢) زاد السلوك هنا (نفس الموضع) : « وهجم على بيوت عيسى » .

(٣) يقابل هذه العبارة فى السلوك (جـ ١ ص ٥٣٦) : « وعاد إلى الشام » .

(٤) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٠٢) مع ملاحظة اختلاف التوقيت والتفصيل .

(٥) يرد اسمه مسافرا مع كسوة الكعبة فى السلوك (جـ ١ ص ٥١٢ س ٢) .

ورضى الدين أبا بكر ، والأمير شهاب الدين غازى بن فضل اليغمورى مشدا ، ومحيي الدين أحمد بن أبي الحسين بن تمام طبيبا إلى البيمارستان الذى بالمدينة ، ومعه أدوية وأشربة ومعاجين ومراهم وسكر لأجل من يعتريه من الجماعة مرض . وكان خروجهم من القاهرة فى سابع عشر شهر رجب . ووصلوا إلى المدينة فى ثانى شوال . واستمر العمل فى العمارة إلى سنة سبع وستين وستمائة . وكان السلطان يمدهم بما يحتاجون إليه من النفقات والآلات .

وفيها : توجه السلطان إلى بحر أشموم ، وغرق عدة مراكب لإصلاحه ، وتولى الحفر بنفسه ، وشاهد الناس على كتفه قفة مملوءة ترابا . فلم يبق أحد من الأمراء وغيرهم إلا بادر وفعل مثل ذلك . فتنجز ذلك فى ثمانية أيام ، وذلك فى شوال من السنة .

وفى حادى عشرين الشهر رسم السلطان بإبطال حراسة النهار ، وكانت جملة مستكثرة وكتبت التواقيع بإبطالها .

وفى الشهر قرئ مكتوب بجامع أشموم بمسامحة الأعمال[1] الدقهلية والمرتاحية بأربعة وعشرين ألف درهم عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدى[2] .

وفيه توجه شجاع الدين بن الداية الحاجب رسولا إلى الملك بركة[3] ، فى كف غارات الملك بركة عن بلاد الأشكرى حسب سؤاله فى ذلك ، وسير معه ثلاث

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٨ س ١) .

(٢) النقيدى : موضع قرب فم خليج الإسكندرية .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٨) .

عمر أعتمر بها بمكة المالك بركة . وسير معه قمقمان من ماء زمزم ، ودهن بلسان وغير ذلك .

وفي ذي القعدة وصل الأمير جمال الدين النجيبي نائب السلطنة بالشام فتحدث السلطان[1] معه في مهمات ، وكتب على يده تذكرة[2] ، وعاد في ذي الحجة .

ذكر تفويض القضاة لأربعة حكام[3]

وفي ذي القعدة سنة ثلاث وستين وستمائة فوض السلطان القضاء بالقاهرة والديار المصرية لأربعة قضاة ، لكل مذهب قاض . وسبب ذلك أن الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى كان يكره قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ويغض منه عند السلطان لتثبته في أحكامه وتأنيه[4] واحترازه ، فاتفق أن السلطان جلس بدار العدل فقدمت له قصة من بيت الملك الناصر تتضمن أنهم ابتاعوا دارا من القاضي بدر الدين السنجاري وأن ورثته بعد وفاته ادعوا أنها وقفت قبل ذلك ، فأخذ الأمير جمال الدين أيدغدى ينقص المتعممين فقال السلطان للقاضي تاج الدين : « هكذا تكون القضاة؟ » . فأجابه بالآية : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[5] . قال : «فكيف العمل في هذا ؟ » . قال : «إذا ثبت الوقف يستعاد

(١) انظر السلوك (جـ ١ ، ص ٦٥٠) وكذلك النجوم (جـ ٧ ص ٢٨١) .

(٢) التذكرة وثيقة تصدر عن السلطان إلى نوابه بمصر أو ببلاد الشام أو إلى قصاده الذين يرسلهم إلى الملوك — وتتضمن التذكرة عادة ما يراد تكليفهم به (راجع السلوك جـ ١ ص ٤٨٠ حاشية ٥ وكذلك القلقشندى جـ ١٣ ص ٧٩ ، ١٠٤) .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٣٨ ، ٥٤٢) وكذلك النجوم (جـ ٧ ص ١٢١) .

(٤) في الأصل : « وتأنيه » ولا معنى له ، والتصويب يقتضيه السياق .

(٥) فاطر آية ١٨ .

الثمن من الورثة من مال مورثهم » . فقال السلطان : « فإن عجزوا عن الثمن ؟ » قال : « الوقف باق على أصله » . فامتعض السلطان لذلك . فلم يتم الكلام حتى تقدم رسول صاحب المدينة النبوية وقال : « حملت كتاب السلطان إلى قاضى القضاة أن يسلم إلى المال الذى تحت يده من الوقف ، لأنفقه فى فقراء أهل المدينة ، فلم يفعل » . فسأل السلطان القاضى عن ذلك . فقال : « صدق هذا الرجل ، أنا لا أعرفه ، ولا أسلم المال إلا لمن أعرفه وأثق بدينه وأمانته ، فإن تسلمه السلطان أحضرته بين يديه » . فقال السلطان : « تخرجه من عنقك وتجعله فى عنقى ، لا تسلم المال إلا لمن تختاره وترضاه » . وتقدم بعض الأمراء فى المجلس وشكى من القاضى تاج الدين فى قضية أخرى هى شهادة[1] لم يثبتها لبعض أولاد خوشد اشيته فقال القاضى : « لم تأتنى بينة[2] » . فقال الأمير : حضرت البينة فلم تسمعها . فسأله السلطان عن امتناعه من سماع البينة . قال : « لا حاجة إلى ذكر الجواب » . فقال الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى للقاضى نحن نترك مذهب الشافعى لك ويولى السلطان من كل مذهب قاضيا ، فرجع السلطان إلى قوله[3] ، وفوض النظر فى الأحكام والقضايا إلى حكام أربعة[4] وهم : قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب المشار إليه ، قاضى الشافعية . والشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله ابن صالح بن عيسى السبكى ، قاضى المالكية ، والقاضى صدر الدين سليمان قاضى الحنفية والشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم المقدسى ،

(١) الإضافة للايضاح وهى منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٥٣٩)

(٢) فى الأصل : « لم تأتنى » ، وهو خطأ

(٣) فى الأصل : قاصد وهو خطأ

(٤) انظر النجوم (جـ ٧ ص ١٢٢)

قاضى الحنابلة . وجعل لهم السلطان أن يولوا فى الأعمال نوابا عنهم. وخص قاضى القضاة ، تاج الدين الشافعى، بالنظر فى أموال الأيتام والأوقاف بمفرده بالديار المصرية ، بتقليد سلطانى نسخته بعد البسملة ، ومثال العلامة السلطانية بين السطرين المستعلى بالله .

«الحمد لله مجرد سيف الحق لمن اعتدى ، وموسع مجاله لمن راح إليه وأغتدى ، وموضح طريقه لمن اقتاد به واقتدى ، ومزين سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس الهدى ، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية ينبوعا ، وأقامها أصلا مد بثمار الرشد فروعا. نحمده على نعمة التى ألزمتنا التشييد [فى](١) مبانى الإنصاف شروعا» . «ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نعمر بها من القلوب والأفواه ربوعا . ونصلى على سيدنا محمد الذى بعثه الله إلى العالم جميعا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة يناجى القائل بها بصيرا سميعا » .

« وبعد : فإن أحق من استوعبت كليات المحامد له بالتبعيض ، وطافت المحامد من كعبة العلم بركن منه طواف المفرض لا طواف المفيض وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء التفويض ، وريش جناحه وإن لم يك بالمهيض ، وفسح مجاله وإن كان الطويل العريض ، ورفع قدره على الأقدار ، وتقسمت من سحائبه الأنواء ، ومن أشعته الأنوار ، ووغزر مدّه فجرت منه فى رياض الرشد الأنهار ، وغدا تخشع لتقواه القلوب ، وتنصب لفتواه الأسماع وترنو لمحياه الإبصار ، من أوفد من إرشاده للامة وللائمة لطفا فلطفا ، وأوقد من علمه جذوة لاتخبو ، ومن عدله قبسا بالهوى لا يطفأ ، وفات النظراء والنظار فلا يرسل أحد

(١) كذا فى الاصل . أما الإضافة فيقتضيها تركيب الجملة .

معه طرفا، ولا يمد إليه حياء منه طرفا، وقد جاز واحتوى من العلوم على ماتفرق فى غيره وغدا[1] خير دليل إلى الحق ، فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى اجتهاده ، ولا يهتدى فى المذاهب إلا بسيره ، وأصبح لفلك الشريعة المحمدية قطبا ، ولخشمانها قلبا ولسوارها قلبا ، وأضحى لدليلها برهانا ، ولإنسانها عينا ، ولعينها إنسانا ، فكم أرضى بعدله وفضله بنى الأيام عن الأيام ، وكم أغضى مع قدرته على الانتقام ، وكم أمضى حكما لا انفصال لعروته ولا انفصام ، وكم أفضى بالجـور إلى ماله وبالعدل إلى الأيتام ، فلو استعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه ، ولم يداجه لكونه يستر عليه تعبده فى دياجيه ، فهو الحاكم بالحق ولو على نفسه ، والمسترد الحقوق الذاهبة حتى لغده من يومه وليومه من أمسه .

« ولمـا كان المجلس السامى القضائى الإمامى ، العالى العاملى ، الأشرف الزاهدى الأثيرى المـاجدى الذخيرى الأفضلى الجلالى التاجى ، حجة الإسلام ، شرف الأنام ، مجد الأمة ، فخر الأئمـة ، صدر الشريعة مقتدى الفرق ، رئيس الأصحاب ، لسان الحق ، ذخر الملوك والسلاطين ، ولى أمـير المؤمنين ، قاضى القضاة ، عبـد الوهاب بن القاضى الأجل الأوحد الأعز أبى القاسم خلف ، حرس الله جلاله ، ممن هو فى أحسن هـذه السمات يتصور ، وله أنوار بركات تعد ونجوم السماء بها تتكثر ، وقد تجوهر بالعـلوم فأصبح التاج المجوهر ، وله مزايا السؤدد التى لا يشك فيها ولا يرتاب ، وسجايا الديانة التى إذا دخل غـيره إليها من باب واحد دخل هو إليها من عدة أبواب ، وهو شجرة الأحكام ومصعد كلم الحكام ، ومطلع أنجم شرائع الإسلام ، ومهبط وحى التقدمات والارتسام ومكاظ قضايا الحلام والحرام » .

(١) فى الأصل ، وهذا ، ذلك أن الجملة هنا تحتاج إلى فعل لا إلى اسم الاشارة

«خرج الأمر العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى ، لا زال ماضيا وبالسداد قاضيا : بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية فليحكم جميعها بما أراه الله من مذهب الإمام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى، رضى الله عنه ، وأموالى اليتامى على اختلاف أجناسها هى ودائع الأموات ، ودخائر كل ممنوع من التصرفات ، وقد أوصى الله بها ، واوسع المتعدى عليها إنكارا وتحذيرا ، وخوف من أكلها ظلما ، فقال جل وتعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾[1] » . وقد رأينا أن نخصص المجلس السامى بالنظر فى جميع أمورها و إذ قد غدت ذخر كل منقطع فنجعله من ذخرها ، فلينظر[2] فى جميع أموال الأيتام على اختلاف أجناسها بالقاهرة ومصر المحروستين والديار المصرية بمفرده و بمن يستنيبه عنه ، وليحطها بنظره ، و يضبطها بحسن تأثيره وأثره ، وكذلك ما يختص بمذهبه من الجوامع والمناصب والمساجد والربط والتصديرات والأوقاف ، ينظر فى جميعها و يولى فى أصولها وفروعها ، والأوقاف العامة من الصدقات وغيرها ، ينظر فيها بنفسه و بنوابه ، حافظا لأمورها وملاحظا لتدبيرها ، ومجتهدا فى صلاحها وتشميرها ، وليستصحب من ذلك ما هو ملى باستصحابه ، وليستمر على إقامة منار الحق الذى هو موثق عراه ومؤكد أسبابه ، عالما بأن كل إنارة أضاءتها من قبسه وأن استضاءنا بها فى دياجى المنى ، وكل ممرة من مغترسه و إن مددنا إليها يد الاجتنا ، وكل جدول هو من بحره وإن بسطت إليه راحة الاغتراف وكل منهج هو من جادته و إن ثنيت اليه أعنة الاستطلاع للافادة والاستكشاف

(١) النساء آية ١٠ .

(٢) فى الاصل فينظر ، والتصحيح يحتمه السياق .

وهو محمد الله المجتهد المصيب ، والمادة للعناصر وإن كان يصيبه منها أوفر تصيب ، والصادق الذى ينبيء بالحق إذا وامرته[1] المراسيم ، ولا ينبؤك مثل خبير ، ووصاياه منها يسترشد ، فلا يفاوض فيها ، ومنه تتعلم فلا نكرر عليه ما يستفاد منه من معانيها ، والله تعالى يسد بأحكامه الذريعة ، ويحمى به حمى الشريعة إن شاء الله تعالى ، وكتب فى ثامن وعشرين ذى القعدة سنة ثلاث وستمائة بالاشارة العالية المولوية الأتابكية الفارسية وأعزها الله ، الحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » .

ولما فوض السلطان القضاء بالديار المصرية لحكام أربعة ، فعل مثل ذلك بدمشق[2] ، وجهز التقاليد إلى الحكام الذين وقع الاختيار عليهم ، وهم : القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الشافعى ، على عادته ، والشيخ زين الدين عبد السلام الزواوى المالكى قاضى المالكية ، والقاضى شمس الدين عبد الله ابن محمد بن عطاء الأذرعى الحنفى قاضى الحنفية ، والشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبى عمر الحنبلى قاضى الحنابلة ، ووصلت تقاليدهم بذلك فى سادس جمادى الأول سنة أربع وستين وستمائة ، فامتنع المالكى والحنبلى من قبول الولاية والدخول فى باب القضاء ، فطولع السلطان بذلك ، فورد جوابه بالزامهما ، وأنهما إن استقرا على الامتناع وصمما عليه يعزلا عما بأيديهما من المناصب ويخرجا من بلاد السلطان ، فقبلا الولاية ، وامتنعا من قبول المعلوم المقرر للقضاة وقالا : « نحن فى كفاية عن قبول المعلوم » .

---

(١) كذا فى الأصل ، وامرته (بمعنى أمرته) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٤٢) .

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الأقرع

وفى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة ، قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الأقرع . وسبب ذلك أن رسول الملك بركة أحضر معه رجلا ادعى أنه الملك الأشرف بن الملك المظفر شهاب الدين غازى ، فطلب السلطان من يشهد له بصحة ذلك ، فشهد له المذكور ، فبحث السلطان عن أمره ، فوجد الأمير شمس الدين المشار إليه بعث إليه واستدعاه من عند الملك بركة لغرض كان فى نفسه ، فقبض السلطان عليه واعتقله ، واعتقل من شهد له بخزانة البنود .

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الرومى[1] وذنوبه السالفة

وفى رابع وعشرين ذى الحجة من السنة ، أمسك السلطان الأمير شمس الدين سنقر الرومى . وسبب ذلك ، أنه كان له مملوك جميل الصورة ، فبلغه أن السلطان ربما تعرض إليه يفعل ، فغضب لذلك ، وشفع السلطان عنده فيه فلم يقبل شفاعته ، وضربه وحمى سفودا من الحديد وجعله فى دبره فمات ، فطلبه السلطان من وقته واعتقله . وأما ذنوبه السالفة فإنه كان جمدار الملك الصالح ، وكان مؤاخى الملك الظاهر لما كانا فى الخدمة الصالحية وبينهما صداقة ، ولما كان من أمر البحرية ما قدمناه كانا جميعا وكان الملك الظاهر يتفقده بالمال والقماش ، ولما قتل الملك المظفر لم يكن شمس الدين حاضرا ، وأعطاه السلطان الإقطاعات العظيمة فصار يخلو بجماعة بعد جماعة ويفرق عليهم المال الذى ينعم

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٤٠) .

به السلطان عليه ، فاتصل ذلك بالسلطان فأرسل إليه يحذره مع خوشداشيته ، فلم يفد ذلك شـيئا ، وبقى ذلك فى خاطر السلطان ، فلما قتل الآن مملوكه وقبض عليه أرسل يقول : «اشتهى أعرف ذنبى» ، فسير السلطان إليه من عدد ذنوبه ، فتحسر وقال : « آه ، لو كنت حاضرا قتل الملك المظفر حتى أعاند السلطان فى الذى جرى» ، وكان قد تكلم بهذا الكلام وشافه السلطان به فى حال إحسانه إليه ، واستمـر فى الاعتقال إلى أن توفى ، وكانت وفاته فى يوم الأحد عاشر جمـادى الأول سنة ست وسبعين وستمائة .

ذكر وفاة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى وشىء من أخباره[1]

وفى هذه السـنة فى يوم السبت رابع عشر شهر رجب : كانت وفاة قاضى القضاة بـدر الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن بن على بن الخضر السـنجارى الشافعى ، رحمه الله تعالى ، فجأة ، وكان قد أكل بطيخا أصفر وسلنجينيا[2] عقب خروجه من الحمام . ودفن فى يوم الأحد بمدرسته بالقرافة بجوار تربة الإمام الشافعى ، وصلى عليه قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز . ومولده بسواد إربل فى رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وكان قاضيا بسنجار ، وكان له على السلطان الملك الصالح من الخدمة بسنجار ما قدمنا ذكره ، فلما ملك الملك

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٤١) والنجوم (جـ ٧ ص ٢١٩ عام ٦٦٣) ، وشذرات الذهب (جـ ٥ ص ٣١٣ أخبار عام ٦٦٣) ، وينسب هذا القاضى أيضا إلى جد له اسمه زرارة فيقال الزرارى .

(٢) المقصود نوع من المأكولات لم يستطع المحقق قراءة اسمه أو التعرف عليه ومن الممكن قراءة اللام كافا بحسب عادة الناسخ .

الصالح دمشق كما تقدم ، ولاه قضاء بعلبك وأعمالها وقرر له معلوما كثيرا ، وكان قد وصل فى صحبته ، ولما ملك الديار المصرية حضر إليه فأكرمه ، وفوض إليه القضاء بمصر والوجه القبلى ، ثم بالقاهرة والوجه البحرى كما تقدم ذكر ذلك . وولى الوزارة كما تقدم أيضا فى أيام الملك المنصور نور الدين بن الملك المعز ، وكان ، رحمه الله تعالى ، مكينا عند السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان الأمير فخر الدين بن الشيخ يكرهه ، فكتب إلى السلطان الملك الصالح يذكر عنه أنه يأخذ من نوابه الأموال ، ومن يعدله من الشهود ، وأشباه ذلك ، فأجابه السلطان فى طرة كتابه : « يا أخى فخر الدين : للقاضى بدر الدين على حقوق عظيمة لا أقوم بشكرها ، والذى ولينا ه قليل فى حقه ، وما قمت له بما يجب على من مكافأته » ، فلم يعاوده الأمير فخر الدين فى أمره ، وبقيت هذه الورقة عنده فى جملة أوراقه ، فلما قتل وخلف بنتا صغيرة ، احتاط ديوان الأيتام على موجوده فوجدوا هذه الورقة فحملوها إلى القاضى بدر الدين ، فأوقف الناس عليها ، وكان رحمه الله تعالى ، كريما كثير الاحتمال ، كثير المروءة ، حسن العشرة ، يقبل الاعتذار ، ولا يكافىء على السيئة بمثلها ، بل يحسن لمن ظهرت اساءته ، ويبره بماله ويستميله باحسانه ، إلا أنه شهر عنه فى ولاية القضاء قبول هدايا النواب ، حتى قيل إنه ربما كان قرر على كل منهم ما لا يحمله فى كل مدة فى مقابلة ولايته على قدر الولاية ، وكذلك أيضا من يقصد إنشاء عدالته حتى كثر المعدلون فى أيامه ، ووصل إلى العدالة من ليس من أهلها ، ولما ولى قاضى القضاة تاج الدين أسقط كثيرا من عدوله ، ولقد جاء بعد ذلك زماننا وأدركت بقايا عدوله فكانوا أميز العدول وأجل الناس ، ومنهم من لى قضاء القضاة وبلغ ، رحمه الله تعالى ، خمسة وثمانين سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعالى .

وفى هذه السنة فى يوم الاثنين مستهل شعبان توفى الأمـير جمال الدين موسى ابن شرف الدين يغمور بن جلدك بلمان[1] بن يغمور استاد دار السلطان الملك الظاهر، وهـو الذى كان ينـوب عن الملك الصالح نجـم الدين أيوب بدمشق، وكان عالى المنزلة عند الملوك الأيوبية ومن بعدهم ، ودفن بسفح المقطم، وكان مولده بالقـرية اليغمورية بقرب سمهـود من الأعمال القوصية[2] فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسـعين وخمسمائة ، وهـو يارونى الأصـل ، : وكان عفيـفا كريما سمحا جـوادا ، كيسا لطيفا ، متواضعا حسن العشرة والسيره ، كثـير البر والصدقة ، رحمه الله تعالى .

وفى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وستمائة أيضا: أمر السلطان بشنق الشريف حصن الدين بن ثعلب الجعفرى[3] بالإسكندرية ، فشنق خارج باب البحر، وكان السلطان قد اعتقله بها ، وسبب شنقه أن الشريف السرسناى أحد عدول الثغر كان يتردد إليه فى معتقـله لتأنيسه وقضاء حوائجه ، فاتصل بالسلطان أنه أعمل الحيلة فى هروبه ، وكان الشريف قد حضر إلى مصر لقضاء حوائج حصن الدين فأحضره السلطان وسأله عن ذلك ، فأنكره ، فأراه الخطـوط الواردة من الإسكندرية بالشهادة عليه بذلك ، وأمر بشنقه فشنق تحت قلعة الجبل . وسير السلطان عز الدين أيبك الأفاحصارى[4] إلى الإسكندرية فشنق الشريف حصن الدين .

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٩ ص ١٧) والنجوم (جـ ٧ ص ٢١٨) .

(٢) راجع حاشية النجوم (جـ ٧ ص ٢١٨ حاشية ٣) حيث تقول إن الاسم الحالى هو كوم يعقوب وهو اسم قرية تقع مركز تجع حمادى بين سمهود وبخانس إلى الجنوب من سمهود .

(٣) راجع السلوك (جـ ١ ص ٣٨٨) .

(٤) كذا بالأصل .

واستهلت سنة أربع وستين وستمائة

فى هـذه السنة توجه الملك السلطان الظاهر إلى الشام فى مستهل شعبان[1] ، واستناب بقلعة الجبل الأمير عز الدين أيدمر الحلى ، وجعله فى خدمة ولده الملك السعيد هو والصاحب بهاء الدين ، وتوجه . وكان فى سفرته هذه من فتوح صفد والغارات على بلاد الفرنج ما نذكره ، إن شاء الله تعالى .

ذكر عمارة جسر دامية[2]

وفى جمادى الأول سـنة أربع وستين وستمائة ، رسم السلطان ببناء جسر على نهر الأردن ، وهـو النهر الذى يشق غور الشام ، ويسمونه الشريعة . وهـذا الجسر هو بقرب داميـة ، فيما بينها وبين فراوى . واتفق فيه أعجـوبة لم يسمع بمثلها : وذلك أن السلطان ندب الأمير جمال الدين بن نهار المهنـدار لعمارته ، ورسم أن يكون خمس قناطر . واجتمـع الولاة لذلك ومنهم : الأمير بدر الدين محمـد بن رحال متولى نابلس وحصلوا الأصناف وجمعـوا الصناع ، وعمروه على ما رسم به السلطان . فلمـا تكاملت عمارته وتفرق ذلك الجمع اضطرب بعض أركان الجسر ، فقلق السلطان لذلك وأنكر عليهم وأعادهم لإصلاح ذلك . فتعذر عليهم لزيادة المـاء وقوة جريانه ، فأقاموا كذلك أياما وقـد تيقنوا العجز عنه . فلما كان فى الليلة المسفرة عن السابع عشر من شهر ربيع الأولى سنة ست وستين

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٤٥) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٣٨١ ، ص ٤٤٥) حيث تقول الحاشية إن الجسر باق إلى اليوم .

انقطع ماء الشريعة حتى لم يبق بهـا شيء منه ، فتبادروا وأشعلوا النيران الكثيرة والمشاعل واغتنموا هـذه الحادثة وأصلحوا الأركان وقووها ، وأصلحوا منهـا ما لا كان يمكن عمله . وركبوا من يكشف خبر هذه الحـادثة ، فساقوا الخيل فوجدوا كتاراً[1] مرتفعاً كان يشرف على الشريعة من الجانب الغربى ، والكتار شيء يشبه الجبل وليس بجبل لأن المـاء يحله بسرعة كالطين ، قد سقط فى الشريعة فسدها ، وانسكر المـاء وتحامل على جهة الغور مما وراء السكر ، فعادوا بالخـبر ، وانقطع المـاء من نصف الليل إلى الرابعة من النهار ، ثم تحامل المـاء وكسر ذلك الكتار ، وجاء طول رمح فلم يؤثر فى ذلك البناء لإتقانه ، وحمل المـاء ما كان هناك من آلات العمارة . وهـذه الحـادثة من عجائب الاتفاق . وهذا الجسر باق إلى وقتنا هذا .

وفى جمادى الأولى أيضا تكامـلت عمارة الدار الجديدة[2] المرسوم بعمارتها عند باب السر المطل على سوق الخيل . وعمل بها دعوة للأمراء .

وفى هذه السنة اهتم السلطان بحفر خليج الإسكندرية ، وندب الأمير علم الدين المسرورى لذلك ، ثم توجه السلطان بنفسه وباشر الحفر وأزيلت الرملة التى كانت على الساحل بين النقيدى وفم الخليج ، ثم عدى إلى برأبيار ، وغرق المراكب هناك وبنى عليها بالحجارة ، ثم رجع إلى القاهرة .

وفى شهر رمضان من السنة وصـل إلى دمشـق ولد الخليفـة المستعصم بالله المسمى بالمبارك[3] الذى كان عند هولاكو ، وصحبته جمـاعة من أمراء العربان .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٤ س ٩) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٩ س ١١ — ١٥) .

فأنزله الأمير جمال الدين النجيبي فى أعز مكان . فلما وصل السلطان إلى دمشق سير إليه جمال الدين بن الدوادار والطواشى مختار، فما عرفاه . وظهر أنه بخلاف ما ادعاه ، فسير إلى مصر تحت الاحتياط .

وفى ذى القعدة وصل شخص آخر أسود ادعى أنه من أولاد الخلفاء ، فسير إلى مصر أيضا .

ذكر الوثوب على الأمير عز الدين الحلى[1] وضربه بالسكين وسلامته وقتل الأمير صارم الدين المسعودى

قال: لما كان فى يوم الاثنين منتصف ذى الحجة سنة أربع وستين وستمائة جلس الأمير عز الدين الحلى بدار العدل ، ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة ، وإذا بإنسان يخترق الصفوف — وبيده قصة — ، فوقف قدامه ، وكان بيده سكين بين أثوابه ، فضرب بها حلق الأمير عز الدين . فأمسكها بيده فجرحت يده ، ثم رفسه برجله ونام على ظهره وقصد أن يضربه مرة أخرى أو يضرب الصاحب . فلما رفع يده جاءت السكين فى فؤاد الأمير صارم الدين قايماز المسعودى فمات لساعته . وكان فخر الدين متولى الجيزة حاضرا فأمسكه ورماه . فوقع على قاضى القضاة ، وضرب بالسيوف فمات . وعرف الضارب أنه من الجاندارية . وكانت به شعبة من الجنون . ولما وصل الخبر بسلامة الحلى إلى السلطان وهو راجع من أفامية أعطى مملوك الحلى ألف دينار عينا ، وأعطى رفيقه ثلاثة آلاف درهم ، وأحسن إلى ورثة المسعودى .

---

(١) فى الأصل : « الحلبى » ، والتصحيح عن السلوك (جـ ١ ص ٥٥٥) حيث يرد نفس الخبر .

وفى هـذه السنة فتحت صـفد على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى . ورجع السلطان منها إلى دمشـق ، وأنعـم على أمرائها وقضاتهـا وأرباب المناصب بالتشاريف .

ونظر السلطان فى أمر الجامع الأموى ومنع من مبيت الفقراء به[1] .

وفيها : أبطل السلطان ضمان الحشيشة وأمر بتأديب أهلها[2] .

وفيها : فى ثالث ذى القعدة توفى الأمير كرمون أغا بدمشق بعد منصرفه من فتح صفد[3] فشهد السلطان جنازته ، ودفن برأس ميدان الحصا عند قباب التركمان .

وفيها : فى ليلة عرفة ، كانت وفاة الأمير جمـال الدين أيدغدى العـزيزى[4] وكان قـد جرح على صفد وبقى مـدة والألم يتزايد به إلى أن مات ، رحمـه الله تعالى .

وكان من أكابر الأمراء ، وسمع الحـديث ، وحدّث ، وكان مشهـورا بالشجاعة والكرم والديانة وسـعة الصدر وكثرة الصدقة ، وكان قـد رتب على نفسه صـلة للفقراء من أرباب البيـوت والزوايا فى كل سـنة تزيد على مائة ألف درهم وألوف أرادب غلة ، هـذا غير صدقاته . وكان مقتصدا فى ملبسه يلبس الثياب القطن من الهندى والبعلبكى وغيره ممـا يباح ولا يكره لبسه . وكان من السلطان بالمنزلة العلية لايخرج عن رأيه ومشورته سيما فى الأمور الدينية وأحوال

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٤٩ س ٧) .

(٢) اجراءات مماثلة خاصة بالإسكندرية واردة فى السلوك (جـ ١ ص ٥٥٣) .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٤٩ س ٦) .

(٤) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٤ س ٧) .

القضاة . ومما يدل على ذلك : ما تقدم[1] من إشارته بتولية الحكم لأربعة قضاة . فرجع السلطان فى ذلك إلى رأيه ، وفعله لوقته . وكان رحمه الله من حسنات الزمان ، وقد ختم له بالشهادة ، فإنه مات من ألم تلك الجراحة . ودفن فى مقبرة الملك الناصر بسفح قاسيون ، رحمه الله .

(١) راجع ما تقدم (ص ١٧ من هذا الجزء) .

واستهلت سنة خمس وستين وستمائة

ذكر عود السلطان إلى الديار المصرية وبناء الجامع الظاهرى[1]

كان خروج السلطان من دمشق فى يوم الاثنين ثانى المحرم سنة خمس وستين وستمائة . فلما وصل إلى منزلة الفوار فارق العسكر وتوجه إلى الكرك . ولما وصل إلى بركة زَيْزَاء تقنطر عن فرسه ، وذلك فى يوم الأحد ثامن المحرم ، فتأخر هناك أياما ، ونزل إليه الأمير عز الدين نائبه بالكرك فأعطاه ألف دينار ، وخلع عليه وسير الخلع إلى من بالكرك . ثم توجه فى محفة حملها الأمراء والخواص على أكتافهم إلى غزة . ووصل إلى بلبيس فى ثالث عشر صفر فتلقاه ولده الملك السعيد والأمير عز الدين الحلى ، وزينت المدينة لمقدمه .

وفى أول شهر ربيع الأول ركب السلطان فرسه وضربت البشائر لذلك ، ونزل بباب النصر وأقام هناك إلى خامس الشهر ، ثم توجه إلى بركة الجب لرمى البندق .

وفى شهر ربيع الآخر ، سير السلطان الأتابك والصاحب فخر الدين ولد الصاحب لكشف مكان يعمل به جامعا بالحسينية . فاتفقا على مناخ الجمال السلطانية . فقال السلطان : «أولى ما جعلت ميدانى الذى هو نزهتى جامعا»[2] . وركب فى ثامن شهر ربيع الآخر وصحبته الوزير والقضاة ونزل إلى ميدان قراقوش ،

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٥) عن عودة السلطان .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٦) عن بناء جامع الحسينية .

ورتب أمور بنائه جامعا ، وأن يكون بقية الميـدان وقفا عليه ، ورجـع ودخل مدرسته بالقاهرة .

وفى هـذه السنة أمر السلطان بإنشاء القناطر على بحـر أبى الرجا[1] فانشئت ، وتولى عمارتها الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار فحصل الرفق بها للمسافرين وكانوا يجدون شدة وازدحاما بسبب المعادى .

وفى سابع وعشرين شهر ربيـع الآخر وصل الملك المنصور صاحب حماة[2] ، وكان السلطان قـد توجه إلى العباسة فتلقاه إلى رأس المـاء وسـير له ولمن معه التشاريف ، وعاد السلطان إلى قلعته . وطلب صاحب حماة التفرج فى الإسكندرية فسير إليها وسير فى خدمته الأمير شمس الدين سنقرجاه الظاهرى ، فوصل إليهـا وعظـم تعظيما كثـيرا ، ثم عاد ، وتوجه فى خدمة السلطان إلى غزة ثم توجه إلى مملكته .

وفى جمادى الآخرة وصلت رسل صاحب[3] الدعوة وصحبتهم جمـلة من الذهب وقالوا : هذا المـال الذى كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين ، وكان السلطان قد شرط ذلك عليهم عند وصول رسلهم وسؤالهم الصلح وشرطه على بيت الاسبتار فى جملة ما اشترط عليهم .

---

(١) خبر متأخر فى السلوك (جـ ١ ص ٥٦١) عن قنطرة على بحـر أبى المنجا ، والخبر هنا يتعلق بقناطر على بحر أبى الرجا (بالجيم المعجمة من تحت) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٦) .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٠) .

ذكر إقامة الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة وشيء من أخباره[1]

وفى يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت صلاة الجمعة بالجامع الأزهر . وسبب ذلك أن الأمير عز الدين الحلى خاطب السلطان فى أمره وتبرع بجملة من ماله فى عمارته ، وانتزع أشياء من أوقافه كانت مغصوبة فى أيدى جماعة ، وشرع فى عمارته ، فعمر ما وهى من أركانه وجدرانه وبيضه وبلطه ، وأصلح سقوفه وفرشه . واستجد به مقصورة حسنة ، وعمل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار الظاهرى فيه مقصورة كبيرة ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء الشافعية ، ورتب فيها محدثا يسمع الحديث النبوى والرقائق[2] ، وسبعا لقراءة القرآن . ووقف على ذلك أوقافا ، وولى خطابته زين الدين أدريس ابن صالح بن وهيب المصرى القليوبى ، فاستمر به إلى أن توفى . وكانت وفاته فى ليلة السبت رابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وستمائة ، ومولده سنة ثمان عشرة[3] وستمائة .

وهذا الجامع هو أول مسجد جامع وضع للناس بالقاهرة المعزية ، وفرغ من بنائه وأقيمت فيه الجمعة فى شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلثمائة . فلما ولى العزيز بن المعز جدد به أشياء وعمر به عدة أماكن . ويقال إن به طلسم لا يسكنه بسببه عصفور ولا يفرخ فيه . وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سأل الوزير

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٦) مع اختلاف فى التوقيت .

(٢) عن الرقائق راجع حاشية السلوك (جـ ١ ص ٥٥٧ س ٧ حاشية رقم ١) .

(٣) فى الأصل : « سنة ثمانية عشر » وهو خطأ .

أبو الفرج يعقوب بن كلس الخليفة أن يأذن له فى صـلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأذن له . فأطلق لكل منهم كفايته واشترى لهم دارا إلى جانب الجامع ، فإذا كان يوم الجمعـة حضروا إلى الجامع وذكروا فيه دروس فقه وكان أبو يعقوب قاضي الخندق ، وكانوا نيفا وثلاثين فقيها لأن دولة العبيد بين ما كان يستقل فيها بفقيه ، ولمـا عمر الحاكم الجامع نقل الخطبة إليه .

ذكر إنشاء القصر الأبلق بالميدان بظاهر دمشق (١)

وفى سـنة خمس وسـتين وستمائة ، أمر السلطان الملك الظاهر بانشاء القصر الأبلق بالميدان الأخضر بظاهر دمشق ، فعمر على ما هو عليـه الآن . واتفق فى عمارته واقعة غريبـة ، حكى بعض من كان يباشر عمارته ، قال : لمـا انتهت عمارة القنطرة التى بالإيوان ولم يبق من ختمها إلا وضع حجر واحد أسود ، فرفع بالحبال بعد أن نحت وجهز ليوضع فى مكانه وتشـد به القنطرة ، فانقطع الحبـل وسـقط الحجر إلى أرض الإيوان فانكسر ، فتألم المهنـدس لذلك ، ثم دخل إلى مرحاض القصر العتيق لقضاء الحاجه ، [فرأى (٢)] فى أحد كراسيه حجرا أسـود منحوتا ، فقاسه فوجده قدر الحجر الذى انكسر سـواء ، فاسـتأذن المهندس ، الأمير جمال الدين النجيبي على قلعه ووضعه فى رأس القنطرة ، فأذن فى ذلك ، فقلع من كرسى المرحاض وجعل فى رأس القنطرة بالإيوان فختمت به . وجاء كأنه عمل لهـا ، ووضع الحجر الذى انكسر مكانه . وهذا من عجيب الإتفاق ، وقد وقع نظير هذه الواقعـة فى أساس سور بغداد وعتبة جامع غزنة ، وتقدم ذكر ذلك .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦١ ص ٢) .

(٢) الإضافة للايضاح وهي منقولة من النسخة « ص » .

ذكر توجه السلطان إلى الشام
وعمارة قلعة صفد (١)

وفى العشرين من جمادى الآخرة توجه السلطان إلى الشام فى جماعة من أمرائه وأراح بقية العسكر . ولما وصل إلى غزة وردت إليه رسل الفرنج (٢) بهدية وجماعة من أسرى المسلمين . وتوجه السلطان إلى صفد بقصد عمارتها فرتب أمورها . وتوجه إلى دمشق مسرعا عندما بلغه أن التتار عزموا على قصد الرحبة ، فأقام بها خمسة أيام واهتم بأمر الرحبة وعاد (٣) الى صفد فى رابع وعشرين شهر رجب ، فقسم الخندق على الأمراء ، وأخذ نصيبا وافرا لنفسه ومماليكه وحاشيته ، وعمل السلطان بنفسه و بيده ، فلم يتوفر أحد من العمل . ولما كملت عمارة قلعة صفد رسم السلطان أن يكتب على أسوارها :

﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ (٤)
﴿ أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (٥) أمر بتجديد هذه القلعة المحروسة وتحصينها وتكملة عمارتها وتحسينها ، من خلصها من أيدى الفرنج الملاعين ، وردها إلى أيدى المسلمين ، ونقلها من مسكن إخوة الداوية إلى سكن إخوة المؤمنين ، فأعادها للإيمان كما بدأها أول مرة ، وجعلها للكفار خسارة

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٨ ثم ص ٥٦٣) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٨ ص ٨ — ٩) من قدوم رسل الفرنج .

(٣) من معجم قوت أن الرحبة تقع على الفرات في جنوب قرقيسيا .

(٤) الانبياء آية ١٠٥

(٥) المجادلة آية ٢٢

وحسرة ، ولم يزل بنفسه يجتهد ويجاهد حتى عوض عن الكنائس بالجوامع والبيع بالمساجد ، وبدل الكفر بالإيمان ، والناقوس بالأذان ، والإنجيل بالقرآن ووقف بنفسه التي هي أعز النفوس حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه ومن خواصه على الرءوس ، سلطان الإسلام والمسلمين ومسترد صوال الدين ، مبيد التتار ، فاتح القلاع والحصون والأمصار ، وارث الملك ، سلطان العرب والعجم والترك ، إسكندر الزمان ، صاحب القرآن أبو الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، خلد الله سلطانه ، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام ، ومن سكنها من المجاهدين المثاغرين على الدوام فليجعل لهذا السلطان فاتحها ومجددها نصيبا من أجره ، ولا يخله[1] من الرحمة في سره وجهره في طول عمره ، فإنه جعلها دار يمن وأمان ، بعد أن كانت دار كفر وطغيان ، وصار يقال عمر الله صرحها ، بعد أن كان يقال عجل الله فتحها ، والعاقبة للمؤمنين إلى يوم الدين[2] . »

ولما كملت العمارة طلع السلطان إلى القلعة فرأى بالبرج صنما كبيرا كان الفرنج يقولون إن القلعة في خفارته ويسمونه أبا جرج ، فأمر بقلعه وتكسيره ، وعمر مكانه محرابا .

ورسم بتجديد عمارة حرم الخليل ، وكتب بذلك إلى دمشق ، وتوجه الأمير جمال الدين بن نهار لذلك ، فجدد الأخشاب والمقاصير والأبواب ، ودهن ما يحتاج منها إلى الدهان ، وجددت الضرائح المقدسة .

(١) في الأصل : « ولا يخليه » ص ١٣٢ .

(٢) ورد نفس نص النقش في الـ لوك (جـ ١ ص ٥٦٣) مع اختلافات يسيرة .

ووصلت رسل الفرنج إلى السلطان وهو على صفد ، وتحدثوا معه فى أمر بلادهم ، وأجابوا إلى ماقاله من مناصفة صيدا وهدم الشقيف . ثم أغار على عكا على ماذكره إن شاء الله ، ولم ينتظم أمر الصلح .

ثم حضرت رسل سيس ورسل بيروت[1] ومعهم جماعة من أسرى المسلمين ، وردوا مال التجار .

وفيها : توفى القاضى صدر الدين موهوب بن عمر بن إبراهيم الجزرى الشافعى[2] وهو الذى كان ينوب عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمصر ، وولى القضاء بعده كما قدمنا ذكر ذلك ، وكان فاضلا عالماً بمذهب الشافعى ومشاركا فى غيره من العلوم . وكان فى مبدأ أمره على قضاء جزيرة ابن عمر . وكان كثير المال مرزوقا فى التجارة ، فاكتسب مالا جزيلا فمد صاحب الجزيرة عينه الى أمواله وقصد أخذها ، فبلغه ذلك ، فأرسل أكثر أمواله إلى مصر والشام صحبة التجار ثم هرب واختفى ، ووصل إلى الشام ثم إلى الديار المصرية . ولما ولى الصاحب بهاء الدين الوزارة قصد أذاه فخافه خوفا شديدا .

حكى عنه أنه قال : لما خفت الصاحب بهاء الدين رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألنى عن حالى فقلت : يارسول الله ، إنى خائف من الصاحب فقال لى : لاتخف منه وقل له بأمارة كذا وكذا لاتؤذنى ، فإن رسول الله قد شفع فيك عندك ، قال : فانتبهت فرحا بمقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما صليت

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٩ س ١٥ ثم حاشية رقم ١ بنفس الصفحة) عن رسل بيروت وسيس .

(٢) وردت تفاصيل أطول فى شذرات الذهب (ص ٣٢٠ وفيات عام ٦٦٥) .

الصبح ركبت دابتى ووقفت للصاحب فى طريقه إلى القلعة ، فسلمت ، عليه وقلت له : معى رسالة ، فقال : ممن هى ؟ قلت : من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول لك : بأمارة كذا وكذا لا تؤذنى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد شفع فىّ عندك ، فقال : صدقت أنت ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت اليوم فقد بقيت أتشفع بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لاحصل لك منى سوء أبدا ، فالمولى يرسم والمملوك يمتثل ، ومن اطلع عليه مولانا وله حاجة من[1] مضرور أو مظلوم ترسل إلى تعرفنى حتى أقضى حاجته بنفسى ، واعتـذر إليه ، وبقى يعظمه ، ولو فسـح فى أجله لولاه القضاء بعـد القاضى تاج الدين ولكنه مات قبله . وكانت وفاته فى مستهل شهر رجب سنة خمس وستين وستمائة . وقيـل بل كانت وفاته فجأة فى تاسع الشهر ، ودفن بسفح المقطم . ومولده فى النصف من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بالجزيرة . ولما مات ترك مايقارب ثلاثين ألف دينار ، وكان له ابنتان : إحداهما بالجـزيرة ، والأخرى زوجة القاضى بدرالدين ولد القاضى تقى الدين بن رزين ، فورثتاه[2] وشركهما بيت المال ، وكان رحمه الله كثير المروءة والإحسان الى أهل بلده ومن يقصده .

ذكر وفاة قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز[3]
ونبذة من أخبـاره رحمـه الله ومن ولى قضاء
الشافعية وغيره من مناصبه بعد وفاته

وفى السابع والعشرين من شهر رجب الفرد سـنة خمس وستين وستمائة ،

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل : فورثاه وهو خطأ .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦١) والنجـوم (جـ ٧ ص ٢٢٢) وشـذرات الذهب (٣١٩ وفيات عام ٦٦٠) .

كانت وفاة قاضي القضاة ، تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن رشيد الدين أبي الثناء محمود بن بدر العلامي[1] — وبنو علامة بطن من لخم — وهو المشهور بابن بنت الأعز والأعز هذا هو جده لأمه ، وهو الصاحب الأعز فخر الدين أبو الفوارس مقدام بن القاضي كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر ، أحد وزراء السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب ، وقد تقدم ذكره في أخبار الدولة العادلية . ومولد القاضي تاج الدين بالقاهرة في مستهل شهر رجب سنة أربع وستمائة . ولما مات والده الاعز خلف — رحمه الله تعالى — ترك دنيا عريضة ، فيقال إنه خلف اثني عشر ألف دينار عينا ، وقيل سبعة الآف ، فانفقت والدته ابنة الصاحب الأعز جميع ذلك على نفسها ومن يلوذ بها من أهلها ، ونشأ فلم يجد شيئا من ذلك ، فما شافهها فيه بكلمة ، وكان بارابها ، واشتغل بالعلم ، وولي إعادة المدرسة المعروفة بزين التجار بمصر ، وولي شهادة بيت المال في الدولة الكاملية . وكان سبب ذلك أن الشريف شمس الدين الأرموي نقيب السادة الأشراف ، رحمه الله تعالى ، كان يلي تدريس المدرسة المذكورة فتوجه من جهة السلطان الملك الكامل في رسالة واستناب القاضي تاج الدين هذا في التدريس والنظر ، فأحسن الخلافة عنه وعمّر الوقف وقام بالوظيفة أحسن قيام ، فلما عاد الشريف ووجد الأمر على ذلك ، أنهاه إلى السلطان وشكره وأثنى عليه ، فرسم السلطان الملك الكامل له بمباشرة شهادة بيت المال فباشر ذلك ، وكان إذ ذاك على غاية الفاقة ، وسلك طريقي الضبط والأمانة ، وهذه الوظيفة هي أول مناصبه الديوانية ،

(١) في الأصل : « بنو » وهو خطأ .

فاشتهر بحسن المباشرة والأحتراز ، فتقدم فى الأيام الصالحية النجمية وما بعدها ، وولى نظـر بيت المـال ، ثم ولى نظـر الدواوين بالديار المصرية فى أيام الملك المعظـم غياث الدين توراتشاه ابن الملك الصالح ، بتقليد معظمى ، تاريخه لخميس بقين من ذى القعدة سـنة سبع وأربعين وستمائة ، نعت فيه بالحضرة السامية : القاضى ، ثم كتب له منشور كريم خاتونى بأقطاع لخاصه ولأربعة أتباع . وقد رأيت أن أشرح هذا المنشور بنصه وأبين وضعه ليعلم منه كيف كان الرسم والمصطلح فى مثله ، وهـو أن الموقع كتب عن يمين الدرج ما مثاله : (الصالحية) بقلم أغلظ من قلم المنشور ، ثم كتب البسملة بعد هذه اللفظة بقدر أصبعين وكتب تلو البسـملة ما مثاله : خرج الأمر العـالى المولوى السلطانى الخاتونى الصالحى الجلالى العصمى الرحيمى ، زاده الله شرفا ونفاذا ، أن يجرى فى إقطاع المجلس السامى ، القاضى الأجل ، الصدر الكبير ، الرئيس الفقيه ، العالم الإمام ، الفاضل الأوحد ، العامل المرتضى ، الكامل المجتبى ، المختار تاج الدين مجد الإسلام بهاء الأنام اختيار الدولة ، مجتبى الملوك السلاطين ، فخـر الرؤساء ، عـلم العلماء ، شرف الفقهاء ، رضى أمـير المؤمنين عبـد الوهاب بن خلف الناظر بالدواوين المعمورة ، أدام الله رفعته ونعمته ، ما رسم له به الآن من الإقطاع لخاصه ولأربعة أتباع معه فى السنه ما يأتى ذكره .

خاصه : الثلثان من أبواب الهلالى بمدينة الفيوم . كفور سفط رشين خارجا عن بنى شريان (١) ، ومعصرة أبى دخان ، ودبيس ، وهى منشاة ابن مليخ ، كوم

(١) كذا فى الأصل ، بدير قفط ، والنقط منقول عن النسخة (ص) .

بنى مؤمنة ، كوم الحمير ، كوم مغنين[1] ، منشأة حراز ، فزونة[2] ، قبالة الجعاف[3] . وذلك فى الإقطاع لإستقبال مغل سنة سبع وأربعين وستمائة بعد الإعتداد على غايتة بما قبضة من الجامكية لاستقبال المدة من جملة ما يعوض به ، وفى الخدمة مستهل المحرم منها .

أتباعه وعدتهم أربعة فى السنة : ستة عشر ألف درهم ناصرية جهة ذلك من متحصل السدس من بحيرة تنيس لإستقبال تاريخ عرضهم بالديوان المعمور بعد الخط الشريف ، أعلاه الله ، وثبوته حيث ثبتت مثله .

كتب فى ثامن ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وبين السطرين الأول والثانى بخطها ما مثاله : والده خليل .

ورأيت فى هذا المنشور أشياء تستغرب ويستنكر مثلها فى وقتنا هذا : وهو أن بيت العلامة الذى هو بين السطرين كتب فيه الملكة ، وفيه تحت خطها بين السطرين : خط ناظر الدواوين ومثاله : ليثبت بديوان النظر على الدواوين المعمورة إن شاء الله تعالى ، وخط شاد الدواوين : امتثل الخط الشريف ، وبينهما فى بيت العلامة أيضا : خط ناظر الفيوم ومثاله : ليثبت إن شاء الله تعالى بديوان نظر الفيوم . وما معه وفى سامنة السطر الثانى ما مثاله : ليثبت بالديوان المعمور مما يختص بالوجه القبلى ، وأسفل منه ما مثاله : ليثبت

---

(١) كذا فى الأصل ، مع نقط الفين المعجمة والنون ، أما النسخة (ص) فتقول « كوم معين » بعين مهملة ونون .

(٢) كذا فى الأصل ، مع إهمال نقط النون . أما النسخة « ص » فترسم قرية بالباء المعجمة التحتية .

(٣) كذا فى الأصل بغير نقط .

بالديوان المعمور بالوجه البحرى ، وإلى جانبه عن يساره ليثبت بديوان الجيوش المنصورة إن شاء الله تعالى ، ثم بعد ذلك خطوط الكتاب ، ولعل ناظر الفيوم الذى كتب فى هذا الموضع هو شرف الدين هبة الله الفايزى الذى ولى الوزارة فيما بعد ، فإنه كان ناظر الصناعة والفيـوم فى ذلك الوقت ، والله أعلم .

ثم ولى القاضى تاج الدين نظر بيت المـال فى الأيام المعزية ، بتوقيع تاريخه ثالث عشر صفر سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وقرر له فى كل شهر خمسون دينارا ، وفى السنة مائتا أردب واثنى عشر أردبا نصفين ، ثم ولى بعـد ذلك نظـر الدواوين . فهذه مناصبه قبـل أن يلى القضاء والوزارة . ثم ولى قضاء القضاة بمصر والوجه القبلى فى تاسع شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة ، عوضا عن القاضى بدر الدين السنجارى ، وجمـع له القضاء بالقاهرة والوجه البحرى فى الشهر المذكور لثمـان بقين منه ، وعطل القاضى بدر الدين السنجارى عن القضاء . ولمـا ولى القضاء شدد على العدول وأسقط كثيرا منهم ، فكان يكتب الإعجالات بأسقاط عدالة جماعة بعـد جماعة من عدول السنجارى ، ويشهد على نفسه بمـا تضمنته ، فقلق النـاس لذلك ، ولم تطل مدة ولايته هذه ، فإنه عزل فى بعض شهور سنة خمسة وخمسين وستمائة كما قد مناذكر ذلك ، ثم فوضت إليه الوزارة بالديار المصرية كما تقدم ذكره ، ثم عطل عن الوزارة والقضاء فى الأيام المظفرية ـ قطز ـ إلى أن كانت الدولة الظاهرية الركنية ، ففوض السلطان الملك الظاهر له قضاء القضاة بجميع الديار المصرية فى السابع عشر من جمادى الأول سنة تسع وخمسين وستمائة ، عوضا عن القاضى بدر الدين السنجارى ، ثم أفردت عنه مصر والوجه القبلى فى السنة المـذكورة ، وفوض ذلك إلى القاضى

برهان الدين الخضر السنجارى ، ثم أعيد ذلك إليه فى الثامن من صفر سنة ستين وستمائة . وقد شرحنا مضمون تقاليد هذه الولايات فى مواضعها . وفوض إليه تدريس المدرسة الصالحية النجمية ، بتوقيع ظاهرى تاريخه ثانى عشر جمادى الأول سنة ستين وستمائة بعد وفاة الشيخ عز الدين بن عبد السلام . ثم فوض إليه النظر العام على الأشراف والأوقاف والأحباس ، ومشهد السيد الحسين ومدرسة الإمام الشافعى ، والخانكاه والمشاهد بالباب الشريف وبجميع أعمال الديار المصرية بتوقيع ظاهرى تاريخه السابع من جماد الآخر سنة ستين وستمائة . وفوض إليه تدريس مدرسة الشافعى بتقليد تاريخه نصف ذى الحجة سنة إحدى وستين . ثم قسم القضاء بين أربعة حكام ، فكتب له تقليد كما تقدم ، تاريخه ثامن عشرين ذى القعدة سنة ثلاث وستين ، وخص بالنظر فى جميع أموال الأيتام بالقاهرة ومصر والديار المصرية بمفرده والأوقاف ، وقد شرحنا ذلك . واستمر كذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى . وكان رحمه الله ، كثير الاحتراز والتحفظ ، وضبط ناموس الشرع ، وإقامة الحرمة ، وكف الأيدى العادية ، والتطلع على جهات الأوقاف ، وأخبار العدول ، وغير ذلك مما هو متعلق بمنصب الشرع الشريف . ولما مات ، رحمه الله تعالى ، قسم قضاء الشافعية بعده ، ففوض قضاء مصر والوجه القبلى للقاضى محيى الدين بن الصلاح عبد الله بن قاضى القضاة شرف الدين محمد ابن عين الدولة الصفراوى[٢] . وفوض قضاء القاهرة والوجه البحرى للقاضى

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٢ س ٢ - ٣) حيث يرد أنه محيى الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن على بن صدقة بن حفص المعروف بابن عين الدولة .

(٢) كذا فى الأصل .

تقى الدين محمـد بن الحسين بن رزين[1]. وولى النظـر على ديوان الأحباس القاضى تاج الدين أبو الحسن على بن الشيخ أبى العباس أحمد المعروف بالقسطلانى. وولى تدريس المدرسة الصالحية القاضى صدر الدين أبو حفص عمر ولد قاضى القضاة تاج الدين المشار إليـه . وولى نظر الحانقاه قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى ، وولى تدريس مدرسة الإمام الشافعى فخر الدين محمد بن الصاحب بهـاء الدين.

وفيها أيضا: توفى الأمير ناصر الدين الحسين بن عزيز بن أبى الفوارس القيمرى مقـدم الجيش بالساحل[2]، وكانت وفاته فى ثالث شهر ربيـع الأول بالساحل ، ومولده فى سنة ستمائة بقيمر ، وهـو الذى بنى المدرسة الشافعية بدمشق بناحية مادنه[3] فيروز . وكان جوادا كريمـا جليلا مقداما تقـدم على جيوش الشام فى الأيام الصالحية والناصرية ، وكان جميع الأكراد فى طاعته وخدمته . وكان أمره فى الأيام الناصريه أنفـذ من أمر السلطان لانقياد الجيوش إليه . ثم خمـل فى الأيام الظاهرية إلى أن أقطعه السلطان الملك الظاهر إقطاعا بالساحل ، وقدمه على أمراء الساحل ، فصلحت حاله ، وكان مقامه بجنين ، رحمه الله تعالى .

ذكر وصول الشريف بدر الدين مالك بن منيف[4] وإعطائه نصف إمرة المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصـلاة والسلام

وفى سنة خمس وستين وستمائة : وصل الشريف بدر الدين مالك بن منيف

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٢ س ١).

(٢) سماه السلوك (جـ ١ ص ٥٦٢ س ٧ — ٨) : « نائب السلطنة بالساحل » .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٨ ، ٥٦٠).

ابن شيحة ، وكان السلطان على صفد ، فشكى من الشريف عز الدين جماز ، وقال : إن المدينة كانت بين أبي وبينه نصفين ، وتوفى والدى وأنا صغير ، فظلمنى وأخذ نصيبى ، وقد جئت مستجيرا بالسلطان فى رد حقى . فكتب السلطان إلى الشريف جماز يأمره بتسليم النصف الذى كان لمنيف لولده مالك ، وكتب تقليده بنصف إمرة المدينة ونصف الأوقاف ، وسلم إليه نصف الأوقاف التى بمصر والشام ، وتوجه . وورد جواب الشريف عز الدين جماز إلى السلطان بامتثال الرسوم ، وأرسل خادمين من خدام الضريح النبوى يشهدان بذلك ، فكتب السلطان إليه يشكره على ذلك .

ثم عاد السلطان إلى مقر ملكه بقلعة الجبل . وكان وصوله إليها فى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة سنة خمس وستين وستمائة .

ذكر تسمير من يذكر بالقاهرة

وفى العشرين من ذى الحجة من السنة بعد عود السلطان إلى الديار المصرية أمر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانه البنود منهم : أقش القفجاقى أحد المماليك الصالحية ، وكان قد ادعى النبوة . وأحضر فى شهر رمضان إلى دار العدل ، فأمر نائب السلطنة باعتقاله . فلما حضر السلطان من الشام أنهى إليه أمره فاستحضره وسمع كلامه وأمر بتسميره .

ومنهم : الناصح الواحى كان فى ابتداء أمره ضامن الواحات ، ثم ترقى إلى أن ولى نظر أخميم وأسيوط وغير ذلك بالوجه القبلى . وكان يركب بالطبلخاناه ، وقويت نفسه وكثرت أتباعه واتسعت أمواله . فأرسل السلطان وقبض عليه

وأمر باعتقاله بخزانه البنود ، فانهى إلى السلطان الآن أنه اتفق مع الملك الأشرف ابن شهاب الدين غازى ومـع رجل نصرانى على أن ينقبوا خزانة البنود ويخرجوا منها و يتوجهوا إلى الواحات فيتسلطن بهـا الملك الأشرف و يكون الناصح وزيره والنصرانى كاتبه ، فأمر السلطان بتسميرهم ، فسمروا فى يوم واحد .

واستهلت سنة ست وستين وستمائة

ذكر أخذ الزكاة من عرب الحجاز[1]

كان السلطان قد اهتم بأمر الزكاة من سائر الجهات حتى المغرب والحجاز ، وأذعن عربان بلاد برقة لذلك وقاموا بالزكاة .

وفى صفر سنة ست وستين وستمائة : وصل الأمير ناصر الدين بن محيي الدين الجزرى الحاجب من المدينة النبوية ، وكان قد توجه لاستخراج الزكاة والعشر ، فأحضر صحبته مائة وثمانين جملا وعشرة آلاف درهم فاستقلها السلطان وأمر بردها عليه ، ثم وصل بنو صخر ، وبنو لام ، وبنو عنزة وغيرهم من عربان الحجاز ، والتزموا بزكاة الغنم والإبل ، وتوجه معهم مشدون لاستخراج ذلك . هذا والسلطان على صفد لعمارتها .

ذكر ظهور الماء بالقدس الشريف[2]

وفى سنة ست وستين وستمائة : ورد كتاب قاضى القدس أن الماء انترح من بئر السقاية وعظمت مشقة الناس ، فنزل رجل إلى البئر وشاهد قناة مسدودة من زمن بخت نصر الذى هدم البيت المقدس ، فأحضر الأمير علاء الدين الحاج الركنى [نائب القدس[3]] بنايين وكشف القناة السليمانية ، ومشوا فيها تحت

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٠)

(٣) الإضافة للايضاح وهو منقولة عن السلوك .

الأرض إلى الجبل الذى تحت الصخرة المقـدسة فوجدوا بابا مقنطرا ففتحوه ، فخـرجت عين ماء كادت تغرقهـم . وكان خروج المـاء فى ذى الحجـــة سنة خمس وستين .

ووردت كتاب الأمير الحاج علاء الدين الركنى أنه نقص ماء السقاية الذى ظهرونزح ، ودخل الصناع إليـه فوجدوا سدا ، فنقب فيه الحجارون مقدار عشرين يوما ووجد سقف مقلفط به مائة وعشرون ذراعا بذراع العمل ، فخرج المـاء وملأ القناة .

وفى هذه السنة : وصلت هدية صاحب اليمن[١] ورسله ، وأحضر فيها من الخيل المسومة عشرون فرسا بالبركسطوانات[٢] الأطلس المزركشة وفيلة وحمارة وحش عتابية اللون ، وغير ذلك من المسك والعنبر والعود والصينى[٣] وغيره ، فقبلت هديته ، وجهزت له هدية وصنجق وخلعة وشعار السلطنة وجوشن وكبش[٤] وغيره من آلة الحرب ، وسير إليه طيور جوارح . وكوتب[٥] بالمقـام العالى المولوى السلطانى ، وكاتبه السلطان بالمـلوك . وتوجه بالهدية فخر الدين المقرى[٦] ووصل صحبة أحد رسوليه — وهو ابن المـاكسانى التاجر — بهـا ، وذكر أن[٧] والده صاحب اليمن

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٣ س ١٧ وما بعده) .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) كذا فى الاصل .

(٤) فى الأصل ، كبر ، وما هنا عن السلوك (ج ١ ص ٥٦٣) حيث ورد أن الكبش اسم آلة من الآت الحرب .

(٥) فى الأصل : ، كتب ، والتصحيح يقتضيه السابق .

(٦) كذا فى الاصل

(٧) كذا فى الأصل ، مع أن الرواية لم تذكر الابن قبل ذلك .

سير به للمجاهدين ولوجوه البر ، فأودع ثمنه بالخزانة . ولما توجه السلطان إلى الغزاة أنفق منه جملة فى إقامة مجانيق أفردها لها ، وأفتك ببقيته جماعة من أسارى المسلمين .

ذكر خبر الحبيس النصرانى ومقتله

هذا الحبيس من نصارى مصر ، وكان فى ابتداء أمره من كتاب صناعة الإنشاء ، ثم ترهب وانقطع فى جبل حلوان . فيقال إنه وجد فى مغارة منه مالا لها كم العبيدى كان قد وضعه هناك ، فتصدق هذا الحبيس على الفقراء من سائر الملل . واتصل بالسلطان خبره فطلبه ، وطلب منه المال ، فقال : « أما أنى أعطيك من يدى إلى يدك فلا يتصور ، ولكنه يصل إليك من جهة من تصادره ولا يقدر على ماتطلبه منه ، فأساعده بمال يحمله إليك » وشفع فيه ، فأطلقه السلطان .

ولما كانت واقعة النصارى المتقدمة ، كان يحضر عند مشد المستخرج ، ومن عجز عن أداء ما قرر عليه ساعده به وأداه عنه ، نصرانيا كان أو يهوديا . وكان يدخل إلى الحبوس ويطلق منها من عليه دين ويقوم بما عليه . وكان يعطى ما ينافر العقول . وتوجه إلى الصعيد ، ودفع عن أهل الذمة أكثر ما قرر عليهم ، وتوجه إلى الإسكندرية ، وعامل أهلها بما هالهم من بذل الأموال . فوصلت فتاوى الفقهاء إلى السلطان بقتله ، وعللوا ذلك : « خوف الفتنة » . فوافق ذلك رأى السلطان فأحضره فى سنة ست وستين وستمائة ، وطلب منه المال وأن يعرفه من أين أصله ، وكيف حصل له ، فلم يعرفه وجعل يغالطه ويدافعه ، إلى أن أيس السلطان منه فعذبه حتى مات . وأخرج من القلعة ورمى

بظاهرها على باب القرافة . وذكر أن مبلغ ما وصل إلى بيت المال وما واسى به من مدة سنين : ستمائة ألف دينار عينا ، مما أحصى بقلم الصيارفة الذين كان يحمل الأموال عندهم ويكتب إليهم أوراقه بما يعطيه . وذلك غير ما كان يعطيه صرا من يده .

ذكر بناء القرية الظاهرية قرب العباســـة

وفى سنة ست وستين وستمائة : مر السلطان على وادى السدير قرب العباسة فأعجبه . فأختار منه مكانا بنى به قرية سماها الظاهرية ، وعمر بها جامعا .

وفيها : توجـــه السلطان إلى الشام . وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى من الفتوحات .

ذكر إيقاع الحوطة السلطانية على الأملاك والبساتين وما تقرر على أربابها من المـــال

وفى سنة ست وستين وستمائة : لما كان السلطان نازلا على الشقيف أمر بإيقاع الحوطة على البساتين والقرى والضياع التى بأيدى أهل دمشق ملكا وحبسا . وقال : « نحن فتحنا هذه البلاد بالسيف ، وانتزعناها من أيدى التتار » . وكان قد تحدث بذلك فى السنة الخالية . وعقد مجلس حضره السلطان والقضاة والفقهاء ، فقال قاضى القضاة شمس الدين بن عطاء الحنبلى : « هذا لا يحل ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه » وقام مغضبا ، فتوقف السلطان ثم تقـدم الآن بإيقاع الحوطة على البساتين . فاتفق وقوع صقعة باردة على البساتين فأحرقت أكثر أشجارها ، فظن أهل

دمشق أن هذه الحادثة تبعث السلطان على الإفراج عنها فلم يفعل ، ولما وصل إلى دمشق وعزم على العود إلى الديار المصرية عقد مجلسا بدار العدل حضره القضاة والفقهاء وأهل البلد ، وأجرى ذكر البساتين وأخرج فتاوى الفقهاء من الحنفية باستحقاقها ، فتوسط الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين عند السلطان على أن يقرر على أصحاب البساتين ألف ألف درهم ، فامتنعوا من ذلك . وقالوا : « لا طاقة لنا بها معجلة » ، وسألوا أن يقسطها ، فامتنع السلطان ، وتمادى الحال إلى أن خرج من دمشق ، ولما وصل إلى منزلة اللجون عاوده الصاحب فخر الدين والأقابك والأمراء ، فاستقر الحال أن يعجلوا منها أربعمائة ألف درهم ويعقد لهم بما قبضه نواب السلطان من المغل ، ويقسط ما بقى ، فى كل سنة مائتى ألف درهم ، وكتب بذلك توقيع وقرئ على المنبر بدمشق .

ذكر وصول الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من بلاد التتار والصلح مع التكفور هيتوم صاحب سيس

كان السلطان قد جهز العساكر إلى سيس ، وأمروا ليفون بن هيتوم ولد صاحب سيس على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى ، فترددت الرسل منه إلى السلطان يعرض عليه كل ما تقرر عليه من مال وقلاع . فاقترح السلطان عليه أمورا ، منها أن يحضر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من بلاد التتار ، وأن يرد القلاع التى أخذها من المملكة الحلبية ، فسأل مهلة سنة إلى أن توجه إلى الأردو ، وكشف خبره وأجيب إلى إطلاقه . ثم ورد كتاب صاحب سيس يذكر أنه حصله . وورد كتاب الأمير شمس الدين المذكور بملائم وأمابر . فتوقف

صاحب سيس فى الإجابة إلى رد بعض القلاع ، فرد السلطان رسله وكتب إليه : « إنك إذا كنت قسوت على ولدك وولى عهدك ، أنا أقسو على صديق ما بينه وبينى نسب ، ويكون الرجوع منك لامنى . ونحن خلف كتابنا . ومهما شئت افعل بسنقر الأشقر » . فلما وصل إليه هذا الكتاب والسلطان إذ ذاك على أنطاكية خاف ويذل مارصم به السلطان ، وتقرر الصلح على تسليم قلعة بهسنا والدربساك ومزريان ورعبان والروب وشيخ الحديد[1] وجميع ما كان أخذه من بلاد الإسلام ، وردها بحواصلها كما تسلمها ، وإطلاق الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، وأن يطلق السلطان له ولده وولد أخيه وغلمانهما . وأنه يحضر رهينة باسال أخ الملك ، ويسير ريمون أخ زوجة الملك ليفون ، ويبقى باسيل المأسور بن كندا صطبل هو وهؤلاء رهائن على تسليم القلاع . وكتبت الهدنة بذلك فى شهر رمضان بأنطاكية .

وأرسل السلطان الأمير بدر الدين بجكا[2] الرومى على خيل البريد إلى قلعة الجبل ، فأحضر ليفون وتوجه به إلى أبيه على خيل البريد فى حادى عشر شوال . ثم توجه الأمير سيف الدين بلبان الرومى الداودار إلى سيس لتقرير فصول رسم بها السلطان . ولما وصل ليفون إلى أبيه أطلق الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . وكان السلطان يتصيد بجرود بالقرب من بلاد حمص مما يلى دمشق ، فلما بلغ السلطان قربه ، ركب مختفيا والتقاه وأحضره معه إلى الدهليز وباتا جميعا . ولما أصبح واجتمع الناس للخدمة خرج إليهم السلطان والأمير شمس الدين فى خدمته ، فبهت الناس لرؤيته . وأنعم عليه السلطان بالأموال والخلع والحوائص والخيل

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٨ — ٩) حيث ورد ذكر نفس القلاع ماعدا الروب .

(٢) كذا فى الأصل بدون نقط ، وما هنا منقول عن قراءة السلوك .

والبغال والجمال والمماليك وجميع ما يحتاجه الأمراء . ولما حضر إلى الديار المصرية أمّره ، وبنيت له دار بقلعة الجبل . وأما القلاع المذكورة فتسلمها نواب السلطان ، وأطلقت الرهائن .

ولما ترتبت هذه المصالح وفتحت هذه الفتوحات العظيمة التي نذكرها ، رجع السلطان من أنطاكية ووصل إلى شيزر ، وتوجه منها في البرية إلى حمص للصيد . ووصل السلطان إلى دار النائب بحمص في ثلاثة نفر وهم : الأمير بدر الدين بيسرى[1] ، والأمير بدر الدين الخزندار ، والأمير حسام الدين الدوادار . ثم دخل دمشق في سادس عشرين شهر رمضان والأسرى بين يديه ، وخرج منها في ثامن عشر ذي القعدة ، وعيد في أم البارد [وهي السعيدية[2]] ورحل إلى قلعته في حادي عشر ذي الحجة ورحل عن الناس كلفة الزينة .

وفيها : توفي الصاحب عز الدين عبد العزيز بن منصور بن محمد بن محمد ابن محمد بن وداعة الحلبي[3] . وقيل إنه كان في ابتداء أمره خطيبا بجبلة ، ثم اتصل بالملك الناصر وصار من خواصه ، فولاه شد الدواوين بدمشق ، وكان يعتمد عليه . فلما ملك السلطان الظاهر ولاه وزارة الشام ، فوقع بينه وبين الأمير علاء الدين طيبرس نائب السلطنة مفاوضة اقتضت حضوره إلى الديار المصرية ، ثم أعيد إلى الوزارة بالشام عندما فوض السلطان نيابة السلطنة بدمشق للأمير جمال الدين النجيبي كما تقدم ، فوقع بينه وبينه [خلاف] أيضا ، فكان يهينه ، فكتب إلى السلطان يذكر أن الأموال قد انكسرت ، وأن الشام يحتاج إلى مشد تركي شديد

(١) في الأصل : « سيرى » والتصحيح من رسم الاسم في نفس المتن في مواضع كثيرة .
(٢) الإضافة من السلوك (جـ ١ ص ٥٧١ س ١١) .
(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٧٢) .

المهابة مبسوط اليد وتكون أمور الاموال والولايات والعزل راجعة إليه ، وقصد بذلك رفع يد الأمير جمال الدين النجيبي عن الأموال ، وظن أن المشد يكون بحكمه ولا يتصرف إلا عن أمره . فرتب السلطان فى المشد الأمير علاء الدين كشتغدى[1] الشقيرى وبسط يده حسب ما اقترح ابن وداعة ، فلم يلبث أن وقع بينهما [خلاف] وكان يهينه بأنواع [الإهانات] ويسبه ، فيشكو ذلك إلى النجيبي فلا يلبى دعوته ، ويقول له : « أنت طلبت مشدا تركيا ، وقد جاء ما طلبت » . ثم كاتب الشقيرى فى حقه ، فورد الجواب بمصادرته ، فصادره وضربه بالمقارع وعصره وعلقه ، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه ، وباع موجوده وأماكن كان قد وقفها وحمل ثمن ذلك ، ثم طلب إلى الباب السلطانى فتوجه ، وحدث نفسه بالعود إلى منصبه ، فأدركته منيته ، فمات فى ذى الحجة من السنة ، ودفن فى مستهل المحرم سنة سبع .

---

(١) فى الأصل : « كشغدي » وما هنا مقول عن السلوك ، تقدم الموضع .

واستهلت سنة سبع وستين وستمائة

فى هذه السنة فى أولها ، جهز السلطان من كان عنده من رسل الملوك فتوجهوا إلى مرسليهم

ذكر تجديد الحلف للملك السعيد

وفى يوم الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وستمائة : جلس السلطان فى مرتبته ، وجلس الأمير فارس الدين الأتابك والأمير عز الدين الحلى بين يديه ، والصاحب بهاء الدين ، وكاتب الإنشاء . وكان قبل ذلك يتحدث مع الأمراء فى أمر ولد الملك السعيد وتفويض الأمور إليه فأجابوا بالسمع والطاعة . وحلف الأمراء فى هذا اليوم وسائر العساكر المنصورة .

وفى ثالث عشر الشهر ركب الملك السعيد فى الموكب كما يركب والده ، وجلس فى الإيوان ، وقرئت عليه القصص . وفى العشرين من الشهر قرئ تقليده بتفويض السلطنة إليه . وهو من إنشاء المولى فخر الدين بن لقمان[1] وخطه .

ونسخته بعد البسملة والعلامة السلطانية الظاهرية :

« الحمد لله الذى أجزل العطاء والمواهب ، وضاعف النعماء التى يفيض شعابها ، وأمواه العيون نواضب ، وضاعف عزا لا يعزم معه مقصد ، ولا يتعذر معه المطالب ، وحلى عطل الأيام بالمحاسن التى تستر بها ما ظهر من المعايب . أحمده على نعمه التى

---

(١) نشر نص هذا التقليد الأستاذ الدكتور زيادة ملحقا بآخر الجزء الأول من السلوك (ص ٩٦٩) .

تجلى بنورها ظلم الغياهب ، والأنطاف التى نظمت من المجد عقدة المتناسق ودره[1] المتناسب » .

« وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تبلغ بها يوم الإشهاد قاصيه المنى ، وتجعل كل صعب هينا . وأشهد أن محمدا عبده الذى صدع بالحق معلنا ، ورسوله الذى أظهر الإسلام وما تباعد عزمه ولا انثنى ، صلى الله عليه وعلى آله الذين شيدوا من المعالى البنا ، وأصحابه الذين أحسنوا والله يحب من من كان محسنا » .

« وبعد : فإنا لما أتانا الله تعالى من السلطان الذى ملك به من العزما جمع ، والقدرة التى قربت[2] من الآمال مانزح ، والمهابة التى ملأت عيون الأعداء بالذل لا الوطف ، والعزايم التى أذكرت من مواقف المهاجرين والأنصار ماسلف ، والهمم التى نهضنا بها لفتح معاقل الكفار ، والجهاد الذى كانت آثارنا فيه من أحسن الآثار ، والغزوات التى كان معروفها منكرا ، والوقائع التى نصر الله فيها حزب الإيمان فأضحى الدهر ينشر حديثه متعطرا ، وشد أزرنا بولدنا الملك السعيد الأجل الكبير العالم العادل ناصر الدين بركه خاقان ، امتع الله الإسلام ببقائه ، وأقر عيون المجد بنصر لوائه ، وتوسمنا فيه مخايل السعادة بادية الغرر ، وظهرت فيه أدلة النجابة ، والأدلة إذا ظهرت لاتستتر ، وبدت فيه مساع أوجبت له مزية التكريم ، وعم فيها فضله فتعين أن يخص بالتعظيم ، ولاحت منه إشارات يعرب عن الرشد ، وتدل أنه فى تدبيره حسن القصد ، وسما نور هلاله فاتفقت

(١) فى الأصل : « فرة » .

(٢) « الأصل : « قرنت » .

النفوس أن يكون بدرا كاملا ، ووثقت الآمال أن يرجع حاليا كل ما كان عاطلا ، رأينا أن نفوض إليه حكم كل ما أمضى الله فيه حكمنا من البلاد ، وتحققنا أن رائد نظرنا فى أمره يصدق فيما اختار من الارتياد . وقلدناه أمر الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع والحصون ، وهى : الديار المصرية ، البلاد الشامية ، البلاد الحلبيه ، البلاد الحموية ، البلاد الحمصيه . فهذا الملك إليه ممتد الرواق ، ودو نظامه يتزين بحسن الإتساق[1] ، ونواحيه مع اتساعها محروسة بهممه ، فكأنه خصر[2] اشتمل عليه النطاق ، ونعم الله محروسه معه بالشكر ، مقيده عنده بالإطلاق ، والدين الحنيفى من عزمه عالى المنار ، والنفوس واثقة[3] أن تكون بناصره دائمة الانتصار ، وأخبار نصره تحفظها الليالى مما تكرره ألسن السمار ، ومهابته تسرى إلى قلوب الأعداء فتحول منها الأفكار ، والدولة الزاهرة به محاطة[4] الأرجاء ، ومحاسن إحسانه متدفق الأنواء ، وآثار نعمة الله فيها ظاهرة ، والله يحب أن يرى على عبده أثر النعماء . والشريعة المطهرة بتأييده نافذة الأحكام ، وأمورها مرعية بهممه التى أضحت المعالى أنها لاتنام . وأطلقنا تصرفه وحكمه فى الخزائن والأموال ، وتعيين الإقطاعات فى الغيبه منا والحضور . وأمرنا أن لايرد أمره فى جميع ما يقتضيه رأيه الشريف من الأمور . فبيديه الحل والعقد ، وإلى أبوابه ينتهى القصد . فقد أضحى بحمد الله حلية للجد ، والأيام تزهو به كما تزهو الدرر بواسطة العقد ، وإليه فى الأمور النقض والإبرام . وعليه المعتمد فى فصل

(١) كذا فى الأصل ، بغير نقط .

(٢) فى الأصل : « راقفة » وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل « مخلصة » « « ق

(٤) جملة اعتراضية موصولة عامضة .

الأحكام . وإليه ترجع الولاية والعزل ، وهو الفرع الذى زكا ، ولا يزكو الفرع إلا إذا كان طيب الأصل . ومن شيمته الأقتداء بنا فى بسط الإحسان والعـدل وإحياء سننا مما يضفيه على الأولياء من ملابس الفضل ، واقتفاء آثارنا فى غزو بلاد الكفار، والمجاهدة التى تطول بها أيدى الكماة بالسيوف القصار ، وإلى الله نرغب أن يوفقه لمراضيه ، ويلهمه رشـده فيما يستقبل من أموره ، ويمضيـه ويؤيده بالنصر الذى تروى أحاديثه وتتلى ، ويمده بتوفيقه الذى يرشده من الضلال ناشئا وكهلا ، ويساعده بالتأييد الذى يستجد له ذكرا خالدا لا يبـلى ، والظفر الذى تستحلى أحاديثه إذا أعيدت ، وإن كان الحديث المستعاد لا يستحلى . ونسأل كل واقف على هـذا التقليد أو من يسمـع به من الأمراء والنواب والعساكر المنصورة ـ أيدهم الله تعالى ـ امتثال أمره ، والقيام بمـا يجب عليه من طاعته فى سره وجهره ، والنهوض فى خدمة ركابه ، والإجتهاد فى تسهيـل ما يصعب من طلابه ، والمسير عند سيره تحت علمه ، والإلتجاء فى السراء والضراء إلى حرمه ، والوفود إلى جنابه المنيع المريـع ، فهو بحمد الله كعبة تحج إليها الآمال ، وحرم يخفف ما على الأعناق من أعباء الخـدم الثقال . والإعتماد على الخط الشريف أعلاه ، وكتب فى عاشر صفر سنة سبع وستين وستمائة » .

وقرئ هـذا التقليد بالإيوان بحضور الأمراء وأعيان الدولة واستمر جلوس الملك السعيد وركوبه .

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة ، توجه السلطان إلى الشام واستصحب أكابر الأمراء وجماعة من العسكر المنصـور . وفى غرة شهر رجب شرع السلطان فى النفقة فى الأمراء الذين صحبته ، ونزل أرسوف لكثرة مراعيها .

ووصل إليه رسل أبغا بن هولاكو، فقرئ على السلطان كتابه، ومعناه الرغبة فى الصلح، وأعاد الرسل بالجواب، وكاتب أبغا نظير ما كاتبه به.

ذكر توجه السلطان على خيل البريد إلى الديار متنكرا وعوده إلى مخيمه بخربة اللصوص ولم يعلم من به بتوجهه

قال القاضى عبد الله بن عبد الظاهر فى السيرة الظاهرية عن هذه الوقعة حسبما أملاه السلطان من لفظه: لما خرج السلطان من دمشق، بعد تجهيز رسل أبغا، ودع الأمراء كلهم وتوجهوا إلى الديار المصرية، ولم يبق معه من الأمراء الأكابر غير الأتابك، والمحمدى، والأيدمرى، وابن اطلس خان، وأقش الرومى، توجه إلى القلاع، فابتدأ بالصبيبة ومنها إلى الشقيف وصفد، وبلغه وفاة الأمير عز الدين الحلى، فكتب إلى الأمير شمس الدين آقسنقر استاددار بالحضور بالأثقال والعساكر إلى خربة اللصوص والعسكر قد خيم بها. وخطر له التوجه إلى الديار المصرية، فكتب إلى النواب بالشام بمكاتبة الملك السعيد والإعتماد على أجوبته، ورتب أنه كلما جاء بريد يقرأ عليه ويخرج علائم على دروج بيض تكتب عليها أجوبة البريد، واستقرت هذه القاعدة مدة.

وفى رابع عشر شعبان أظهر تشويشا، وأحضر الحكماء إلى الخيمة، وحصل احتفال ظاهر بهذا الأمر، وأصبح الأمراء فدخلوا وشاهدوا مجتمعا فى صورة متألم، وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشربة.

وتقدم إلى الأمير بدر الدين الأيدمرى وسيف الدين بكتوك جرمك الناصرى، بأنهما يتوجهان إلى حلب على خيل البريد، وودعاه وصحبتهما بريدى،

وتوجها فى ليلة السبت سادس عشر شعبان ، وأوصاهم أنهم إذا ركبوا يحيدون إلى خلف الدهليز ليتحدث معهم مشافهة .

وجهز آقسنقر الساقى فى البريد إلى الديار المصرية وأعطاه تركاشة[1] ، وأمره بالوقوف خلف خيمة الجمدارية خلف الدهليز . ولبس السلطان جوخة مقطعة وتعمم بشاش دخانى عتيق ، وأراد أن يخرج ولا يعلم به الحرس ، فأخذ قماش نوم لأحد المماليك ، وطلب خادما من خواصه وقال له : ها أنا خارج بهذا القماش فامش أمامى ، فإن سألك أحد فقل : هذا بعض البابية[2] معه قماش أحد الصبيان حصل له مرض وما يقدر يحضر إلى الخدمة هذه الليلة ، وهذا غلامه خارج إليه بقماشه .

فخرج بهذه الحيلة ، وتوجه إلى الجهة التى واعد آقسنقر إليها . وكان قد سير بهاء الدين أمير آخور ومعه أربعة أرؤس من الخيل ، وأمره أن يقف بها فى مكان ، فتوجه إليه ، وأخذ آقسنقر الخيل ، وسير بهاء الدين أمير آخور إلى التل فأحضر الأيدمرى ورفقته ، وساق بهم السلطان وهم لا يعرفونه فلما اختلطوا قال للأيدمرى : « تعرفنى ؟ » قال : « أى والله » ، وأراد النزول لتقبيل الأرض فمنعه ، وقال : بحرمك « تعرفنى » ، فقال : « إيش هذا يا خوند » ؟ فقال له : « لا تتكلم » وكان معهم علم الدين شقير مقدم البريدية فصاروا خمسة ، معهم أربعة جنائب من خيل السلطان الخاص .

---

(١) فى الأصل : « دركاشه » وما هنا فى المتن منقول عن السلوك (جـ ١ ص ٥٧٥) .

(٢) أى الذين يعملون فى الطست خاناه .

وساقوا إلى جهة مصر ، فوصلوا إلى القصير[1] المعينى نصف الليل ، فدخل السلطان ليأخذ فرس الوالى ، فقام إليه بهاوشه بأربعين خمسين راجلا ، وقال له : «هذه الضيعة ملك السلطان ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا ، فإن رحتم وإلا قاتلنا كم» . فتركوه وتوجهوا إلى بيسان فأتوا دار الوالى وقالوا : « نريد خيلا للبريد » . فقال : « انزلوا خذوا » ، فنزلوا ، وقعد السلطان عند رجلى الوالى وهو نايم . ثم قال للأيدمرى « الخلائق على بابى وأنا على باب هذا الوالى لا يلتفت إلى ، ولكن الدنيا نوب » . وطلب من الوالى كوزا فقال : « ما عندنا كوز ، إن كنت عطشان اخرج واشرب» فأحضر له الأيدمرى كوزا شرب منه . وركبوا فصاحوا جينين ، فوجدوا خيل البريد بها عرجا معقرة ، فركب السلطان منها فرسا ما كاد يثبت عليه من رائحة عقوره . ولما وصلوا العريش قام السلطان والأمير سيف الدين جرمك ونقيا الشعير . فقال السلطان للأيدمرى : « أين السلطنة ، واستاد الدار ، وأمير جاندار ، وأين الخلق الوقوف فى الخدمة ؟ هكذا تخرج الملوك من ملكهم ، وما يدوم إلا الله سبحانه وتعالى » .

ووصلوا إلى قلعة الجبل ليلة الثلاثاء الثلث الأول ، فأوقفهم الحراس حتى شاوروا الوالى . ونزل السلطان فى باب الأسطبل وطلب أمير آخور ، وكان قد رتب مع زمام[2] الأدر أنه لا يبيت إلا خلف باب السر ، فدق السلطان باب السر ، وذكر علايم لزمام الأدر ، ففتح الباب ، وأحضر السلطان رفقته إلى باب السر ، وأقام هو وهم يومى الثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس لا يعلم بهم أحد إلا زمام الأدر ،

---

(١) القصير المعينى هو قصر معين الدين ، بغور الأردن انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٧٦) .

(٢) أصله من زمام دار بحسب حاشية فى السلوك (جـ ١ ص ٥٧٧) .

وهو ينظر إلى الأمراء وغيرهم فى سوق الخيل . فلما قـدم الفرس الملك السعيد يوم الخميس قـدم أمـير آخور للسلطان فرسا . ولمـا خرج الملك السعيد ما أحس إلا والسلطان قد خرج إليه ، فخاف ، فلما عرفه قبل الأرض ، وركب السلطان وخرج والوقت مغلس ، فأنكر الأمراء ذلك ووضعوا أيديهم على قبضات سيوفهم وطلعوا[1] فى وجه السلطان فلما حققوه قبلوا الأرض . وساق السلطان إلى ميـدان العيـد ، وعاد إلى القلعة ، فقضى أشغال الناس ، ولعب الكرة يوم السبت . وتوجه يوم الأحد إلى مصر لرمى الشوانى ، وركب فى الحراريق .

وسافر ليلة الأثنين على البريد . ولمـا قربوا من الدهايز المنصور رد الأيدمرى وجرمك إلى خيامهم ، وأخذ السلطان جراب البريد على يده وفى كفه فوطة ، وتوجه راجلا ودخل من جهة الحراس ، فمانعه حارس وأمسك الحارس أطواقه ونقشه ، فانجذب منـه ودخل من باب الدهايز . وركب عصر يوم الجمعـة ، وحضر الأمراء إلى الخدمة ، فأظهر أنه كان متغلث المـزاج ، وضربت البشائر بالعافية ، ولم يدر بهذه الأمور إلا الأتابك وأستاد الدار وخواص الجمدارية .

وفى هـذه السنة فى تاسـع عادى الآخرة رسم السلطان بأبطال الخواطى[2] من القاهرة ومصر والديار المصرية ، وأمر بحبسهن وتزويجهن .

وفيها أيضا وردت الأخبار أن زلزلة حدثت ببلاد سيس[3] أخربت قـلاعها مثل سرفند كار ، وحجر شعلان ، وقتل بسببها جماعة حتى سال النهر دما .

---

(١) كذا بالعامية ، أما السلوك فإنه أورد « وقطروا » (جـ ١ ص ٥٧٧ ص ٩)

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٧٨) .

(٣) انظر السلوك نفس الموضع .

ذكر وفاة الأمير عز الدين أيدمر الحلى [الصالحى نائب السلطنة](١)

لما خرج السلطان لسماع رسالة الملك أبغا خرج الأمير عز الدين المذكور فى خدمته ، فلما استقر السلطان طلب دستورا وتوجه إلى دمشق لملاحظة أملاكه ، فلما دخل السلطان إلى دمشق أطلق له شيئا كثيرا ، وزار السلطان فقيرا بجبل الصالحية ومعه الأمير عز الدين ، فقام عز الدين ليجدد الوضوء ، فقال الشيخ للسلطان : « هذا يموت فى هذه الأيام ولا يخرج من دمشق » ، وكان إذ ذاك كالأسد قوة ، فمرض فى اليوم الثانى ، وتوفى فى أوائل شعبان سنة سبع وستين . وحضر ولده(٢) إلى الدهليز بخربة اللصوص فأحسن السلطان إليه وسيره إلى القاهرة . ولما وصل السلطان إلى القاهرة أمره بأربعين فارسا .

وفيها : توفى الأمير أسد الدين سليمان بن الأمير عماد الدين داود بن عز الدين موسك(٣) الدوادى الهذبانى ، من بيت الإمرة وله اختصاص كبير بالملوك والتقدم عندهم . وجده الأمير عز الدين من أكابر الأمراء الصالحية ، وترك أسد الدين هذه الخدم وتزهد ولازم مجالس العلماء ، ولبس الخشن من الثياب ، وكانت له نعمة عظيمة ورثها من أبيه فأذهبها ، ولم يبق له سوى ريع أملاكه ، فكانت تقوم بكفايته إلى أن توفى فى يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأول بدمشق ، ودفن بقاسيون ، وله شعر حسن ، رحمه الله تعالى .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٢) .

(٢) فى الأصل : « ولد » وهو سهو .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٢) .

ذكر توجه السلطان الملك الظاهر إلى الحجاز الشريف[1]

قال: لما قوى عزم السلطان على الحجاز الشريف كتم ذلك، وأنفق ونقى من جيشه، وجرد جماعة صحبة الأمير جمال الدين أقش الرومى السلاح دار، وهم المتوجهون صحبة السلطان، وجرد العساكر التى بقيت صحبة الأمير شمس الدين آقسنقر أستاد الدار إلى دمشق. فنزلوا بظاهرها.

وتوجه السلطان إلى الكرك فى صورة أنه يتصيد، فوصل إلى الكرك فى مستهل ذى القعدة، وكان رسم بتجهيز جميع ما يحتاج إليه برسم الحجاز هناك. فسير الثقل فى رابع ذى القعدة، وتوجه السلطان فى السادس من الشهر إلى الشوبك، وتوجه منه فى حادى عشر الشهر، ووصل إلى المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فى الخامس والعشرين منه، فزار ورحل فى السابع والعشرين. فقدم مكة، شرفها الله تعالى، فى خامس ذى الحجة، فتصدق بصدقات وافرة وكساوى كثيرة، وبقى كأحد الناس بغير حاجب، ثم غسل الكعبة، وبقى فى وسط البيت، ومن رمى له إحرامه غسله له بما ينصب من الماء فى الكعبة ويرميه إلى صاحبه، ثم جلس على باب الكعبة وأخذ بأيدى الناس ليطلع بهم إلى الكعبة. وتعلق أحد العوام به، فلم يصل إلى يده لازدحام الناس عليه، فتعلق بإحرامه وكاد يرميه إلى الأرض وهو مستبشر بهذا الأمر، وعلق كسوة البيت الشريف ورفعها بيده على أركان البيت الشريف هو وخواصه. وسبل[2] البيت الشريف

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٨٠).

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٨٢ س ٦ — ٧) وكان التسبيل فى مقابل مال وغلال أعطيت لأمير مكة.

لسائر الناس ، وتردد إلى الصالحين . وكان قاضى القضاة صدر الدين سليمان معه فى طول الطريق يستفتيه . وكتب إلى صاحب اليمن كتابا ينكر[1] عليه أمورا وكتب فيه : « سطرتها من مكة وقد أخذت طريقها فى سبع عشرة خطوة[2] » يريد بالخطوة المنزلة . وقضى السلطان فرض الحج ومناسكه كما يجب ، وحلق ، ونحر ، وأحسن إلى أمرى مكة ، شرفها الله تعالى : الأمير نجم الدين أبى نمى ، والأمير إدريس بن قتادة ، وإلى صاحب ينبع و[أمير] خليص ، وزعماء الحجاز كلهم . وطلب أميرا مكة نائبا من السلطان ، فرتب شمس الدين مروان . وزاد أميرى مكة جملة من الغلال فى كل سنة بسبب تسبيل البيت الشريف ، وزاد أمراء الحجاز ، إلا جماز ومالك أميرى المدينة ، فإنهما انتزحا من بين يديه .

وخرج السلطان من مكة ، شرفها الله تعالى ، فى ثالث عشر ذى الحجة ، ووصل إلى المدينة فى العشرين منه ، وخرج فى بكرة النهار الثانى ، ووصل إلى الكرك فى يوم الخميس سلخ ذى الحجة .

---

(١) فى الأصل : « يذكر » . (انظر السلوك ج ص ٥٨١)

(٢) فى الأصل : « سبعة عشر خطوة » .

واستهلت سنة ثمان وستين وستمائة

واستهلت سنة ثمان وستين وستمائة والسلطان الملك الظاهر بقلعة الكرك ، فأقام بها حتى صلى الجمعة ، وركب من الكرك بعد الصلاة مستهل المحرم فى مائة فارس جريدة ، وعلى يد كل واحد من أصحابه جنيب ، وساق إلى دمشق . فلما قاربها والناس لا يعلمون شيئا من حاله ولا يجسر أحد يتكلم ، سير أحد خواصه فى البريد بكتب البشاير بسلامته وقضاء حجة إلى دمشق . فأحضر الأمير جمال الدين النجيبي الأمراء وغيرهم ليقرأ عليهم كتاب البشرى ، فبينما هم فى ذلك وقد بلغهم أن السلطان فى الميدان . فتوجه إليه الأمير جمال الدين النجيبي فوجد السلطان قد نزل بالميدان بمفرده ووهب فرسه لإنسان من منادية سوق الخيل عرفه وقبل الأرض بين يديه ، وحضر الأمراء إلى الخدمة وأكلوا شيئا ، وتوجهوا ليستريح السلطان ، فقام وركب فى جماعته اليسيرة وتوجه إلى حلب ، فعادوا إلى الخدمة فلم يجدوا أحدا . ودخل السلطان حلب والأمراء فى الموكب فساق إليهم فما عرفه أحد ، وبقى ساعة ثم عرفه الصرورى[1] ، فنزل الأمراء وقبلوا الأرض ، ونزل بدار السلطنة بحلب ، وشاهد قلعتها ، وعاد منها ، فوصل إلى دمشق فى ثالث عشر المحرم ، ولعب الكرة وركب فى لياته وتوجه إلى القدس والخليل عليه الصلاة والسلام فزار تلك الأماكن المقدسة وتصدق . وكان

(١) وردت هذه النسبة مرات ولعلها نسبة إلى الصروات من سواد مدينة الحلة .

العسكر[١] المصرى قد سبقه صحبة الأمير شمس الدين آقسنقر استاد الدار إلى تل العجول . هذا كله وما غير عباءته التى عليه ، وذلك كله فى عشرين يوما . وركب من تل العجول ووصل إلى قلعة الجبل فى ثالث صفر .

ثم توجه إلى ثغر الإسكندرية فى ثانى عشر صفر ودخل الثغر فى الحادى والعشرين من الشهر . وكان الصاحب بهاء الدين قد سبقه إلى الثغر وجهز الأموال والتعابى من الأقمشة ، فخلع على الأمراء وأنعم عليهم بالتعابى والنفقات . ولعب الكرة بالإسكندرية . وخرج منها إلى الحمامات ، ونزل باللّيونة[٢] ، وابتاعها من وكيل بيت المال .

وبلغه حركة التتار فعاد إلى قلعته ، فوصل إليها فى ثامن ربيع الأول سنة ثمان وستين وستمائة .

ذكر توجه السلطان إلى الشام جريدة[٣]

قال : ولما بلغ السلطان حركة التتار ، وأنهم تواعدوا مع فرنج الساحل ، وأن التتار أغاروا على الساجور بقرب حلب ، وعلى جهة أخرى وأخذوا مواشى العربان ، فأراح العسكر وجرد الأمير علاء الدين أيد كين البندقدار بجماعة من

---

(١) فى الأصل : « المعسكر » .

(٢) تذكر حاشية فى السلوك (جـ ١ ص ٥٨٤ حاشية ٢) أنها بلدة من أعمال مريوط .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٨٤) .

العسكر ليقيموا فى أوائل البلاد الشامية . وركب فى جماعة يسيرة من قلعته ، وذلك فى ليلة الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأول ووصل إلى غزة ، وتوالت الأمطار ، فوصل إلى دمشق فى سابع شهر ربيع الآخر ، ووردت إليه الأخبار برجوع التتار لما بلغهم خروجه ، فأغار على عكا ، واستولى على بلاد الإسماعيلية على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وأقام السلطان بالشام بقية سنة ثمان وستين وستمائة .

وفى هذه السنة نصب الدرابزين على الحجرة الشريفة النبوية . وذلك أن السلطان لما توجه إلى الحجاز رأى الضريح النبوى والزوار تقف إلى جانب الحائط ، فرأى أن يعمل درابزينا ليكون حرما حول الحجرة ، فأمر بعمله ، فعمل وكمل ، وسير إلى المدينة فى سنة ثمان وستين صحبة الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الخليلى ، فنصب .

وفيها : كانت وفاة قاضى القضاة محيى الدين أبى الفضل يحيى بن قاضى القضاة محيى الدين أبى المعالى محمد بن قاضى القضاة زكى الدين أبى الحسن على ابن قاضى القضاة مجد الدين أبى المعالى محمد بن قاضى القضاة زكى الدين أبى الفضل يحيى بن على بن عبد العزيز العثمانى[1] . وكانت وفاته بفسطاط مصر فى رابع عشر شهر رجب سنة ثمان وستين . ودفن بالقرافة .

ومولده بدمشق فى ليلة الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ورياسته وأصالته أشهر من أن يأتى عليها .

وفيها : توفى الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على ، وزير الصحبة ، ضحى يوم الاثنين الحادى والعشرين من شعبان ودفن بكرة نهار الثلاثاء

(١) يذكر السلوك (ج ١ ص ٥٨٩ س ٧) إنه المعروف بابن التركى القرشى الأموى الشافعى .

بتربتهم بالقرافة . ومولده فى اثنين وعشرين وستمائة بفسطاط مصر ، وفوضت وزارة الصحبة بعده لولده الصاحب تاج الدين محمد .

وفيها : توفى الصاحب الوزير زين الدين أبو يوسف يعقـوب بن عبد الرفيع ابن زيد الزبيرى ، المعروف بابن الزبير نسبة إلى الزبير بن العوام الأسدى رضى الله عنه . وكانت وفاته فى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الآخر . ومولده سـنة ست وثمانين وخمسمائة . وكان عالمـا فاضلا رئيسا يتكلم باللغة التركية . وزر للملك المظفر فظفر ، ثم وزر بعـده للسلطان الملك الظاهر أياما ، ثم عزله ، فلزم داره إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ، وكان له شعر حسن رقيق .

وفيها : توفى الشيخ الإمام الخطيب أصيل الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عمر بن على العوفى الأسعردى المـولد . قدم دمشق فى الدولة الصالحية وولى الخطابة بهـا . ثم عزل بالشـيخ عز الدين بن عبـــد السلام ، وعاد ثم عزل بالقاضى عماد الدين بن الحرسـتانى . وانتقـل إلى الديار المصرية صحبة الملك المظفر فى سفرته التى قتل فيها . وتولى خطابة الجامع الصالحى خارج بابى زويلة . وتولى نيابة الحكم بالشارع الأعظم نيابة عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى . واستمر على الخطابة والحكم إلى أن توفى فى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وستين فى بيت الخطابة قبل صـلاة الجمعـة ، وجاء رئيس المؤذنين كما جرت العادة فوجده ساجدا وعليه ثياب الخطابة وقد قضى نحبـه ، فأحضر ولده فى تلك الساعة وأعلم بموت والده ، فطلع المنبر وخطب وصـلى بالناس . ودفن الخطيب فى بكرة يوم السبت بسفح المقطم بقـرافة سارية . وكان لطيفا حسن العبادة والصوت . وله تصانيف ونظم ونثر ، رحمه الله تعالى .

واستهلت سنة تسع وستين وستمائة

فى هذه السنة ، توجّه السلطان إلى عسقلان فى سابع صفر فهدمها[1] وعفى آثار عمارتها و رمى حجارتها فى ميناها ، وعاد فوصل إلى قلعته فى ثامن شهر ربيع الأول .

وفيها : هلك الملك الجير هيتوم بن قنسطنطين صاحب سيس[2] ؛ ووردت مطالعة ولده ليفون فى سابع عشرين شهر ربيع الأول مضمومها : أنه لما كان فى خامس عشرين تشرين الأول ترهب والده وانتقل إلى الدير وخرج عن أمور الدنيا . فلما كان فى نهار الثلاثاء ثامن عشرين تشرين الأول وهو حادى وعشرين ربيع الأول مات وقت مغيب الشمس ، وصار شموله بالمراحم السلطانية فى ضمه إلى جناح الرحمة . فكتب بتعزيته بأبيه وتهنئته بما صار إليه من الملك ، وإطابة قلبه .

ذكر القبض على الملك العزيز فخر الدين عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك والأمراء الشهرزورية[3]

قد ذكرنا أن السلطان لما تسلم الكرك من المشار إليه بعض القبض على والده أمّره بمائة فارس . واستمر المذكور فى الخدمة الشريفة ولازم السلطان

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٠) .

(٢) انظر السلوك (نفس الموضع) .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٥) .

فى أسفاره وغزواته . وكان يلعب معه بالكرة ، ويحضر معه فى أوقات الصيد وغير ذلك من مشاهده العامة . وظهرت منه شهامة ، وأحسن رماية النشاب وأخذ نفسه فى ذلك بمأخذ الفرسان الشجعان . ولما كان السلطان على هدم عسقلان أفرد له جانبا يهدمه ، فمر السلطان عليه فى بعض الأيام وهو قائم يستعمل الرجالة ويحثهم على الهدم ويجتهد فيما هو فيه . فبينما السلطان ينظر إليه ويتأمله إذا انهدم ماتحته من البناء فوثب من مكانه وألقى نفسه إلى الأرض ووثب أخرى فسلم والسلطان ينظر إليه . فعجب السلطان من اهتمامه مع حداثة سنه . ثم عاد إلى ما كان عليه من الهدم ولم يتأثر لذلك . وبينما السلطان فى أواخر هدم عسقلان ورد عليه كتاب نائبه الأمير بدر الدين الخزندار يستحثه على العود إلى قلعة الجبل ، ويعلمه أنه لا يأمن وثوب الأمراء الشهرزورية ، وأن قدرته تضعف عن مقاومتهم فى غيبة السلطان . وحال ورود كتابه أمر الناس بالرحيل ورجع لوقته إلى الديار المصرية . ولما رجع رمى الملك العزيز بقرة وحش بيده فى أثناء الطريق وحملها إلى السلطان والأمير شمس الدين سنقر الأشقر وغيره من الأمراء عنده . فقال السلطان للأمير شمس الدين المذكور : انظر إلى هذا الصغير وماهو عليه ، والله مايقصر ! . فقال له سنقر الأشقر : لقد ربيت حية صغيرة بين ثيابك تتفغ بها إذا كبرت . وكان سنقر الأشقر يكره لقبض أبيه عليه وتسليمه للملك الناصر واعتقاله كما تقدم ، فأراد مكافأته فى ولده . ولما وصل السلطان إلى قلعة الجبل فى ثامن شهر ربيع الأول ، كما تقدم ، نزل إلى الميدان فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من الشهر ولعب بالكرة ، ودخل الملك العزيز على عادته إلى الميدان ولعب بالكرة ، فجاء الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ليأخذ الكرة منه ، والملك العزيز مجتهد فى ضربها ، ورفع جوكانه ليضربها فوقع

فى رأس الأمير شمس الدين ولم يقصد ذلك ، فكاد أن يسقط إلى الأرض لولا [أن] اعتنق عنق فرسه حتى سكن ما به من ألم الضربة . فجاء السلطان إليه وهو يمازحه ، فقال له : « كاد هذا الصغير أن يرميك عن فرسك حتى اعتنقت رقبته . » فنظر إلى السلطان وقال : « والله إن كان اليوم ما رمانى ، فغدا يرميك أنت ، وهذا الصبى والله لك بئس الذخيرة » . فلما كان فى يوم الخميس رابع عشر الشهر جلس السلطان فى مجلسه واستدعى الأمراء الشهرزورية وهم عشرة منهم : الأمير بهاء الدين يعقوبا[1] ، وتوقل ، وسنقران وقبض عليهم ، وقبض على الملك العزيز معهم واعتقلوا ، ثم أحضر الأمراء الشهرزورية وغيرهم وقررهم ، فاعترفوا أنهم قصدوا قتل الملك السعيد ابنه ، وقيامهم بالأمر فإن أطاعهم الناس وإلا أقاموا الملك العزيز ، فسألهم : « هل كان هذا الأمر عن مباطنته ؟ » فحلفوا أنه لم يطلع على ما عزموا عليه ولا باطنهم فيه . واستمر الملك العزيز فى الإعتقال إلى آخر أيام الملك السعيد عندما حوصر بالقلعة فأفرج عنه وعن الأمراء الشهرزورية وغيرهم . وكان قد رزق أولادا فى اعتقاله فى الدولة الظاهرية ، فلما أفرج عنه الملك السعيد أمره أن ينصرف فى حال نفسه ويتوجه إلى الأمراء إن أحب ذلك ، أو يقيم بالقلعة إلى أن ينفصل الأمر . وخرج بعض من أفرج عنهم إلى الأمراء فقبضوا عليهم واعتقلوهم ، فخشى الملك العزيز من ذلك فسأل أن يرجع إلى معتقله ويقيم مع أولاده فرجع إليهم ، فاستمر فى الإعتقال إلى أن ملك الملك الأشرف خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاون فأفرج عنه فى سنة تسعين وستمائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٩٥٥ ص ٧) .

ولنرجع إلى سياقة أخبار الدولة الظاهرية :

وفى عاشر جمادى الآخرة من السنة توجه السلطان إلى الشام وصحبته ولده الملك السعيد[1] ، فكان دخول الملك السعيد إلى دمشق فى ثامن شهر رجب . وخرج هو والأمير بدر الدين الخزندار من جهة القطيفة . وكان السلطان قد توجه من جهة بعلبك ووصل إلى طرابلس ، فأغار وقتل وفتح صافيتا وحصن الأكراد[2] وحصن عكا وبلاد الإسماعيلية ، وغير ذلك على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها فى تاسع شوال : دخل الشيخ خضر شيخ السلطان إلى دمشق ، وجاء إلى كنيسة اليهود وأخرجهم منها وجعلها زاوية ، وعمل لأصحابه بسيسة عشرة قناطير بالدمشق ، فأكلوا منها ، وحضر المغانى تعمل سماعا ورقصوا على بقية البسيسة بأرجلهم ، فما أفلح بعد ذلك . فاجتمع اليهود وخرجوا عن مظالم كانت بينهم ورفعوا أصواتهم بالدعاء وقالوا : « يا محمد بن عبد الله ، نحن فى ذمتك وعهدك ، لادولة لنا ولا سلطان ، فانتصر لنا » . فكانت حادثة السيل ، وخروج الشيخ خضر من الكنيسة على صورة منكرة .

ذكر حادثة السيل بدمشق[3]

وفى ثانى عشر شوال سنة تسع وستين وستمائة ، وهو يوم عيد عنصرة اليهود ، جاء سيل عظيم إلى دمشق فى الساعة الثامنة من النهار ، وعلا على سور دمشق قدر

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٠ س ١٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣) .

(٢) أورد الأستاذ الدكتور زيادة (السلوك جـ ١ ص ٥٩١ حاشية ٣) نص كتاب بيرس إلى صاحب حصن الأكراد الذى هو فى الوقت رئيس فرسان الإسبتار .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٦) .

رمح ، وفى بعض المواضع أحد عشر ذراعا ، ودخل من باب الفراديس بعد أن خرب جسره ، وأخرب جسر بابى السلامة وتوما ، ووصل إلى المدرسة الفلكية وصار فيها مقدار قامة وبسطة . واستمر ثلاث ساعات من النهار وهبط . وكان مبدأ هذا السيل أنه انعقد على جبال بعلبك غيم متكاثف فسمع لرعده دوى هائل فى يوم السبت حادى عشر شوال ، وكان بذلك الوادى ثلوج كثيرة ، فوقع المطر على الثلوج فحلها ، وسال فى يوم الأحد من جهة عين الفيجة بعد أن رمى فيها صخورا عظيمة ساقها بين يديه ، واقتلع أشجار جوز عادية ، وانتهى إلى دمشق وخرب عدة كثيرة من دور العقيبة ، وخرب حيطان الميدان وقطايير[1] البساتين ، وأهلك خلقا كثيرا من الروم والعجم كانوا قد قدموا حجاجا ونزلوا بالميدان ففرقوا عن آخرهم هم و جمالهم ودوابهم ، وأغرق من الحيوانات على اختلاف أجناسها مما لا يعد كثرة ، وردم الأنهار بطين أصفر ، واقتلع الأشجار من أصولها . ودخل السلطان بعد ذلك بأيام إلى دمشق فما وجد بها ماء ولا حماما يدور ، وشرب الناس من الصهاريج والآبار . ويقال إنه هلك بهذا السيل عشرة آلاف نفس ، وأخذ الطواحين بحجارتها .

وحكى أن فقيرا يعرف بالخبر حضر[2] إلى دار نائب السلطنة بدمشق قبل هذه الحادثة وقال : « عرفوا الأمير أنى أريد أعدو إلى بعلبك » . فقال له الأمير : « رح ، اجر » . وضحكوا منه . فتوجه ، وعاد وهو ينذر الناس بالسيل . فضحكوا منه ولم يعبأوا بكلامه . فما أحسّوا إلا والسيل قد هجم .

---

(١) القطايير جمع مفرده قطره بضم القاف فى العامية ، وهى جسور تستعمل فى رى البساتين .

(٢) كذا فى الأصل ، بدون نقط .

وفى هذه السنة : عزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان عن قضاء دمشق ، وخرج منها فى ذى القعـدة . وكانت مدة ولايته عشر سنين سواء . وقلد القضاء بعده بالشام قاضى القضاة ، عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر المعروف بابن الصايغ . وكان تقليده قد كتب والسلطان على طرابلس ، وتأخر إلى أن حضر السلطان إلى دمشق ، وكان وصول السلطان إلى دمشـق فى يوم الأربعاء خامس عشر شوال[1] .

ذكر سفر الشوانى الإسلاميه إلى قبرس وكسرها وأسر من كان بها وخلاصهم

وفى شوال سنة تسع وستين وستمائة : كتب السلطان من الشام إلى الديار المصرية بتسفير[2] الشوانى لقصد قبرس ، فأشار ابن حسون برأى كان بئس الرأى ، وهو أنه قال : « لو دهنت الشوانى سوادا تشبها بشوانى الفرنج ، وعملت لهـا أعلام بصلبان حتى إذا دخلت إلى بلاد الفرنج يعتقدونها لهم ، فتغتنم الغرة منهم » فاتبـع رأيه . وتطاير الناس بذلك ، وسافرت الشوانى فانكسرت بالقرب من قبرس . فورد كتاب صاحب قبرس إلى السلطان وفيه تقريع : « إن الشوانى كسرها الريح وأخذتها ، وهى أحد عشر شـينيا ، وأسرت من فيها » . فكتب السلطان إلى الديار المصرية وهـو بالشام بإنشاء عشرين شينيا ، وإحضار خمس شوانى كانت بقوص . وأجاب [السلطان] صاحب قبرس[3] بتقريع وتوبيخ ،

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٣) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٣) .

(٣) انظر كتاب السلطان إلى الملك أوك صاحب قبرس وقـد أورده الدكتور زيادة فى حاشية السلوك (جـ ١ ص ٥٩٤ حاشية ٣)

ويعلمه أنه فتح القرين، فى كلام كثير تركنا ايراده اختصارا . وبقى القواد فى الأسر هم والرماة . ففادى بهم الفرنج أسرى ، و بقى الإحتياط على الرؤساء وهم ستة نفر ، منهم ريس الإسكندرية ، وريس دمياط ، وأبو العباس المغربى وغيرهم . واستمروا فى الأسر إلى سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وقصد السلطان ابتياعهم وسير الأمير فخر الدين المقرى الحاجب إلى صور بسبب ذلك ، فتغالى الفرنج فيهم . وكانوا قد نقلوا إلى عكا وحصل الإحتراز عليهم، وجعلوا فى حبس حصين . فرسم السلطان للأمير سيف الدين بن خطلبا — أحد النواب بصفد — بسرقتهم ، فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى دخلوا إليهم بمبارد ومناشير ،وسرقوا من جب القلعة ، وخرجوا فى مركب . وكانت خيل مهيأة ، فركبوا ووصلوا إلى القاهرة ولم يدر بهم أحد بعكا . ثم قامت فتنة بعكا بسببهم .

ذكر عود السلطان إلى قلعته ووصول رسل اليمن، واهتمامه بأمر الشوانى،وما أنعم به من الخلع والخيول على الأمراء والأجناد

قال : وسار السلطان إلى الديار المصرية فدخل قلعة الجبل فى ثانى عشر ذى الحجة سنة تسع وستين، وعند وصوله جهز الأمير شمس الدين آقسنقر استاد الدار بالعساكر إلى الشام ، فخرجوا فى الشهر المذكور .

ووصلت هدية صاحب اليمن فى الشهر [المذكور]وفيها التحف الثمينة وفيل ودب أسود .

ووالى السلطان النزول إلى مصر بنفسه والأمراء فى خدمته لمباشرة عمل الشوانى .

وفى الشهر المذكور خلع وفرق بالميدان على ألف وسبعمائة نفر من الأمراء والحلقة أثمان خيل، وفرق ألفا وثمانمائة وخمسين رأسا، وذلك فى ثانى عشرين الشهر. ثم أعاد العطاء فى الثالث والعشرين منه حتى فرغ الناس وعمهم بالعطاء، ولازم صناعة الإنشاء عدة أيام بسبب الشوانى .

ذكر القبض على من يذكر من الأمراء[1]

وفى هذه السنة فى خامس عشر ذى الحجة أمر السلطان بالقبض على جماعة من الأمراء ، منهم الأمير علم الدين سنجر الحلبى الكبير ، والأمير جمال الدين أقش المحمدى ، والأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى الناصرى ، والأمير عز الدين إيغان الركنى سم الموت ، والأمير شمس الدين سنقر المساح ، والأمير سيف الدين بيغان[2] الركنى ، والأمير علم الدين سنجر طردح[3] الآمدى وغيرهم ، وحبسوا فى قلعة الجبل .

وسبب ذلك أن السلطان بلغه عنهم وهو بالشقيف أنهم قد عزموا على القبض عليه ، فأسرها فى نفسه إلى أن وصل إلى القاهرة وقبض عليهم واعتقلهم ، ثم أفرج بعد ذلك عن بعضهم .

وفيها : فى سابع عشر ذى الحجة تقدم أمر السلطان بإراقة الخمور[4] فى سائر بلاده ، والوعيد لمن يعصرها بعد ذلك بالقتل والنهب . فأهريقت بأعمال بالديار المصرية

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٥) .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٥ س ١٣ — ١٤) .

وأبطل ضمانها ، وكان فى كل يوم بالديار المصرية خاصة يزيد على ألف دينار، وكتب بذلك توقيع قرئ على الناس بالقاهرة ومصر .

وفى هذه السنة : أمر السلطان بإنشاء جامع بمنشاة المهرانى ، وهى التى على نهر النيل ، والخليج الحاكمى فارق بينهما وبين مصر ، فعمر .

وفيها : توفى قاضى القضاة الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكى المالكى قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية[1] . وكانت وفاته بالقاهرة فى ليلة الأحد الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وستين وستمائة . ودفن من الغد بمقابر باب النصر . ومولده بالصالحية من الأعمال القليوبية فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين وخمسمائة . وكان رحمه الله تعالى عالما ، وكان قد ولى الحسبة بالقاهرة مدة وعقود الأنكحة ، ثم ولى نيابة الحكم بالقاهرة عن قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز . ثم فوض إليه القضاء أحد الأربعة كما تقدم ذكر ذلك ، رحمه الله تعالى . وولى بعده قضاء المالكية القاضى نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضى المخلص هبة الله بن القاضى كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر .

وفيها : أيضا توفى القاضى شمس الدين أبو إسحق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله ابن البارزى قاضى حماة الشافعى ، رحمه الله ، وولى قضاء حماة فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، واستمر إلى أن توفى الآن .

وفيها : كانت وفاة الملك الأمجد تقى الدين أبى الفضائل عباس بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب . وهو آخر من مات من أولاد الملك

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٦) .

العادل ، وكان محترما عند الملوك الأيوبية ، معظما عند السلطان الملك الظاهر ، لا يرتفع عليه أحد فى المجلس ولا الموكب . وكان رحمه الله دمث الأخلاق سمحا كريما عاقلا حازما . وكانت وفاته بدمشق فى يوم الجمعة ثانى عشرين جمادى الآخرة ودفن بسفح قاسيون ، وليس له عقب .

وفيها : توفى القاضى كمال الدين أبو السعادات أحمد بن الوزير فخر الدين الأعز أبى الحمايل مقدام بن القاضى كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر . كان أحد الأكابر المشهورين بالديار المصرية متأهل للوزارة وغيرها . وهو خال قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ، رحمهما الله تعالى ، وكانت وفاته بالقاهرة فى السادس والعشرين من شهر رمضان . ودفن من الغد من يوم وفاته بسفح المقطم ، وكان يومئذ ناظر بيت المال ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى الأمير علم الدين سنجر الصيرفى[1] وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية ، فلما تمكن السلطان الملك الظاهر أخرجه إلى الشام وأقطعه إقطاعا جيدا وزاده عدة قرى ببعلبك ، فتوجه إليها ، فمات فى يوم الأربعاء سادس صفر وهو فى عشر الستين رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى الشيخ العارف قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ابن نصر بن محمد بن سبعين المرسى الزقوطى[2] ، أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم ، وله تصانيف عدة وجماعة كثيرة ينسبون إليه ، وأقام بمكة سنين كثيرة إلى أن

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٦ س ١١) .

(٢) ترجمته فى شذرات الذهب (وفيات عام ٦٦٩) وفى السلوك (جـ ١ ص ٥٩٧ حاشية ١) وفى النجوم (جـ ٧ ص ٢٣٤) .

توفى بها فى الثامن والعشرين من شوال من هذه السنة، ومولده فى سنة أربع عشرة وستمائة . والزقوطى نسبة إلى حصن من عمل مرسية يسمى زقـوطة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى العـدل الرئيس زين القضاء أبو المكارم عبد الوهاب بن القاضى الرئيس فخر القضاء أبى الفضائل أحمد بن المرتضى أبى عبد الله محمد بن الجليس أبى المعالى عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله بن الحباب التميمى السعدى الأغلبى، سمع وحدّث، وهو من بيت الرياسة والعدالة والفضل بالديار المصرية منذ سكنوها، وهم من ذرية زيادة الله بن الأغلب آخر ملوك بنى الأغلب بأفريقية .

وكانت وفاته بمصر فى التاسع والعشرين من جمادى الأول من السنة . ومولده فى غرة المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وفيها : توفى الطواشى الأمير شجاع الدين مرشد الخادم المظفرى عتيق صاحب حماة ومقـدم جيشها ، وكان من الشجعان الأبطال ، وكان إذا حمل فى جيش العدو يقول : أين أصحاب الحِصَى . وكان السلطان الملك الظاهر يعتمد عليـه لأمانته وشجاعته . وكان يتصرف فى المملكة الحموية تصرف ملوكها للوثوق به .

واستهلت سنة سبعين وستمائة

ذكر توجه السلطان إلى الكرك ثم إلى الشام وعزل الأمير جمال الدين النجيبى عن نيابة دمشق وتولية الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك نيابة السلطنة بالشام واستنابة الأمير علاء الدين أيدكن أستاد الدار بالكرك

وفى سنة سبعين وستمائة: بلغ السلطان أن الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وغيره من العربان تغيرت نياتهم وعزموا على الإنضمام إلى التتار. فعلم أنه إن استدعاهم لا يحضرون و ينكشف الحال، و إن قصد الشام تسحبوا، فنزل إلى الميدان فى سابع المحرم وفرق على خواصه أربعمائة ألف درهم، واثنى عشر ألف دينار عينا، وستين حياصة ذهبا، وأمر بتجهيز العساكر إلى عكا بعد الربيع. وتوجه السلطان من قلعته بعد المغرب من ليلة تسفر عن سابع وعشرين المحرم فى ساعة يسيرة من خواصه، وخرج من الزعقة[1] فى البرية إلى الكرك وأخفى مقصده، فوصل فى سادس صفر، وطلع إلى قامة الكرك، و كتب تقليد الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك بنيابة الشام، ولم يعلمه بذلك [حتى تسلم أيدكين نيابة الكرك] بل أفهمه أنه يستنيبه بحصن الأكراد، وتوجه إلى دمشق فوصل إليها فى ثالث عشر الشهر وسير للأمير جمال الدين النجيبى [نائب دمشق] تشريفا وأمره أن

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٨) حيث ترد إضافات إيضاحية .

أن يتوجه إلى الديار المصرية، وولى الأمير عز الدين ايدمر الظاهرى نيابة السلطنة بالشام . وركب السلطان فى ليلة سادس عشر صفر وتوجه إلى حماة ونزل بظاهرها بالجوسق ، ونزل صاحب حماة فى خيمة أسوة الناس ، ورتب استاد داره وأمير جانداره وحواشيه فى خدمة السلطان لأنه كان جريدة . فكان أول ما شرع فيه أمر العربان . وكان سبب نفورهم أشياء من جملتها أخذ أولادهم رهائن .

ولما وصل إلى حماة وجد عثمان بن مانع وعمرو بن مخلول وجماعة من أكابر العربان بفتة فأكرمهم ، وما أظهر لهم شيئا ، وكتب إلى الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا يطلب منه فرس فلان ، والفرس الفلانى تسكينا له ، وكان عيسى قد كتب إلى السلطان قبل خروجه من الديار المصرية يستأذن فى الحضور خديعة ، فخدعه السلطان ورسم أن لا يحضر حتى يطلب . فكتب إليه الآن : « إنك كنت طلبت الحضور ، ونحن الآن بحماة ، فإن أردت الحضور فاحضر » . فحضر فسأله السلطان عما نقل عنه العربان ، فاعترف به ، فرعى له حق الصدق . وأحسن إليه وإلى أمراء العربان ، وأطلق رهائنهم ، وأطلق لعيسى نصف خبزه الذى كان أخذه منه فى سنة ثمان وستين من سلمية وغيرها ، وهو مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، وأطلق له من حلب ألف مكوك غلة إنعاما ، وأطلق لغيره من العربان من خمسمائة مكوك إلى ما دونها .

وفى مستهل شهر ربيع الأول ، ركب السلطان من حماة بعد العشاء الآخرة ولم يعلم بقصده ، وسار على طريق حلب ، ثم عرج فأصبح بظاهر حمص ، وتوجه إلى حصنى الأكراد وعكار فكشفهما[1] ، وتوجه إلى دمشق .

(١) انظر السلوك (ج ١ ، ص ٩٩٥ ص ١٢ — ١٣) .

وورد الخبر أن جماعة من التتار أغاروا على عين تاب ، وتوجهوا إلى عمق حارم[1] فى نصف شهر ربيع الأول ، فكتب [السلطان] إلى الديار المصرية بتجريد الأمير بدر الدين بيسرى بثلاثة آلاف فارس ، وتوجه بذلك صارم الدين المشرقى ، وخرج من دمشق الثالثة من نهار الأحد ثامن عشر شهر ربيع الأول ، ودخل القاهرة الثالثة من ليلة الأربعاء حادى عشرينه ، فخرج الأمير بدر الدين بيسرى والعسكر بكرة نهار الأربعاء المذكور .

ووصل الأمير شمس الدين أستاد الدار بالعسكر المجرد وكانوا على جينين وهم خمسمائة فارس . وكان التتار قد أغاروا على حارم والمروج وقتلوا جماعة ، وتأخر ابن مجلى والعسكر الحلبى إلى حماة ، وجفل أهل دمشق ، وبلغت قيمة الجمل ألف درهم ، وأجرته إلى مصر مائتى درهم .

ووصل الأمير بدر الدين بيسرى والعسكر إلى دمشق فى رابع شهر ربيع الآخر ، وتوجه السلطان بالعسكر إلى حلب ، وجرد الأمير شمس الدين أستاد الدار وجماعة معه إلى مرعشن ، وجرد الأمير الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى حوران والرها ، فتوجها ووصلا إلى حوران ، فاتصل الخبر بمن فيها من نواب التتار فخرجوا فالتقاهم الأمير شرف الدين عيسى وطاردهم وطاردوه ، ثم وصل العسكر فخرج عليهم كمينه ، فلما رأوه نزلوا عن خيولهم ، وقبلوا الأرض ، وألقوا سلاحهم ، فقبضوا عن آخرهم ، فكانوا ستين رجلا . ثم سار الأمير علاء الدين طيبرس إلى حوران ، فلما أشرف عليها أغلق من فيها أبوابها وتركوا بابا واحدا ، فخرج منه الشيخ محاسن أحد أصحاب الشيخ

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٥) .

حياة ومعه جماعة كثيرة ، وذلك فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الآخر ، وأخرج لهم طعاما قليلا لأجل البركة ، فتلقاه الأمـــير علاء الدين وترجل له . فلما اجتمع به أخرج له الشيخ مفاتيح حران وقال له : «هذا بلد السلطان فتسلمه» . فقال له : «طيب قلوب الجماعة ويكونون[1] على ماهم عليه إلى أن يصل السلطان» . وعصى برج باب يزيد وفيه شحنة التتار فطلبه فامتنع ، وقال : « إذا جاء السلطان خرجت إليـه » ، فعاد الأمـير علاء الدين طيـبرس ولم يدخل حران ، وعبر الفرات سباحة .

وبعد توجهه فارق أكابر أهـل حران البلد ووصلوا إلى دمشق مثل : أمين الدين بن شقير ، وخطيبها الشـيخ شهاب الدين بن تيمية ، وأولاد بشر ، وابن علوان وغيرهم ، وأقام جماعة كثيرة من أهل حران بحلب وحماة وحمص وتفرقوا فى البلاد ، وبقى جماعة بحران .

فلما كان فى الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة ، وصل جماعة من التتار إلى حران ، فأخربوا أسـوارها وأكثر أصـوافها ودورها ونقضـوا جامعها وأخذوا أخشاب سقوفه ، واستصحبوا معهم من بقى فيها ، فخـربت وأخليت ودثرت إلى الآن . وكانت من المدن الجليلة .

ذكر عود السلطان من حلب ورجوعه إلى الديار المصرية وعوده إلى الشام[2]

وفى آخر شهر ربيع الآخر بلغ السلطان أن الفرنـج أغاروا على قاقون ، وقتل

(١) فى الأصل : « ويكون » .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠١) .

الأمير حسام الدين استاد الدار ، وجرح الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجاليق وجرح [بجكا العلائى] والى قاقون . فرحل السلطان من حلب ،ودخل دمشق و بين يديه التتار الذين أسروا من حران . وأما الفرنج فإنهم لما قصدهم العسكر المجرد بقاقون تأخروا عنها ، ووصل الأمير جمال الدين أقش الشمسى بعسكر عين جالوت ، فولوا مدبرين ، ولحقهم العسكر واسترجع منهم تركمانا ،وقتل من رجالتهم وعرقب من خيولهم [خمسمائة رأس] . وخرج السلطان من دمشق فى ثالث جمادى الأول وصحبته العساكر بنية الغارة على الفرنج ، وقصد عكا فتوالت الأمطار وهو على مرج برغوث(١) حتى كاد الناس يهلكون . فانثنى عزمه عن الإغارة . ورد العسكر الشامى وصار إلى الديار المصرية . فوصل إلى قلعة الجبل فى الثالث والعشرين من جمادى الأول وأقام بقلعته أياما .

ثم توجه إلى الجيزية للتنزه فى يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة فى جماعة من أمرائه وخواصه ، فحضر إليه مطالبيه ، وأخبروه أن بناحية بوصير السدر من الجيزية مغارة بها مطلب . فتوجه إليها وأمر بحفرها . فجمع متولى الجيزية جماعة ، فحفروا وأعمقوا ، فأخرجوا قطاطا ميتة ، وكلاب صيد ، وطيورا وغير ذلك من الحيوانات ، وهى ملفوفة فى خرق ، فإذا حلت اللفائف عنها وأصابها الهواء صارت ترابا تذروه الرياح ، ولم يوجد فيها خلاف ذلك . وعاد السلطان من الجيزية فى يوم الثلاثاء العشرين من الشهر .

(١) فى الأصل بدون نقط . انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٠١) .

ذكر إيقاع الحوطة على القاضى شمس الدين الحنبلى واعتقاله(١)

وفى سنة سبعين وستمائة : أمر السلطان بإيقاع الحوطة على منزل قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم المقدسى الحنبلى .

وسبب ذلك أن تقى الدين شبيب الحرانى كان أخوه ينوب عن قاضى القضاة المشار إليه بالمحلة فعزله ، فغضب أخوه المذكور لذلك ، وكتب رقعة إلى السلطان يقول : « إن القاضى شمس الدين عنده ودائع للتجار من أهل بغداد وحران والشام وغيرهم جملة كثيرة ، وقد مات بعض أهلها واستولى عليها » . فاستدعاه السلطان وسأله عن ذلك فأنكره وجحد ، فطلب منه اليمين فحلف وتأول يمينه . فعند ذلك أمر السلطان بهجم داره ، فهجمت ووجد فيها كثير مما ادعاه شبيب ، بعضه قد مات أربابه ، فأخذت زكاة ماوجد مدة سنتين . وسلم مابقى لأصحابه . فغضب السلطان عند ذلك على قاضى القضاة ، وأمر باعتقاله ، وتوجه السلطان إلى الشام وهو فى الإعتقال ، فتسلط شبيب عليه حينئذ وادعى أنه حشوى وأنه يقدح فى الدولة . وكتب بذلك محضرا ، فأمر الأمير بدر الدين الخزندار نائب السلطنة بعقد مجلس ، فعقد له يوم الاثنين حادى عشر شعبان من السنة واستدعى من شهد فى المحضر ، فنكل بعضهم عن الشهادة فأطلقوا ، وشهد الباقون ، فأحرق بهم وجرسوا . ثم تبين للأمير بدر الدين الخزندار تحامل شبيب لما ظهر له من إساءته على القاضى شمس الدين والقدح فيه ، فأمر باعتقاله

(١) كذا فى الأصل بدون نقط ، انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٢) .

والحوطة على موجوده . وأعاد القاضى إلى الإعتقال فاستمر به إلى أن أفرج عنه فى النصف من شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، [ولم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدا][1]

ذكر توجه السلطان إلى الصيد ثم إلى الشام[2]

قال : ولما عاد السلطان من الجيزية ، أقام بقلعة الجبل إلى شهر رجب من هذه السنة ، وخرج متصيدا إلى جهة الصالحية ، فبلغه حركة التتار فرجع إلى القلعة وتجهز .

وخرج إلى الشام فى ثالث شعبان من السنة ، ونزل بمرج قيسارية وحصلت الهدنة مع الفرنج[3] .

ونزل السلطان بمنزلة الروحاء وعيّد بها عيد الفطر ، ورحل منها فى ثانى شوال إلى خربة اللصوص ، ثم توجه إلى دمشق .

ووردت رسل التتار ، وهم رسل صمغار مقدم عسكر التتار بالروم ، ورسل البرواناه ، فحضروا بين يدى السلطان وسمع مشافهتهم ، وتضمن الكتاب الذى على أيديهم الرغبة فى الصلح وطلب رسل من السلطان . فجهز إليهم الأمير مبارز الدين الطورى أمير طير ، والأمير فخر الدين المقرى الحاجب ، فتوجها هما

---

(١) الإضافة لتكملة الخبر عن السلوك (جـ١ ص ٦٠٣) .

(٢) انظر السلوك (جـ ٢ ص ٦٠١ ، ٦٠٢) .

(٣) المقصود فرنج عكا حسب نص السلوك (نفس الموضع) .

والرسل فى نصف شوال سنه سبعين، واجتمعا بصمغار، بين سيواس والجسر، فأكرمهم وأوصلوه ما كان معهم من الهـدية ، وهى : قسى تسعة ، ودبابيس تسعة . واعتذروا عن قلتهـا كونهم حضروا على خيل البريد . وفى اليوم الثانى اجتمعا بالبرواناه واعطياه قماشا فاخرا كان السلطان قد سيره إليه خفية ، وسير معهما هدية لأبغا بن هولاكو ، وهى جوشن ريش قنفد ، وخـوذه كذلك ، وسيف ، وقوس ، ودركاش[1] ، وتسع فردات نشابا ، وتوجهـوا صحبة البرواناه إلى الأردو ، وأوصلوا إلى أبغا هديته . وقال له الأمير مبارز الدين الطـورى : « السلطان يسلم عليك و يقول : إن رسل منكوتمـر وردوا إليـه مرارا ، أن السلطان يركب من جهته . ويركب الملك منكوتمـر من جهتـه ، وأين وصلت خيل سلطاننا كان له ، وأين وصلت خيـل منكوتمر كان له » فانزعج أبغا انزعاجا عظيما ، وقام وركب وخرجت الرسل إلى خيامهم ، ثم طلب أمراءه للمشورة[2] ، وبعد ذلك خلع على الرسل وأذن لهم فى السفر فعادوا .

وأما السلطان فإنه أقام بدمشق حتى ضحى بها ، وأحسن إلى صاحب حماة ، وأمر بجلوسه معه بطراحة ومسند وكرسى فى رأس السماط مسامتا للسلطان .

ثم توجه بعد ذلك إلى حصنى الأكراد وعكار[3] وشاهـد العمارة بهما ، وعمل بيده ، وخلع على من بحصن الأكراد من الأمراء وأرباب الوظائف .

وعاد فتصيّـد فى الطريق وخلـع مقـدار خمسمائة تشريف على من أحضر صيدا ، ورجع إلى دمشق فدخلها فى خامس المحرم سنة إحدى وسبعين .

(١) كذا فى الأصل ، والمؤلف يختار الدال دائما بدل التاء .

(٢) فى الأصل « المشهور » ، والتصحيح يقتضيه السياق .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٢) .

وفى سنة سبعين وستمائة : كانت وفاة الملك الأمجد أبى الحسن بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب[1] ، رحمهم الله تعالى ، بدمشق فجأة فى يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى، ودفن بسفح قاسيون وله من العمر ما ينيف على خمسين سنة تقريبا . وكان من الفضلاء ، وله مشاركة فى العلوم ومعرفة بالأدب ، وتنقلت به الأحوال فى عمره ، وصحب الفقراء والمشايخ ، وانتفع بهم وأخذ عنهم. وكان كثير البر لمن يصحبه من المشايخ. وكانت همته عالية ونفسه ملوكية ، وله صبر على المكاره . وكان جميع أهل بيته يعظمونه ويعترفون له بالتقدمة ، حتى عم أبيه الملك الأمجد تقى الدين الذى قدمنا ذكر وفاته . وكان حسن الخط والترسل ، وكان واسطة عقد هذا البيت . فإن أمه ابنة الملك الأمجد مجد الدين حسن بن السلطان الملك العادل الكبير ، تسمى باسم جده . وإلى جده لأمه المذكور ابن الملك العادل ينسب الغور الأمجدى وهو النخيلة ، والنويعمة[2] ، ودامية ، والحمام ، وورثة أولاد الملك الناصر عن أمهم . وتزوج الملك الأمجد هذا ابن الملك الناصر داود ، ابنة الملك العزيز غياث الدين بن الملك الظاهر أخت الملك الناصر صاحب الشام وأولدها ولدا سماه صلاح الدين محمود .

وفيها : توفى الصدر الكبير وجيه الدين أبو عبد الله محمد بن على بن سويد بن معالى بن محمد بن أبى بكر الربعى التغلبى التكريتى التاجر[3] المشهور بسعة المال والثروة

(١) راجع النجوم (جـ ٧ ص ٩٧٠) مع اختلاف فى الاسم .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى النسخة « س » : « البريعمة » .

(٣) انظر النجوم (جـ ٧ ص ٣٣٨ س ٢ ، ٣) .

والجاه ونفوذ الكلمة ، [بلغ] مالم يبلغـه أحد من أمثاله . وكانت كتبه تنفذ عند سائر الملوك ، حتى عنـد ملوك الفرنج بالساحل . وكانت النجابون تأتيه من بغداد إلى دمشق فى مهمات تتعلق بالخلافة . وكانت متاجره لايتعرض إليهـا . وكان خصيصا بالمـلك النـاصر صاحب الشام لا يخـرج عن إشارته ورأيه . وانبسطت يده فى دولته . وكان عنده فضة كثيرة ، مراود وجسرا[1] ، فاسـتأذن الملك الناصر على ضربها دراهم فأذن له ، وجعل دار الضرب بدمشق بيـده ، فضرب منها شيئا كثيرا ، وكانت مغشوشـة ، فخسر الناس فيها أموالهم . ولمـا ملك هولاكو البلاد وصل إليه فرسان من جهته يتضمن تأمينه على نفسه وماله فما وثق به . وفارق دمشق إلى الديار المصرية . وغرم جملة مقارب ألف ألف درهـم بسبب الدراهم المغشوشـة وغيرها . ثم تمكن فى الدولة الظاهرية تمكنا كبيرا ، ووكله السلطان الملك الظاهر ، وجعله وصيه على أولاده من بعده وناظر أوقافه ، وخوطب فى مكاتباته بالمجلس السامى المولوى . وكان مع تمكنه من الملك الناصر لايكتب له عنه إلا الصدر الأجل . وكان سبب تمكنه من السلطان الملك الظاهر ما حكاه شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر الجزرى فى تاريخه عن والده ، رحمه الله تعالى ، قال : كنت عند وجيه الدين فى داره فى أيام الملك الناصر ، وقد جاء إليه المـلك الظاهر وهو يومئـذ فى خدمة المـلك الناصر من أمرائه ، وشكى إليـه ضعف إقطاعه ، وأنه قد ركبه دين كثير ، وليس عنده كسوة لصغاره ، وسأله أن يتحدث له مع المـلك الناصر ، وكان قد وصل إلى وجيـه الدين فى تلك الساعة من عكا جوخ سقلاط وغيره ، فأعطاه منـه كفاية

(١) كذا فى الأصل كأنه جمع « مرود » وجمع « جسر » .

عشرة أقبية، وخرق كتان فرنجى مائتى دراع، وخمس تقاطيع سكندرى، وتفصيلتين حرير، وألف درهم . وقال له : « ياخوند[1] مهما كان لك من حاجة أو خدمة أطلب ذلك منى ، ولا حاجة بقول السلطان » . قال : والله لقد رأيت الملك الظاهر وقد أهوى إلى أقدام وجيه الدين ليقبلها ، فرعى له السلطان الملك الظاهر حق هذا الإحسان . وملك وجيه الدين المذكور عدة من ضياع دمشق وأملاكها . وكان مع ذلك كله فيما حكى عنه شحيحا على طعامه ، لكنه كان يتكرم بماله . وكانت وفاته بدمشق فى ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شوال سنة سبعين وستمائة . ومولده بتكريت فى ذى القعده سنة تسع وستمائة ، رحمه الله تعالى .

(١) فى الأصل « ياخوند » .

واستهلت سنة إحدى وسبعين وستمائة

ذكر توجه السلطان إلى الديار المصرية على خيل البريد وعوده إلى الشام

قال : لما عاد السلطان من كشف الحصون فى خامس المحرم من هذه السنة ، استشار خواص الأمراء فى أن التتار تواترت الأخبار بحركتهم ، وأنهم متى قصدوا البلاد والعساكر والخزائن غير حاضرة صعب الأمر ، وعرفهم أنه يتوجه إلى الديار المصرية على البريد .

وركب ليلة السادس من المحرم بعد عشاء الآخرة ، وصحبته الأمير بدر الدين بيسرى ، والأمير جمال الدين أقش الرومى ، وجبرك[1] السلاح دار ، وجرمك الناصرى ، وسنقر الألفى السلاح دار ، وعلم الدين شقير مقدم البريدية . فدخل قلعته يوم السبت ثالث عشر المحرم ، ولم يشعر الناس إلا وهو داخل من باب القلعة ، فدخل وتوجه إلى الميدان ولعب الكرة ، وكتب إلى الأمراء المقيمين بالشام أنه سطرها من البيرة ، وصير علائم بخطه ليكتب عليها أجوبة البريد من دمشق إلى الأطراف . وكان الأمير سيف الدين الدوادار بقلعة دمشق لتجهيز الكتب والبريد . وفى يوم الاثنين توجه إلى مصر وركب فى البحر ولعبت الشوانى . وفى ليلة الأربعاء سابع عشرين المحرم جهز العسكر المجرد إلى الشام ،

---

(١) كذا فى الأصل ، انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٤) .

وتوجه هو إلى الشام فى ليـلة التاسع والعشرين من الشهر هو ومن كان معه من الأمراء . ووصل إلى دمشق فى ثالث صفر ، ودخل قلعتها ليلا .

وحضر إليه رسل أبغا وكان مضمون مشافهتهم طلب الاتفاق .

ثم توجه السلطان إلى قلعة البيرة عندما نازلهـا التتار . وكان من انهزامهم ما نذكره إن شاء الله تعالى فى الغزوات والفتوحات .

ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية فدخل قلعتـه فى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وفى السابع والعشرين من الشهر: أفرج عن الأمير عز الدين الدمياطى[1] وأنزله بدار الوزارة ورتب له الرواتب ، وكان فى الاعتقال من شهر رجب سنة إحدى وستين وستمائة .

وفى شهر رجب: خلع السلطان على الأمراء والوزراء والقضاة[2] والمقـدمين ، وعم بذلك المسافرين والمقيمين .

وفى هذه السنة: نجزت عمارة قبة الصخرة الشريفة[3] ، وذلك فى يوم عرفة ، وكان السلطان قد توجه إليها وجميـع الصناع لعمارتها كما قدمناه .

ذكر اعتقال الشيخ خضر[4]
والأسباب التى أوجبت ذلك

وفى يوم الاثنين ثانى عشر شوال سنة إحدى وسبعين : أحضر الشيخ خضر

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٧) . (٢) انظر السلوك (نفس الموضع) .
(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٨ س ١٢) . (٤) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٨) .

ابن أبي بكر بن موسى العدوى المهرانى شيخ السلطان إلى قلعة الجبل ، وأحضر جماعة خانقوه على أشياء كثيرة منها اللواط والزنا وغيره ، فتقدم أمر السلطان باعتقاله . وكان سبب ذلك أنه تعاطى أمورا منكرة وأفحش ، ثم شرع يغض من الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة ، والصاحب بهاء الدين ، وانتقل إلى حد المهاجرة لهما بالقول بحضرة السلطان ، وهو أن السلطان أطلق له شيئا فتوقف الأمير بدر الدين فى إمضائه ، فقال له بين يدى السلطان : « كأنك تشفق على السلطان وعلى أولاده ، كما فعل قطز بأولاد الملك المعز » . فخشى عاقبة ذلك . فاتفق هو والصاحب بهاء الدين على التدبير عليه و إطلاع السلطان على ماخفى عنه من حقيقة حاله ، ووافقهما على ذلك الأمير عز الدين أيدمر نائب السلطنة بالشام ، ورتبه ، وذلك أنه طلب إسماعيل ومظفر نائبه بدمشق وآخر من أتباعه اسمه محمد بن بطيخ وتهددهم أولا ، ثم وعدهم أنهم متى اعترفوا على شيخهم بما يعتمده أحسن إليهم وجعل لهم الرواتب . فذكروا عنه أشياء كثيرة وأشهدوا على أنفسهم بذلك . فكاتب السلطان فى أمره ، فأمر بإرسالهم على خيل البريد فأرسلوا . ولما حضروا بين يدى السلطان سمع كلامهم . ثم أحضره وقال له : « هؤلاء نوابك بالشام ، ما تقول فيهم ؟ » فذكر من خبرهم وصدقهم وأنه رضى بما يقولونه فيه . فذكروا عنه من القبائح والمنكرات وارتكاب المحرمات شيئا كثيرا ، وخانقوه على ذلك . فأطلقهم السلطان وأمر بإيقاع الحوطة على موجوده .

وحكى الشيخ قطب الدين اليونينى فى تاريخه : أنه لما حضر أولئك لخانقته كان ذلك بحضور الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب الأتابك ، والأمير سيف الدين قلاون ، والأمير بدر الدين بيسرى ، والأمير سيف الدين قشتمر

العجمى ، فخانقه أصحابه على كل عظيمة لاتصدر من مسلم . فقال : « ما أعرف ما تقولون . ومع هذا ، أنا ما قلت إنى رجل صالح ، أنتم قلتم هذا . فإن كان الذى تقولون صحيح فأنتم كذبتم » . فقام السلطان وقال للأمراء : « قوموا بنا لئلا نحترق بمجاورته » . فقاموا وانتقلوا إلى طرف الإيوان . فاستشار السلطان الأمراء فى أمره ، فقال له الأتابك : « هذا مطلع على أسرار الدولة وبواطن أحوالها وما ينبغى إبقاؤه ، ووافقه من حضر من الأمراء على هـذا الرأى ، وقالوا : ببعض ما قيل عنه يباح دمه . ففهم ما هم فيه ، فقال للسلطان : « اسمع ما أقول لك ، أنا أجلى قريب من أجلك ، وما بينى و بينك إلا مدة أيام يسيرة ، من مات منا لحقه الآخر عن قريب » . فلما سمع السلطان كلامه وجم ، وقال للأمراء : « ما تشيرون فى هذا » ؟ فسكتوا . فقال السلطان : « أرى أن يحبس فى مكان لا يصل إليه أحد ولا يسمع كلامه ، فيكون كمن قبر وهو حى » . ثم أمر به فحبس فى مكان منفرد بقلعة الجبل ، ولم يدخل إليه إلا من يثق السلطان به غاية الوثوق . وكان يرسل إليه الأطعمة الفاخرة والفواكه والملابس ، واستمر فى الإعتقال إلى أن توفى فى سنة ست وسبعين وستمائة قبل وفاة السلطان بأحد وعشرين يوما . وسنذكر إن شاء الله تعالى ، مبدأ أمره وسياقة أخباره عند ذكر وفاته .

وفيها : هرب الأمير عمرو بن مخلول من آل فضل من قلعة عجلون هو وحامد رفيقه . وكان السلطان قد اعتقلهما فى برج من أبراج القلعة ، فحفر حفيرة ملاصقة للسور ووقدوا النار حتى تكلس حجر السور ، فنقباه وخرجا منه ، وقد كانت أعدت لهما خيل سوابق فركباها وتوجها إلى بلاد التتار ، ثم ندما على ما فعلاه ، فكتبا إلى السلطان يسألان مراحمه ، فحلف أنه لا يرضى عنهما إلا أن

يعودا إلى قلعة عجلون ويضعا أرجلهما فى القيود على ما كانا عليه ، ففعلا ذلك . وكان عودهما من بلاد التتار فى ذى الحجة سنة اثنين وسبعين وستمائة . ولما رجعا إلى الطاعة وفعلا ما أمر السلطان به عفا عنهما وأطلقهما وأحسن إليهما .

وفى هذه السنة فى رابع عشرين ذى الحجة : توفى الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الفائز إبراهيم بن الملك السلطان العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب ، رحمهم الله تعالى ، فى معتقله بحجب خزانة البنود ، ودفن بتربتهم بالقرافة بجوار الإمام الشافعى . ومولده فى صفر سنة ست وستمائة ، رحمه الله تعالى (١) .

وفيها : كانت وفاة الأمير سيف الدين محمد بن الأمير مظفر الدين عثمان ابن الأمير ناصر الدين منكورس بن بدر الدين خُمردكين (٢) صاحب صهيون وبرزية فى شهر ربيع الأول . وكانت وفاته بصهيون وقد ناف على ستين سنة ، ودفن بتربة والده . وتسلم صهيون وبرزية بعده ولده الأمير سابق الدين سليمان ، ثم أخذهما السلطان منه فى هذه السنة على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها : كانت وفاة الحافظ الخطيب فخر الدين أبى محمد وأبى الفرج عبد القاهر ابن الشيخ علاء الدين عبد الغنى بن محمد بن تيمية الحرانى . وكانت وفاته بدمشق فى ثانى عشر شوال من هذه السنة . ودفن بمقابر الصوفية . ومولده فى سنة ثنتى عشرة وستمائة ، سمع الحديث من جده ومن ابن اللتى ، وخطب بجامع حران وكان فاضلا دينيا ، وهو من بيت معروف بالعلم والفضيلة ، رحمه الله تعالى (٣) .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٩ حاشية ٢) .

(٢) لا ترجمة له فى السلوك ولا فى النجوم ، وله ترجمة فى شذرات الذهب (جـ ٥ ص ٣٣٥ وفيات عام ٦٧٠) .

(٣) ترجمته في شذرات الذهب (جـ ٥ ص ٣٣٤ وفيات عام ٦٧٥) .

واستهلت سنة اثنتين وسبعين وستمائة

ذكر الطلسم الذى وجد بباب القصر بالقاهرة

قال المولى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، رحمه الله تعالى، فى السيرة الظاهرية : لما كان يوم عاشوراء من هذه السنة وجد ما سنذكره[1] ، وذلك أنه كان قد رسم بنقض علو أحد أبواب[2] القصر المسمى بباب البحر قبالة دار الحديث الكاملية ، لأجل نقل عمد منه لبعض العمائر السلطانية ، فظهر صندوق فى حائط مبنى عليه ، وللوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق . فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شكل الهرم ، ارتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسى ، والصنم جالس عليه متوركا ، وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا ، يحمل صفيحة يكون دورها قريب الثلاثة أشبار ، وفى هذه الصفيحة أشكال بايتة[3] ، الأوسط صورة رأس بغير جسد ، وعليه دوائر مكتوب عليها كتابة بالقبطى بالقَلَفْطِرِيّات[4] ، وإلى جانبها فى الصفيحة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة ، وإلى الجانب الآخر شكل على رأسه صليب ، وآخر فى يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهما أشكال طيور . وفوق رءوس الأشكال كتابة كثيرة أكثر من

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٠٩) .

(٢) فى الأصل : « باب » .

(٣) كذا فى الأصل ، من الممكن قراءة « ثانية » مع افتراض وجود تصحيف .

(٤) فى الأصل « بلقد قطريات » ، وبعد صفحة « بلقلفطريات » والفرق وجود دال أوراء فى نفس الموضع . ويحتم وضع الكلمة فى الجملة أن يكون أولها حرف وأل التعرف . ويبقى أصل الكلمة : قد قطريات أو فلفطريات ؛ ولم يستطع المحقق تحديد المعنى .

نصف الصفيحة . وعلى الأشكال كتابة . ووجد مع هذا الصنم فى الصندوق لوح من الواح الصبيان التى يكتبون فيها فى المكاتب مدهون وجهه الواحد[1] أبيض ، ووجهه الآخر أحمر ، وفيه كتابة قد تَكَشَّط أكثرها من طول المدة وقد بلى اللوح وما يقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهـم .

قال : والوجه الأبيض مكتوب بقلم الصفيحة القبطىّ . وذكر ما ظهر من الكتابة على الوجه الأحمر وهى ثلاثة عشر سطرا ، ذكر ألفاظا غير ملتئمة ، إلا أن المفهوم منها على غير التئامة : « الإسكندر ذو الملك يزجر » . وذكر ما ظهر فى كل سطر ، وأخلى لما تكشط منه مما لا فائدة فى ذكره ، والذى شرحه من السطر الثانى عشر ما صورته : « شد أيضا كل أمار[2] أشد به » . قال : وقيل إن هذا اللوح بخط الحاكم خليفة مصر . وأعجبُ ما فيه اسم السلطان وهو بيبرس . قال : ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته ، فعرض على قراء الأقلام ، فقرىء ، وهو بالقلم القبطى ، ومضمونه طلسم عمل للظاهر بن الحاكم ، وفيه أسماء ملائكة وعزائم ورُقىً وأسماء روحانية وصور ملائكة ، وأكثره حرسٌ للديار المصرية وثغورها وصرف الأعداء وكفهم عن طروقهم إليها ، وابتهالٌ إلى الله بأقسام كثيرة بحماية الديار المصرية ، وصونها من الأعداء ، وحفظها من كل طارق ومن جميع الأجناس .

قال : وتضمن هذا الطلسم كتابه بالقلفطريات[3] وأوفاقٌ وصورٌ وخواصُّ لا يعلمها إلا الله تعالى . وحمل هذا الطلسم إلى السلطان فبقى فى ذخائره .

(١) فى الأصل « الآخر » ، وهو لفظ غير مناسب للسياق .

(٢) كذا فى الأصل ، مع نقص النقط ، والجملة كلها غامضة ، ويحتمل أن تحوى إشارة إلى الأسدين اللذين اختارهما بيبرس رمزا يرسم على أسلحته .

(٣) كذا فى الأصل .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : رأيت فى كتاب عتيق رث[1] سماه مصنفه : وصية الإمام العزيز والد الإمام الحاكم لولده المذكور ، وقد ذكر فيه الطلسمات التى على أبواب القصر . وقال : إن أول الكواكب الحمل ، وهو قلب المريخ ، وشرف الشمس ، وله القوة على جميع سلطان الفلك ، لأنه صاحب السيف ، وله الأمر والحرب والسلطان والقوة ، والمستولى لقوة روحانيته على مدينتنا عندما بنيناها . وقد أقمنا طلسما لساعته ويومه لقهر الأعداء وذل المنافقين ، فى مكان أحكمناه على شُرافة[2] عليه والحصن الجامع لقصره مجاور لأول باب بنيناه . هذا نص ما فى الكتاب ، والله أعلم .

ذكر توجه السلطان إلى الشام[3]

وفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة : وردت الأخبار بحركة أبغا بن هولاكو ملك التتار ، فخرج السلطان فى ليلة السادس والعشرين من المحرم ، وصحبته جماعة من أمرائه الخواص ، منهم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، والأمير سيف الدين أوتامش[4] السعدى . فلما وصل إلى عسقلان بلغه أن أبغا وصل إلى بغداد وقد خرج إلى الزاب متصيدا ، فكتب إلى القاهرة يستدعى العساكر . فخرج منها يوم السبت حادى عشر صفر أربعة آلاف فارس [مع] مقدميهم : الأمير علاء الدين طيبرس الوزير ، والأمير جمال الدين أقش

(١) كذا فى الأصل دون نقط الثاء .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦١٠) .

(٤) كذا فى الأصل دائما . ويجرى السلوك (نفس الموضع) على عدم إثبات الواو .

الرومى، والأمير شمس الدين أقش المعروف بقطليجا[1]، والأمير علم الدين سنجر طردح[2]. ورحلوا من البركة فى يوم الاثنين . ثم قويت الأخبار ، وهـو فى أثناء الطريق بحركة التتار ، فكتب السلطان بخـروج العساكر جميعها والعربان من الديار المصرية صحبة بدر الدين بيليك الخزندار ، ورسم بأن جميع من فى مملكته ممن له فرس يركب إلى الغزاة ، وأن يُخْرِج أهل كل قرية بالشام من بينهم خيالة على قدر حال أهل البلد ، ويقومون بكلفتهم . ودخل السلطان إلى دمشق فى سابع عشر صفر . وكان رحيل العساكر من القاهرة فى العشرين من صفر ، فوصلوا إلى يافا ، وورد المرسوم بنزولهم قريبا منها ، وركب السلطان من دمشق فى نحو أربعين فارسا جرائد ، ولم يستصحبوا ركاب دار السلطان ولا غـيره[3] . فوصل وقد طُلِّبت العساكر وقاربوا المنزلة ، فاعترضهم السلطان وجماعته وقد ضرب كل منهم على وجهه لثاما ، فظن الحجاب أنهـم من التركمان ، فرسمـوا لهم بالترجل فمـا ترجلوا[4] . وساق السلطان منفردا وجاء من خلف الصناجق وحسر اللثام عن وجهه ، فعرفه السلاح دارية فأفرجوا له ، فدخل وساق فى الموكب فنزل الناس وقبـلوا الأرض ، وساق السلطان ونزل بدهليزه فرتب المصالح . وأصبح فى اليوم الثانى وركب فى موكبـه ، ونزل فقضى حوائج الناس وركب عند المساء ، هو ومن حضر معه وعاد إلى دمشق .

---

(١) كذا فى الأصل ، وكذلك فى السلوك (جـ ١ ص ٦١٠) .

(٢) كذا فى الأصـل ، وقراءات السلوك نفس الموضع هى : طروح ، طردح ، ططح ، والأرجح هو استبعاد وجود واو فى مكان الدال أو الطاء .

(٣) فى الأصل : لغيره .

(٤) فى الأصل : « بالترحل فارتحلوا » والتصحيح منقول عن السلوك (جـ ١ ص ٦١١) .

ذكر وصول الملك شمس الدين بهادر صاحب شميصاط[1] وشيء من أخباره

هـذا المذكور هو الملك شمس الدين بهادر بن الملك فرج[2] ، أمير الطست للسلطان جلال الدين خوارزم شاه منكبرتى ، وكان والده قد ملك بعد السلطان جلال الدين قلعة كيران[3] وست قلاع أخرى فى ناحية نقجوان[4]. ووصل إلى بلاد الروم فأقطع أقصرا ، فكاتب شمس الدين هـذا السلطان وراسله ، وتقرب إليه بإعلامه بحقيقة أخبار العدو ، وذلك فى سنة إحدى وسبعين وستمائة . واتفق السلطان معه على نكتة غريبة قتل بسببها الجاثليق النصرانى ؛ وكان قد أهان المسلمين ببغداد وسكن مواطن الخلافة وأفسد أمور المسلمين[5] . فكتب السلطان كتابا إلى الجاثليق مضمونه : عرفنا محبتك وتوصيتك على النصارى الذين ببلادنا ، وقد أكرمناهم لأجلك ، وعرفنا أخبار المغل الباطنة التى أشرت إليها . وذكر فى الكتاب أمورا موهمة لا أصل لها ، منها : الذى التمسته لمن أشرت قد أجبنا إليه ، وتسليم الأمكنة لمن عنيت قد حلفنا على تسليمها ، والدواء الذى تقرر السعى فى استعماله لمن أشرت إليه قد علم ، والله يقدر ذلك ، والذى طلبته من دهن البلسان والآثار المسيحية[6] قد سيرناها ،

---

(١) كذا فى الأصل : ويختلف الهجاء من مؤرخ لآخر ، راجع السلوك (ج ١ ص ٦١١) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٠) .

(٣) كذا فى الأصل ، مع رسم الدون النهائية كالباء النهائية .

(٤) كذا فى الأصل ، بغير نقط .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) كذا فى الأصل .

وسيرنا قطعـة من صليب الصلبوت ، وسـيرنا ذلك إلى الرحبة ، وعرفنا النائب بها الأمارة التى قررت . فأرسل من تثق إليـه بالأمارة ليتسلم ذلك . وسير السلطان هذا الملطف[1] إلى النائب بالبيرة ، ورسم له أن يجهزه صحبـة أرمنى يوصله إلى الجاثليق ، وأنه إذا جهزه يرسل إلى الملك شمس الدين بهادر يعرفه بخبره وحِلْيَته . ففعل ذلك ، وأرسل بهادر من أمسك هـذا القاصد وسير به إلى أبغا . فلما وقف أبغا على الملطف كان فيه هـلاك الجاثليق ، وتقرب شمس الدين بهادر إلى السلطان بأشياء كثيرة مثل ذلك . فشعر التتار به فأمسكوه وتوجهوا به إلى الأردو ، وهربت حاشيته ومماليكه ، فوصلوا إلى باب السلطان وهم يزيدون على ألفى نفر من مماليك وأجناد وغيرهم ، فأحسن إليهم ورتب لهم الرواتب . وأما الملك شمس الدين بهادر فإنه هرب ونجا بنفسه ووصل البيرة فتلقـاه أهلهـا ، وسير إلى السلطان . وذكر أنه أقام سبعة أيام لم يأكل شيئا . ولما وصل تلقاه السلطان وأكرمه وأعطاه الإقطاعات بالديار المصرية وأحسن إليـــه .

ذكر الظفر بملك الكَرْج

وفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة : ظفر السلطان بملك الكرج . وذلك أنه حضر لزيارة بيت المقدس ، فاتصل ذلك بالسلطان ، فأرسل من يعرف حليته فأمسك هو وثلاثة نفر من أعيان الكرج من بين الزوار ، وسير [وا] إلى السلطان وهو بدمشق فطيب قلوبهم ، وعرفهم أنه متيقظ لمن يدخل إلى بلاده ، واحترز عليهـم .

(١) الملطف بحسب السياق : رسالة وبحسب المعنى اللغوى : مايلف المـراد بلطف (القاموس المحيط) ، وراجع عن الملطفة السلوك (جـ ١ ص ٥٠٢ حاشية ٣) .

ولما سكنت الأخبار عاد السلطان والعساكر فدخل إلى قلعته فى رابع عشرين جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفى شعبان من هذه السنة : رسم السلطان بعمارة جسرين قناطر بالقرب من الرملة لعبور العساكر ، فعمرت .

وفيها : فى يوم السبت عاشر ذى القعدة حضر متولى القرافة إلى مستنيبه الأمير سيف الدين أبى بكر بن اسباسلار متولى مصر ، وأخبره أن شخصا دخل إلى تربة الملك المعز وجلس عند القبر يبكى . فسأله من بالمكان عن بكائه ، فأخبرهم أنه قاءان بن الملك المعز ، وكان الملك المظفر قد أرسله مع أخيه الملك المنصور إلى بلاد الأشكرى كما تقدم ، فأحضر وقيد واعتقل . وطولع السلطان بأمره ، فأحضره وسأله عن أمره ، فذكر أنه عاد إلى الديار المصرية منذ ست سنين ، وأنه يتوكل للجند . فطلب منه من يعرفه ، فذكر أن رجلا معتقلا بالإسكندرية كان يتردد إلى بلاد الأشكرى ، فأمر السلطان باحضاره واعتقال قاءان ، فحبس فى حبس اللصوص بمصر ، وأجرى عليه بعض مماليك المعز نفقة .

وفيها : أفرج السلطان عن الأمير سيف الدين الجوكندار ، وكان له مدة فى الاعتقال .

وفى ثانى عشر شهر رمضان من السنة : توجه الملك السعيد إلى الشام[1] ، وجرد السلطان فى خدمته الأمير سيف الدين أستاد دار وجماعة من أكابر الأمراء والخواص . ودخل إلى دمشق فى سادس عشرين الشهر ، ولم يشعر به نائب السلطنة إلا وهو بينهم فى سوق الخيل ، فنزلوا وقبلوا الأرض ، ودخل الملك

(١) انظر السلوك ، (ج ١ ص ٦١٢) .

السعيد القلعة وخلع على الأمراء فى ليلة العيد ، وخلع أيضا على المقدمين والمفاردة والأكابر ، وخرج متصيدا بالمرج ، ثم توجه إلى الشقيف وصفد ، وعاد الى مصر فى حادى عشر شوال منها .

ذكر ختان الملك المسعود نجم الدين خضر ولد السلطان الملك الظاهر[1]

كان ختانه فى يوم عيد الفطر سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وحمل السلطان عن الناس كلفة التقادم والهدايا وشملهم بالخلع والإنعام والعطاء .

ذكر نكتة غريبـــة[2]

وفى هذه السنة : ورد كتاب الغَرْس بن شاور والى الرملة يذكر أنه فى هـذه السنة حصل لأهل البلاد مرض وحمايات[3] من شرب مياه الآبار وزاد ذلك ، فحضر إليه رجل نصرانى فقال : « هذه الآبار قـد حاضت كما جرى فى السنة التى جاء التتار فيها إلى الشام ، وأن الفرنج أنفـذوا إلى قرية تسمى عابور[4] فى الجبل أخذوا من مائها وسكبوه فى الآبار فزال الوخم » فلما سمع ابن شاور ذلك سير إلى الضيعة المذكورة وأخذ من مائها وصبه فى الآبار التى بياقا ، وكان المـاء قد كثر فيها . فلما سكب المـاء فيها نقصت إلى حدها المتعارف[5] . وقيل : إن هذه الآبار إناث تحيض ، وآبار الجبل ذكور .

---

(١) انظر السلوك (جـ ٢ ص ٦١٢) . (٢) انظر السلوك (نفس الموضع) .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى السلوك (جـ ١ ص ٦١٢ س ٢٢) بالدال بدل الراء .

(٥) فى الأصل : « المعارف » .

ذكر ورود كتاب متملك الحبشة[1]

قال القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى السيرة الظاهرية : فى هذه السنة وصل كتاب متملك الحبشة إلى السلطان عطف كتاب صاحب اليمن . وهو يقول: « إن سلطان الحبشة قد قصدنى فى حاجة عند السلطان ، وقد سيرت كتابه عطف كتابى » فكان مضمون كتاب متملك الحبشة إلى السلطان[2] : —

« أقل المماليك ، محرا[3] ملاك يقبل الأرض وينهى بين يدى السلطان الملك الظاهر ، خلد الله ملكه ، أن رسولا وصل من [جهة] والى قوص بسبب الراهب الذى جاءنا ، فنحن ماجاءنا مطران وبلادنا بلاد مولانا السلطان ونحن عبيده . فيرسم مولانا يأمر الأب البطرك يعمل لنا مطرانا رجلا جيدا عالما لايحب ذهبا ولا فضة ، ويسيره إلى مدينة عوان[4] وأقل المماليك يسير إلى أبواب[5] الملك المظفر صاحب اليمن مايلزمه ، وهو يسيره إلى أبواب السلطان . وماكان سبب تأخر الرسل عن الحضور إلى السلطان إلا أنى كنت فى بيكار . والملك داود[6] توفى ، وقد ملك ولده ، يامولانا . وعندى فى عسكرى

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦١٥) .

(٢) نقل الأستاذ الدكتور زيادة نص نفس هذا الكتاب عن ابن أبى الفضائل فى النهج السديد وقد انتفع المحقق به .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل واضحا ، ويقترح الأستاذ الدكتور زيادة قراءة (أسوان أو عدن) راجع السلوك (جـ ١ ص ٦١٦ حاشية ١) .

(٥) فى الأصل « بواب » مع اسقاط الألف الأولى .

(٦) فى الأصل « ذلود » وما هنا نقلا عن قراءة الدكتور زيادة فى السلوك (نفس الموضع) .

مائة ألف فارس مسلمين . وإنما النصارى كثير لا تعد . وكلهم غلمانك وتحت أوامرك . والمطران [الكبير](١) هو يدعو لك ، وهذه الخلق(٢) كلهم يقولون : آمين بطول بقاء عمر سلطاننا(٣) مالك مصر ، ويهلك الله عدوه ، ويقول الخلق آمين . وكل من يصل(٤) من المسلمين إلى بلادنا أقل المماليك يحفظهم ويسفرهم كما يحبون(٥) . وإنما الرسول الذى سيره والى قوص بقدر(٦) وهو مريض . وبلادنا بلاد وخمة أى من مرض ما يقدر أحد يدخل إليه ، وأى من شم رائحته يمرض ويموت . والراهب قال : ما يروح [بغير](٧) رفيق . ونحن فنحفظ كل من يأتى من المسلمين ، وارسموا فسيروا مطرانا يحفظهم » . أنهى ذلك .

هذا نص كتابه ومخاطبة ملك اليمن له بالسلطان(٨) .

قال : فكتب جوابه عن السلطان :

«ورد كتاب الملك الجليل الهمام العادل فى مملكة حطى ملك المخره ، أكبر ملوك الحُبْشان ، الحاكم على مالهم من البلدان ، نجاشى عصره [وفريد مملكته فى دهره] سيف الملة المسيحية ، عضد [دولة] دين النصرانية ، صديق

(١) الإضافة للإيضاح وهى منقولة عن السلوك (نفس الموضع) .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الاصل « مولانا » ثم شطب اللفظ ووضع بدله « سلطاننا » .

(٤) فى الأصل « وصل » .

(٥) فى الأصل « يحبوا » .

(٦) فى الأصل : « فجور » .

(٧) الإضافة لاغنى عنها وهى منقولة عن السلوك نفس الموضع .

(٨) العبارة تحدد كيفية مخاطبة ملك اليمن لمتملك الحبشة ©

الملوك والسلاطين سلطان الأمحره ، حرس الله نفسه ، وبنى على الخير أسه . فوقفنا عليه وفهمنا ما فيه فأما طلب المطران ، فلم يحضر من جهة الملك رسول حتى كنا نعرف الغرض المطلوب ، وإنما كتاب مولانا السلطان الملك المظفر ورد، مضمونه : أنه وصل من جهته كتاب وقاصد ، وأنه أقام عنده حتى يسير إليه الجواب . وأما ماذكره من كثرة عساكره وأن من جملتها مائة ألف فارس مسلمين ، فأخبار البلاد عندنا ، ولاتخفى عنا ، فالله يكثر عساكر المسلمين . وأما وخم بلاده ، فالآجال مقدرة من الله ، وما يموت أحد الا بأجله ، ومن فرغ أجله مات ، وكم من جريح بالسيف عاش وصحيح مات ، والأمر لله فى الجميع » .

وفى هذه السنة : كانت وفاة الصاحب محيى الدين أبى العباس أحمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد ، فى ليلة الأحد التاسع والعشرين من شعبان ؛ ودفن من الغد بسفح المقطم ؛ سمع من جماعة ، وحدث ودرس بمدرسة والده [التى أنشأها بزقاق القناديل بمصر[1]] وكان منقطعا عن المناصب يحب التخلى والإنفراد كثير الصدقة ، وبنى رباطا بمصر ، ومولده بالفسطاط فى سنة ست وثلاثين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : فى ليلة الثلاثاء رابع عشر الآخر توفى الشيخ العالم الزاهد الورع أبو محمد عبد الله بن عمر بن يوسف الحميدى القَصْرى ، ودفن من يومه بالقرافة الصغرى . كان أوحد أهل زمانه فى أصول الدين والفقه ، وله معرفة بكلام الفقراء وأحوالهم رحمه الله تعالى .

(١) الإضافة للإيضاح وهى منقولة عن النجوم (جـ ٧ ص ٢٤١) .

وفيها : فى ليلة الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر توفى أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن نهار البكرى ، خطيب جامع ابن طولون ، ودفن بالقرافة ، ومولده بالقاهرة فى سنة ثلاث وستمائة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : فى يوم الأحد رابع عشر المحرم توفى الصدر الرئيس الأصيل مؤيد الدين أبو المعالى أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسـد بن على بن محمد التميمى الدمشقى ، المعروف بابن القـلانسى[1] رئيس دمشق وكبيرها والمشار إليه . وكان متواضعا كريما سمحا جوادا متصدقا[2] حسن السيرة جميل الطريقة طاهر اللسان . وكان السلطان الملك الظاهر قد عرض عليه نظر الشام فلم يقبل ، فألزمه بوكالته الخاصة والنظر فى ديوان ولده الملك السعيد ، فباشر ذلك . وكانت وفاته بدمشق ودفن بتربته بسفح قاسيون ، ومولده بدمشق فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وهو والد الصاحب الرئيس عز الدين حمزة .

وفيها : فى ليلة الأربعاء ثالث عشر شـعبان توفى الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ النحاة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائى[3] الجيانى ، وكانت وفاته بالمدرسة العادلية بدمشق ، ودفن بقاسيون بتربة بنى الصايغ ، له التصانيف المفيدة فى علم العربيـة ، وشهرته أكثر من أن يوتى على شرحها ، رحمه الله تعالى .

---

(١) انظر النجوم الزاهرة (جـ ٧ ص ٢٤٤) .

(٢) فى الأصل : « متصبا » .

(٣) انظر النجوم (جـ ٧ ص ٢٤٣) .

واستهلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فى هذه السنة : وصل الملك المنصور صاحب حماة إلى خدمة السلطان[1] ، فأحسن إليه وإلى ولده وأخيه وعاد إلى بلاده .

وفى ثامن صفر منها : توجه السلطان إلى الكرك على الهجن من الطريق البَدْرِيّة ، فوصل إلى الكرك والشوبك . وأقام بالكرك ثلاثة عشر يوما ، وعاد إلى قلعته فى ثانى عشرين شهر ربيع الأول[2] .

وفيها : فى سادس عشر شهر ربيع الآخر توجه السلطان إلى العباسة ، وفى صحبته ولده الملك السعيد ، فصرع الملك السعيد أوزة خِبِّيَّة[3] ، وقيل له : « لمن تدعى »؟ فقال : « لمن أدعو بحياته » . فقبّله السلطان . وعاد السلطان بعد خمسة أيام .

وكان سبب عوده أنه ظفر بكتب من جماعة من الأمراء إلى التتار ، وهم : بَجَمْقاد[4] الحموى ، وتوغان بن مَنْكو ، وسريغا ، وطَنْغرى يُورى ، وطنغرى يَرْمَس ، وأنوك ، وبَرْمَش ، وبلبان مجلى ، والبغلائى امارتد ، وبلاغا ، وطَغَينى[5] ، وأيبك ، وسَنْجر الحواشى[6] . وقبض عليهم وقررهم فأقروا . وكان آخر العهد بهم .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٤) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٤) .

(٣) فى الأصل : « جنيه » انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٥ س ١ وحاشية ١) .

(٤) كذا فى الأصل : وقراءة السلوك « بجقاز » .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى النسخة « س » طغمى .

(٦) كذا فى الأصل ، ومن المحتمل قراءة : « الطواشي » .

وفيها : أقبل السلطان على الأمير شهاب الدين يوسف بن الأمير حسام الدين الحسن بن أبى الفوارس القَيْمرَى ، وهو من أعيان الأمراء فى الدولة الصالحيـة النجمية والدولة الناصرية وكان السلطان قد نقم عليه ، فإنه تخيل أنه كان يثبط الملك الناصر عن قتال التتار ، فواخذه بذلك وقطع خبزه ، وعطّل ، وأطلق له فى كل يوم عشرين درهما ، ودام على ذلك فأعطاه الآن إمرة أربعين .

وفيها : توجه السلطان إلى الشام فى شعبان بجميع العساكر واستخلف بقلعة الجبل الأمير شمس الدين أقسنقر الفارقانى ، والصاحب بهاء الدين ، واستصحب معه الصاحب تاج الدين وزير الصحبة وكان فى هذه السفرة غزاة سيس على ما نذكر ذلك .

وفيها : رسم السلطان بعمارة ما كان تداعى من منارة الإسكندرية .

وفيها : فى يوم السبت تاسع جمادى الآخرة توفى الأمير فارس الدين آقطاى المستعرب الصالحى الأتابك ، ودفن بالقرافة بالقرب من تربة الإمام الشافعى ، ومشى السلطان فى جنازته ، وحضر دفنه ، وحزن عليه وبكى بكاء شديدا . وكان يستحق ذلك منه ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى قاضى القضاة شمس الدين عبد الله بن [محمد بن الحسن بن عطاء ابن الحسن] عطاء الأذرعى الحنفى[1] بدمشق فى يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى . ولما مات عزل قاضى القضاة زين الدين الزَّوَاوى المالكى نفسه من القضاء حال دفنه ، فإنه أخذ بيده من تراب القبر وحثاه عليه وقال : « والله لاحكمت

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٩) ، وفى النجوم (ج ٧ ص ٢٤٦) وهو عبد الله ابن محمد بن الحسن بن عطاء بن الحسن .

بعدك ، فإن لك أربعين سنة تحكم ، ثم هذه مالك[1] . وعزل نفسه من الحكم ، وبقى نائبه القاضى جمال الدين يوسف الزواوى يحكم على حاله .

وفوض السلطان قضاء الحنفية بعده للقاضى مجد الدين أبى المجد عبد الرحمن ابن الصاحب. كمال الدين عمر بن العديم الحنفى[2] فوصل إلى دمشق فى يوم الاثنين سلخ ذى القعدة ، وحكم فى ذى الحجة من السنة .

وفيها : توفى الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود[3] الأسدى اليغمورى[4] بالمحلة فى ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر . كان فقيها أصوليا مشاركا فى علوم كثيرة ، وصحب الأمير جمال الدين بن يغمور فعرف به . وكان قد توجه لزيارة الأمير شهاب الدين بن يغمور بالمحلة فمات . ومات الأمير شهاب الدين بعده بشهرين و يومين ، رحمهما الله تعالى .

وفيها : توفى الأمير سليمان بن الملك السعيد بن الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ، وكانت وفاته بدمشق فى حادى عشر صفر رحمه الله تعالى .

---

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٥١) .

(٣) هكذا فى الأصل : « يحمود » انظر السلوك (جـ ١ ص ٦١٩) .

(٤) ترجمته فى النجوم (جـ ٧ ص ٢٤٧) وهو الشهير بالحافظ اليغمورى ، وبابن الطحان أيضا ، وهو تكريتى الجد ، موصلى الأب ، ودمشقى المولد ، محلى الوفاة ؛ واسمه أبو المحاسن يوسف ابن أحمد بن محمود (؟) بن أحمد بن محمد .

واستهلت سنة أربع وسبعين وستمائة

استهلت سنة أربع وسبعين وستمائة والسلطان بالشام ، فرسم بإحضار ولده الملك السعيد ، فتوجه الأمير بدر الأمير بيليك الخزندار نائب السلطنة على خيل البريد لذلك ، فى الرابع والعشرين من المحرم . ووصل إلى قلعة الجبل ، فأرسل إليه الملك السعيد ألف دينار وتشريفا . وكان السلطان أيضا قد رسم للأمراء بإحضار أولادهم فتجهزوا .

وتوجه الملك السعيد على خيل البريد ، فى سلخ المحرم ووصل إلى دمشق فى سادس صفر ، وركب السلطان للقائه ، وحضر بعد ذلك طُلبه[1] ومماليكه .

وفى هذه السنة : وصلت رسل برواناه ، وأخبر[2] بقصد التتار البيرة ، وقال إنه اتفق هو وجماعة على أن العساكر إذا أقبلت من بر الشام وشاهدوا الصناجق السلطانية يضع السيف فى التتار ، فلم يف بذلك .

ثم بلغ السلطان حركة التتار ، وأن قصدهم البيرة ، فجمع العساكر من جميع البلاد ، وأقام ينتظر خبرا محققا ، فوصل الخبر أن التتار ، نازلوا البيرة ، فى يوم الخميس ثانى جمادى الآخرة ، وأنهم أقاموا فى تلك الليلة أحد عشر منجنيقا ، واهتموا بالحصار ونصب المجانيق ، وكان مقدمهم إبتاى[3] ، فأنفق السلطان فى

---

(١) طلب ، والجمع أطلاب ، بمعنى فرقة صغيرة من الجيش (راجع السلوك جـ ١ ص ٢٤٨ حاشية ٢) .

(٢) الفاعل : كناية عن والمعنى : أخبر كتاب البرواناه بكذا وكذا .

(٣) كذا فى الأصل .

العساكر وتولى النفقة بنفســه . وخرج بالعساكر ، فلما وصل إلى القُطَيْفة بلغه رحيـل التتار لانقطاع المـيرة عنهم ، فوصل إلى حمص ، ثم عاد إلى دمشق فى مستهل شهر رجب متوجها إلى الديار المصرية ، فدخل إلى قلعة الجبـل فى ثامن عشر الشهر .

ذكر شنق الطواشى شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز[1] وغيره

كان هذا الطواشى المذكور قد تمكن فى الدولة الظاهرية وكبر شأنه ، وتعاظم فى نفسه ، وصار فى غيبة السلطان يركب إلى الميـدان ويلعب بالكرة ويعود إلى القلعة ، ثم تعاطى بعد ذلك ، فيما نقل ، إدمان شرب الخمر فى دور السلطان ، ويجتمع على ذلك مع الخدام : فاتصل ذلك بالسلطان ، فلما عاد أحضره بين يديه ليلا ، وقام السلطان إليه بنفسه ولكمه وقصد أن يؤدبه بالضرب والإخراق[2] ليرتدع بذلك . وكان لهـذا الخادم على السـلطان إدلال كبير ، فحمـله إدلاله على أن خاطب السـلطان بمـا لايليق أن يخاطب به ، فكان ممـا قال له : « هـذا الضرب لايفيدك ، ولكن اشنقنى » . فغضب السلطان وأمر بشـنقه ، فشنق بالميدان الأسود تحت قلعة الجبل فى ليلته ، وشنق إلى جانبه خمسـة من الأجناد كانوا قد تخلفوا عن العرض بحمص ، وشُفع فى جماعة أخر من الجند ، فحبسوا بخزانة البنود .

(١) اسم عنبر من الأسماء الشائعة ، والمشار إليه هنا غير عنبر « مهتار الملك الظاهر الوارد ذكره فى النجوم (جـ ١ ص ١٧٦ س ٣) ، وغـير عنبر مملوك شجر الدر الوارد ذكره فى السـلوك (جـ ١ ص ٤٠٣) ، وإنما هو نفسـه المذكور فى السلوك فى الخـبر الموالى (جـ ١ ص ٦٢٣) لنفس هذا الخبر .

(٢) الإخراق هو إحداث الدهشي من خوف أو حياء (القاموس المحيط) .

وأمر السلطان بمن كان يحضر مع صدر الدين[1] من الخدام على الشراب فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وسملت أعينهم .

وقد حكى لى حكاية عجيبة عن هذا الخادم وهى : أن السلطان، قبل وصوله إلى الديار المصرية ، كان قد كتب إلى النائب بقلعة الجبل أن يتقدم بنصب مائة خشبة بالميدان الأسود للشنق فنصبت ، وما علم لمن هى ، فكان الطواشى إذا توجه إلى الميدان يمر على الخشب فينظر إلى خشبة منها ، ويقول : أجد قلبى يحن إلى هذه الخشبة ، وتكرر ذلك منه ، فشنق عليها . وهذا من عجيب الإتفاق فى إحساس الخواطر .

ذكر متجددات اتفقت بعد وصول السلطان إلى الديار المصرية غير ما تقدم ذكره

منها : وصول هدية صاحب أيمن[2] ، ومن جملتها الفيل والكركدن والحمار الوحشى العنابى وأصناف من التحف والبهار وغير ذلك ، فعرض ذلك على السلطان ، وجهز [السلطان] له هدية سنية وسيرها صحبة رسله .

ومنها : تجهيز رسل الملوك ، وهم : رسل الملك منكوتمر ملك البلاد الشمالية ، ورسل الأشكرى ، ورسل الفنش ، ورسل جنوة ، وإرسال الرسل إلى أشبيلية .

---

(١) المقصود : صدر الباز كما ورد فى صدر الخبر نفسه .

(٢) انظر السلوك : (جـ ١ ص ٦٢١) .

ذكر توجه رسل السلطان إلى أشبيلية
وما كان من خبرهم

كان الفُنْش[1] صاحب أشبيلية قد سير رسولا إلى السلطان اسمه دينار ، وعلى يده هدية سنية ورسالة ، مضمونها : استدعاء مودة السلطان ، وذلك قبل هـذا التاريخ . فسير السلطان إليـه الآن رسلا ، وهم : الأمير سيف الدين الجَلْدكى والأمير عز الدين أيبـك الكبكى[2] ، والفقيه العدل ([3]) الدين الحسين ابن همام بن مرتضى ، وعلى أيديهم هدية سنية وعقاقير . فتوجهوا من القاهرة فى العشر الآخر من شوال وتوجهوا إلى الإسكنـدرية ، وتوجهوا منها فى البحر فى ذى القعدة ، فوصـلوا الى سنقريس[4] ، فعوقهم صاحب بَرْشـنونة أياما ثم أفرج عنهم ، فساروا حتى وصلوا إلى مرعش[5] ، وهى من جملة مملكة الفنش ، فأعلم بوصولهم فاستدعاهم ، وكان يومئذ ببنطورية[6] فتوجهوا إليه ، فكانوا كلما مروا ببـلد خرج إليهم أهل البلد وتلقوهم بالأفراح ، إلى أن وصـلوا إلى بنطورية ، فخرج جميع من بها من الخيالة والرجالة والتقوهم بظاهرها ، ثم استدعاهم الملك بعـد ثلاث وأكرمهم غاية الإكرام ، واستحضرهم فى اليوم الثـانى وأحضروا

---

(١) الوارد هنا : ألفنش ، والمصطلح عليه : ادفونش ، بالدال أو الذال . وهو لقب يطلق على كل ملوك الفرنج بطليلة و برشلونة انظر السلوك (جـ ١ ص ٩٢١ حاشية ٢ .)

(٢) راجع السلوك (جـ ١ ص ٩٢١، ٩٢٦) وكانت وفاته عام ٧٤٣ هـ .

(٣) بياض فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) مرعش فى بلاد الأندلس وهى غير مرعش الثغور الجزرية .

(٦) كذا فى الأصل .

الهدية ، فاستبشر وطابت نفسه وقبلها ، ثم جهز لهم مركبا ببرشنونة[1] فتوجهوا فى البر إليها ، ثم ركبوا منها فى المركب فى آخر ذى الحجة ، فوصلوا إلى الإسكندرية فى صفر سنة خمس وسبعين وستمائة .

ذكر اتصال الملك السعيد بابنة الأمير سيف الدين[2] قلاون

وفى هذه السنة : فى يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة ، عقد نكاح الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان بن السلطان الملك الظاهر على [غازية خاتون] ابنة الأمير سيف الدين قلاون الألفى العلائى الصالحى . وكان العقد بالإيوان بقلعة الجبل على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار ، المعجل منه ألفا دينار ، ومعاملة صرف الدينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم . وكان الوكيل عن الملك السعيد فى قبول النكاح ، الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة ، والوكيل عن الأمير سيف الدين قلاون ، الأمير شمس الدين أقسنقر أستاد الدار العالية ، بعد أن ثبت التوكيل فى المجلس عند قاضى القضاة صدر الدين سليمان الحنفى . وجرى العقد بين الوكيلين بحضوره ، وحضر السلطان والوزراء والقضاة والأكابر وأعيان الأمراء والمقدمين[3] . وكان الصداق بخط القاضى محيى الدين عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر ، وإنشائه ، وقرأه فى المجلس ، فخلع عليه وأعطى مائة دينار . ونسخه :

---

(١) برشنونة تكتب أيضا برشلونة راجع السلوك (جـ ٢ ص ١٦٣ حاشية ٢) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٢٤) .

(٣) كذا فى الأصل . ومثل هذا الإهمال يتكرر ويؤكد النزوع إلى تغليب العامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله موفق الآمال لأسعد حركة ، ومصدق الفال لمن جعل عنده أعظم بركة ، ومحقق الإقبال لمن أصبح بشهيه سلطانه وصهرة مَلِكه ، الذى جعل للأولياء من لدنه سلطانا ونصيرا ، وميز أقدارهم باصطفاء تأهيله حتى حازوا نعيما وملكا كبيرا ، وأفرد فخارهم بتقربته حتى أفاد شمس آمالهم ضياء وزاد قمرها نورا ، وشرف وَصْلَتهم حتى أصبح فضل الله عليهم بها عظيما وأفضاله كثيرا ، مهيء أسباب التوفيق العاجلة والآجلة ، وجاعل ربوع كل أملاك من الأفلاك (١) بالشموس والبدور والأهلة أهلة ، جامع أطراف الفخار لذوى الإيثار حتى وصلت لهم النعمة الشاملة ، وحلت عندهم البركة الكاملة . »

« نحمده على [أن] (٢) أحسن عند الأولياء بالنعمة لاستيداع وأجمل لتأميلهم الاستطلاع ، وكمّل لاختيارهم الأجناس من الغرر والأنواع (٣) ، وآتى (٤) آمالهم ما لم يكن فى حساب أحسابهم من الإبتداء بالتخويل والابتداع . »

« وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة حسنة الأوضاع ملية بتشريف الألسنة وتكريم الأسماع . »

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الإضافة يقتضيها تركيب العبارة .

(٣) كذا فى الأصل . وكان الأفضل أن يقال من « الفروع » لكى يتحقق الازدواج بين المترادفين المتقاربين فى المعنى .

(٤) كذا فى فى الأصل بدون نقط .

«ونصلى على سيدنا محمد الذى أعلا الله به الأقدار وشرف به الموالى والأصهار، وجعل كرمه دارا لهم فى كل دار، وفخره على من استطلعه من المهاجرين والأنصار مشرق الأنوار، صلى الله عليه وعليهم صلاة زاهية الأزهار يانعة الثمار.»

«وبعد، فلو كان إفضال[1] كل شىء بحسب المتصل به فى تفضيله[2] لما استصلح البدر شيئا من المنازل لنزوله، ولا الغيث شيئا من الرياض لهطوله، ولا الذكر الحكيم لسانا من الألسنة لترتيله، ولا الجوهر الثمين شيئ من التيجان لحلوله، ولكن ليتشرف بيت يحل به القمر، ونبت يزوره المطر، ولسان يتعوذ بالآيات والسور، ونضار يتجمل باللآلىء والدرر. وكذلك تجمّلت برسول الله صلى الله عليه وسلم أصهاره من أصحابه، وتشرفت أنسابهم بأنسابه، تزوج صلى الله عليه وسلم منهم، وتمّت لهم به مزية الفخار حتى رضوا عن الله ورضى عنهم. والمرتب على هذه القاعدة إفاضة نور يستمده الوجود، وتقرير أمر يقارن سعد الأجنة[3] منه سعد السعود. وإظهار خطبة يقول الثريا لا تنظام عقودها كيف، وإبراز وصلة[4] يتجمل بترصيع جوهرها متن السيف، الذى يغطيه[5] [على] إيداع هذا الجوهر به كل سيف، ونسج صهارة يتم بها إن شاء الله تعالى كل أمر شديد، ويتفق بها كل توفيق، تخلّقُ الأيام وهو جديد. ويختار لها أبرك طالع، وكيف لا تكون البركة فى ذلك الطالع وهو السعيد، وذلك أن المراحم الشريفة

(١) فى الأصل: «إيصال»، والتصحيح يقتضيه السياق.

(٢) كذا فى الأصل، بدون نقطة الضاد المعجمة.

(٣) فى الأصل: «الأعمية».

(٤) وصلة بضم الواو، بمعنى إقامة صلة (القاموس المحيط).

(٥) فى الأصل: «يعطيه».

السلطانية أرادت أن تخص المجلس السامى الأمير - وذكر نعوته — بالإحسان المبتكر، وتفرده بالمواهب التى تُرْهِفُ بها منه الحـد المنتظر، وأن ترفع من قدره بالصهارة، مثل ما رفعـه صلى الله عليه وسـلم من قدر صاحبيه أبى بكر وعمر، فخطب إليه أسـعد البرية وأمنع من تحميها السيوف المشرفية، وأعزّ من تسبل عليها سـتور العيون الخفية، وتضرب دونها خدور[1] الجـلال الرضية، وتتجمل بنعوتها العقود. وكيف لا، وهى الدرة الألفية. فقال والدها الأمير المذكور: هكذا ترفع الأقدار وتزان، وكذا يكون قران السعد وسـعد القران. وما أسـعد روضا أصبحت هذه المراحم الشريفة السلطانية له خميلة[2]، وأشرف سيفا غدت منطقة بروج سمائها له خميلة، وما أعظمها معجزة آتت الأولياء من لدنها سلطانا، وزادتهم مع إيمانهـم إيمـانا، وما أفخرها صهارة يقول التوفيق لإبرامها: ليت، وأشرفها عبودية كرمت سلمانها بأن جعلته من أهـل البيت. وإذ قـد حصلت الاستخارة فى رفع قـدر المملوك[3]، وخَصَّصْته بهذه المزية التى تقاصرت عنها آمال أكابر الملوك. فالأمر للمليك البسيطة فى رفع درجات عبيده كيف يشاء، والتصدق بمـا يتفوه به هذا الإنشاء، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب مبارك تحاسدت رماح الخط وأقلام الخَطِّ على تحريره، وتنافست مطالع النـوار ومشارق الأنوار على نظم سطوره، فأضاء نور الجـلالة وأشرق،

(١) فى الأصل: «يصرف دونها حدود».

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) فى الأصل: «الملوك».

وهطل نوره بالإحسان فأغدق. وتناسبت فيه أجناس من تجنيس لفظ التفضيل، فقال الاعترافُ، هذا ما تصدق، وقال العرفُ، هذا ما أصدق مولانا السلطان — وذكر نعوته وألقابه — أصدقها ما ملأ خزائن الأحساب فخارا وشجرة الأنساب ثمارا، ومشكاة الجلالة أنوارا، وأضاف إلى ذلك ما لولا أدب الشرع لكان أقاليم ومدائن وأمصارا. فيذل لها من العين المصرى ما هو باسم والده قد تشرف، وبنعوته قد تعرف، وبين يدى هباته وصدقاته قد تصرف».

ثم كان الدخول بها فى شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة.

واهتم السلطان بذلك اهتماما لم يسمع بمثله، وخلع على جميع أكابر دولته من الأمراء والمقدمين والوزراء والقضاة والكتاب. وأنعم على الأمير سيف الدين قلاون بتشريف كامل بشربوش كان السلطان قد لبسه ثم خلعه عليه.

ذكر توجه السلطان إلى الكرك واستبداله بمن فيها من الرجال وعوده (١)

وفى يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة من هذه السنة: حالة انقضاء العقد، ركب السلطان على الهجن وتوجه إلى الكرك فى جمع يسير من جهة البرية، فوصل إلى قلعة الكرك فى ثالث وعشرين الشهر. وكان سبب ذلك أنه بلغه عن بعض رجال القلعة أنهم عزموا على إثارة فتنة ونقل دولة، وأنهم عزموا على الوثوب بنواب السلطان بالكرك فيقتلونهم ويسلمون الحصن لأخ كان للملك القاهر ابن الملك المعظم لأمه، كَوْنُه ينسب إلى الملك الناصر، وكان مقيما بالكرك لا يؤبه

(١) انظر السلوك (حـ ١ ص ٦٢٤).

له . فدخل السلطان إلى الكرك بغتة ، واستدعى الرجالة ، وكانوا زهاء ستمائة ، وأمر بالقبض عليهم وشنقهم ، فشفع ما كان معه فيهم ، فأخرجهم من الحصن وقطع أيدى وأرجل ستة نفر منهم من خلاف ، كانوا سبب الفتنة . وكان السلطان قد استخدم رجالا يثق بهم ، وسفرهم إلى غزة ، ولم يعرف أحدا قصده بهم ، فأحضرهم إلى الكرك ورتبهم عوض من كان بها من الرجال . واستدعى السلطان الطواشى شمس الدين صواب السهيلى الصالحى — وكان يتولى صناعة الإنشاء بمصر — وسلم إليه الحصن ، وفوض[1] إليه النظر فى أمواله وحواصله وذخائره . وخرج متوجها إلى دمشق فى يوم الجمعة ثامن عشرين ذى الحجة سنة أربع وسبعين وستمائة .

واتفق للسلطان فى هذه السفرة أمور ، وشاهد أبنية ومنازل غريبة فى مسيره من الديار المصرية إلى الكرك . وقد ذكرها المولى محيى الدين بن عبد الظاهر واعتذر فى بسط القول فيها[2] لغرابتها . فأحببنا أن نذكر ذلك تلخيصا .

قال : رحل السلطان من قلعته يوم الخميس المذكور فنزل بلبيس ، وأقام إلى قرب وقت العصر ، ورحل فنزل رأس الماء بوادى السدير ، ورحل منه فى نصف ليلة السبت ، فنزل الكراع وأقام إلى غروب الشمس ، وحمل الماء لكفاية يومين ، وتوجه على طريق البدرية ، وساق سوقا عنيفا إلى وقت الفجر من يوم الاثنين ، لم يرح ولم يسترح إلا بقدر ما تشرب الخيل الماء وتستوفى العليق ، فنزل جبل بدر ، ثم ركب بعد الإسفار لشدة الوعر فوصل إلى بدر ، ونزل عند العين .

(١) فى الأصل « فوق » .

(٢) فى الأصل : « فيها » .

قال : وهى عين تخرج من جبل أخضر ليس فيه نبات ، منبعها من جهة الغرب تحت جبل شاهق ، وهى شكل مغارة منقوبة ، يدخل الإنسان منها مقدار عشرة خطى ، فيجد عينا تنبع عن يسرة الداخل إليها .

وكان السلطان قبل وصوله إلى العين قد بعث جماعة من العرب وأمرهم أن يجمعوا من ماء العين ما يكون حاصلا للورود ، فصنعوا حول العين حياضا فى الأرض شَكْلَ البرك محوطة بالحجارة ، وملأوها من ماء العين ، فوردها السلطان ومن معه ، وارتفقوا بها ، ولولا ذلك لهلكوا من الأزدحام على الماء . ثم دخل السلطان بنفسه إلى المغارة ، وجلس عند العين ، وكان يملأ لمن معه قِرَبهم بيده ويناول كل قربة لصاحبها حتى ملأوا ما معهم . ثم رحل من بدر فنزل حسنة ، وهى بئر واحدة . ورحل منها حتى انتهى إلى عين تعرف بالمليحة فوردها . ورحل وبات تحت جبل يعرف بنقب الرُّباعى ، فلما أسفر الصبح صعد إلى الجبل وإذا هو جبل عظيم به عقاب صعبة — وهى حجارة رخوة تشبه الرمل المتجمد ، متغيرة الألوان إلى الحمرة والزرقة والبياض — وثم ثقوب فى الجبل يعبر الراكب منها ، وبها أمكنة تشبه السلالم من حجارة . وبها قبر هارون نبى الله أخى موسى ابن عمران ، عليهما السلام ، على يسرة السالك المتوجه إلى الشام . وثم قلعة تعرف بالأصوت[1] صعدها السلطان وشاهدها ، فوجدها من أعجب الحصون وأمنعها لا يكون أحصن منها . ونزل من نقوب الرباعى إلى مدائن بنى إسرائيل ، وهى ثقوب فى الجبال من أحسن الأشكال ذات بيوت بالعمد وأبواب ، وظواهر البيوت مصوقة[2] بالنقوش فى الحجارة بالإزميل ، وكلها مخربة ، بها صور أشكال

(١) لم يستدل المحقق على تعريف بهذه القلعة .

(٢) لعل المعنى هو : مزوقة من التزويق والزخرفة .

وهى على قدر دور الناس المبنيـة الآن ، وداخل هذه البيوت الأواوين المنورة المعقودة والصفف المتقابلة والخزائن والدهاليز والحرميات[1] . وليس ذلك مبنيا بل جميعه منحوت بالحديد أشكال المغاير[2] .

قال : وقد خلق الله تعالى جبلين متقابلين ، بينهما طريق ، وكل جبل منهما كأنه شكل سور مرتفع ، والدور متصلة يمينا وشمالا . ثم خرج السلطان من تلك الأمكنة إلى وادى المـدرة ، ثم منه إلى قرية تعرف بالعذبا[3] ، عرفت بذلك لأن بها العين التى بجسها موسى بن عمـران عليه السلام بعصاه ، وكانت تجـرى دما ، فقال : « عد بأمر الله ماء عذبا » فعادت العـين ماء حلوا رائقا باردا . فبات السلطان بهـا ، ورحل منهـا ليـلة السبت حادى عشرين الشهر ، فوصل قلعـة الشـوبك نصف نهـار الأحد ، وخـيم هناك ، وحضر أمراء بنى عقبة وغـيرهم من أمراء العربان ، وقدموا الخيـول والهجن وغـير ذلك ، ثم رحل من الشـوبك نصف نهـار الاثنين على طريق الحسا ، فوصـل إلى الكرك نصف نهـار الثلاثاء ثالث عشرين الشهـر .

قال : ولمـا كان فى سابع وعشرين الشهر يوم الجمعة خرج السلطان إلى باب قلعة الكرك ، وأحضر رجالها ، وذُكِر من خبر إخراجهـم نحوما تقدم .

وفى هـذه السنة : توفى المـلك المسعود جلال الدين عبـد الله بن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب .

---

(١) الحرميات بحسب سـياق الكلام : أجنحة متكاملة من الدور واللفظ مولد غـير موجود فى القاموس .

(٢) المغاير هى المغارات .

(٣) كذا فى الأصـل ، واسم العـين بحسب السياق يجب أن يكون « العـذبا » كما ورد هنا أو « الدما » كما ورد فى النسخة « ص » .

وكانت وفاته بدمشق فى خامس عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح قاسيون. وكان من أجمل الناس صورة وألطفهم خلقا وأكثرهم أدبا ، كثير المكارم وحسن العشرة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى الصاحب موفق الدين أبو الحسن على بن محمد بن على بن محمد المَذْحجى الآمدى ، وكان من أعيان الأكابر ممن يرشح للوزارة ، وولى نظر الدواوين ثم رُتب آخرا ناظر الكرك والشوبك ، فباشر ذلك مكرها ، واستمر على ذلك إلى أن مات بالكرك . وكانت وفاته فى ثامن عشر ذى الحجة ، ودفن قريبا من مشهد جعفر التيار رضى الله عنه .

وفيها : فى يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول كانت وفاة الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير بدمشق ودفن بقاسيون[1] .

وفيها : فى العشرين من شهر رمضان توفى الشيخ الإمام الفاضل تاج الدين أبو الحسن على بن الأنجب البغدادى ـ المعروف بابن الساعى ـ المؤرخ خازن كتب المدرسة المستنصرية[2] . كان فاضلا ، وله تاريخ مذيل على تاريخ ابن الأثير الجزرى ، رحمهما الله تعالى .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٢٤ س ٨ ، ٩) .

(٢) راجع شذرات الذهب (ص ٣٤٣ — ٣٤٤ وفيات عام ٦٧٤ هـ) .

واستهلت سنة خمس وسبعين وستمائة[1]

ذكر وصول جماعة من أمراء الروم إلى خدمة السلطان وطاعتهم له[2]

قال : ووصلت الأخبار أن جماعة من أمراء الروم اظهروا طاعة السلطان وتجاهروا بذلك . وأن البرواناه أنفرد عنهم وتقرب إلى التتار ورجع عما كان مشتركا معهم فيه من طاعة السلطان ، وتوجه إلى الأردو وطلب من أكابر أمراء الروم النجاة بأنفسهم[3] . وأخذ[4] الأمير شرف الدين مسعود بن الخطير وأخوه ضياء الدين محمود : السلطان غياث الدين صاحب الروم وتوجها به إلى قلعة نكيدة[5] ، وكاتبوا السلطان . وكذلك الأمير حسام الدين بَيْنجار[6] وولده الأمير بهاء وأولاده[7] ، وجماعة من الأمراء وهم إثنا عشر أميرا ، وطلبوا من السلطان أنه

---

(١) فى الأصل : « وسبعمائة » وهو سهو .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٢١ ، ٦٢٥ فى أخبار عام ٦٧٤ ، ٦٧٥ هـ) .

(٣) فى الأصل : « لأنفسهم » .

(٤) مفعول أخذ هو السلطان كيكاوس بن كيخسرو غياث الدين صاحب الروم ، وقارن أيضا عبارة السلوك (ج ١ ص ٦٢٩) .

(٥) فى الأصل : « بليدة » بدون رأس الكاف ، وكثيرا مايحذف الناسخ رأس الكاف .

أما ياقوت فإنه يرسم « نكيدا » بالألف ، ويقول أنها مدينة قديمة صغيرة بينها وبين هرقلة ثلاثة أيام وبينها وبين قيسارية ثلاثة أيام من جهة الشمال .

(٦) وينقب فى السلوك بالرومى (ج ١ ص ٦٢٥ هـ) . وضبط الاسم منقول من السلوك .

(٧) كذا فى الأصل .

يتدار كهم بعسكره . فركب [السلطان] من الكرك كما تقـدم ، ووصـل إلى دمشق فى رابع عشر المحرم ، فوصل الأمير حسام الدين بينجار والأمير بهاء الدين بهادر وولده [أحمد](١) ، ثم وصل بعدهما الأمير سيف الدين حَيْدَر بك(٢) صاحب الأَبْلُسْتين(٣) ، والأمير مبارز الدين [سوار بن](٤) الجاشنكير و جماعة من أمراء الروم ، فتلقاهم السلطان بنفسه وأحسن إليهم ووصل حريمهم وأولادهم ، فجهزهم(٥) إلى الديار المصرية . وكتب السلطان إلى الأمير بدر الدين بيسرى والأمير شمس الدين أقش [البرلى] [و] قَطْلِيجا(٦) ، فحضرا إلى دمشق على خيـل البريد ، فطاب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر(٧) . وتوجه السلطان إلى حلب ، وجهز الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى وصحبته جماعة من العسكر ، فوصلوا إلى عين تاب ، وقرر معهم التوجه إلى القلعة التى بها السلطان غياث الدين وابن الخطـير . فورد كتاب الزينى أنه وصل إلى كرصو(٨) ، فبلغه أن التتار وصـلوا إليها أيضا ، وبقى بينه وبين العدو النهر ، وجالوا بين العسكر وبين قلعة نكيدة ، فرجع العسكر إلى

(١) الإضافة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٢٥ س ٦) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٢٥)

(٣) أبلستين : بالفتح ثم الضم ولام مضمومة وسين مهملة ساكنة ، وتاء مفتـوحة وهى مدينة قريبة من مدينة أصحاب الكهف (معجم ياقوت جـ ١ ص ٨٦) .

(٤) الإضافة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٢٥ س ٨ — ٩) .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) مر ذكره من قبل فى هذا المتن ، وهو غير أقش البرلى ولهذا أضفنا واو العطف .

(٧) كذا فى الأصل . وتبدو الجملة ناقصة .

(٨) ويرسم الاسم أيضا بالقاف « قراصو » : وهو من روافد الفرات .

عين تاب ، وهرب شرف الدين بن الخطير[1] إلى بعض القلاع فتقرب إلى العدو بتسليمه [السلطان] إليهم . وبقى أخوه ضياء الدين فى خدمة السلطان [الظاهر بيبرس] لأنه كان حضر إليه مستنجدا وسير هذا العسكر بسبب حضوره . وأما السلطان غياث الدين فعلم التتار أنه محكوم عليه فعفوا عنه ، وسلموه[2] إلى الصاحب والبرواناه .

وعاد السلطان إلى دمشق ومنها إلى الديار المصرية ، فدخل قلعة الجبل فى رابع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، فأقام إلى شهر رمضان من السنة وتوجه إلى الشام فى العشرين من الشهر ، فكانت غزوة الروم ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، فى الغزوات .

ذكر ظهور المسجد بجوار دير البغل وإقامة شعائر الإسلام به

وفى التاسع عشر من شوال من هذه السنة : خرج جماعة إلى دير القصير ، المعروف بدير البغل ظاهر مصر ، فرأوا أثر باب بجوار الدير ، فدخلوا المكان فرأوا آثار محاريب المسلمين ، فأنهوا ذلك إلى الصاحب بهاء الدين ، فتقدم إلى القاضى بهاء الدين ناظر الأحباس أن يتوجه وصحبته نواب الحكم والعدول والمهندسون ومن يعتبر حضوره فى مثل ذلك . فتوجه وصحبته القضاة [و] المشايخ : وجيه الدين البهنسى ، وظهير الدين الترمنتى ، وعلم الدين السمنودى نائب الحكم ، ونظام الدين الخليلى ، وجماعة من المهندسين ، فشاهدوا المكان ورأوا به من

(١) فى الأصل : ابن الخطيب ، والتصحيح من النص نفسه فى صدر الخبر .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٢٩) .

من الآثار مايدل على أنه مسجد، وشهدوا بذلك عند القاضى علم الدين السنودى فأثبته ، ونقل الحكم إلى قاضى القضاة محيي الدين بن عين الدولة . وطولع الملك السعيد بذلك ، فأمر الصاحب بهاء الدين بعمارته وإقامة من يحتاج إليه من إمام ومؤذن وزيت وفرش ، فرتب ذلك له ، وهو باق إلى يومنا هذا .

وفى هذه السنة فى رابع شوال : كانت وفاة الصاحب بدر الدين جعفر بن محمد بن على بن محمد المذحجى الآمدى[1] بدمشق وهو يومئذ ناظر النظار بها، ودفن بقاسيون. ومولده فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وكان هو وأخوه موفق الدين من أمناء المباشرين وأرباب الستر على الكتاب ، ولقب كل منهما بالصاحب ، ولم يليا وزارة . ولما حضرا من بلاد آمد فى سنة ثلاثين وستمائة هما وابن اختهما شمس الدين، لما نقل الملك الكامل أهل آمد منها . فلما عبرا الفرات قال موفق الدين لهما : « اعلما أننا نقدم على بلاد لانعرف فيها أحدا، وليس لنا فيها معين إلا الله تعالى ، فتعاهدانى والله تعالى ، على الأمانة وألا نخون السلطان ولا الناس» . فتعاهدوا على ذلك ودخلوا إلى الديار المصرية. وولوا المناصب فوفيا بما عاهدا عليه، ونكث ابن اختهما شمس الدين ، فسلما فى مباشراتهما . وكان شمس الدين كثير النكبات والمصادرات .

وفيها: كانت وفاة الشيخ الصالح برهان الدين أبى إسحق بن سعد الله بن جماعة ابن على بن جماعة الكنانى الحموى بالقدس الشريف يوم عيد الفطر، رحمه الله تعالى .

---

(١) ورد ذكر أخيه فى نفس هذا المتن فى وفيات السنة الماضية .

وفيها: كانت وفاة القاضى شرف الدين محمد بن بشكور المصرى الكاتب ، ولى مناصب جليلة ، منها : نظر الجيش ونظر الدواوين بالديار المصرية . وكان بينه و بين الصاحب بهاء الدين مصاهرة ووحشة . وكانت وفاته بداره على الخليج بالقرب من مصر فى ليلة الأحد خامس عشرين جمادى الأولى . ودفن يوم الأحد بالقرافة الصغرى . ومولده سنة ست عشرة وستمائة .

وفيها : توفى الأمير عز الدين إيغان ولا دمر[1] الركنى المعروف بسم الموت فى محبسه بقلعة الجبل ، وسلم إلى أهله فى يوم الخميس ثامن عشر جمادى الآخرة ، فدفن من يومه بمقابر باب النصر . وكان من الأمراء الأكابر ، وقد تقدم[2] ذكر اعتقاله .

هذا آخر ما لخصناه من الحوادث فى الأيام الظاهرية ، فلنذكر الغزوات والفتوحات الظاهرية .

---

(١) كذا فى الأصل . وراجع السلوك (جـ ١ ص ٦٣٣ س ١٦ ، ص ٥٢٣ حاشية ٢) أما وصف « ولا دمر » فلا يوجد له نظير فى السلوك .

(٢) راجع ما تقدم ص ١٨٠ من هذا الجزء .

ذكر غزوات السلطان الملك الظاهر وفتوحاته وما استولى عليه من البلاد الإسلامية

ولنبدأ من ذلك بذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية مما كان بيد غيره من الملوك وأصحاب الحصون . ثم نذكر الغزوات والفتوحات على مساقها بمقتضى ما يقدمه التاريخ و يؤخره توفية للشرط الذى شرطناه .

ذكر ما استولى عليه من القلاع والحصون والبلاد الإسلامية وأضافه إلى ممالكه

كان مما استولى عليه السلطان الملك الظاهر من القلاع والحصون والبلاد بعد أن استقر فى الملك : الشوبك ، والكرك ، وقلعة البيرة ، وحمص ، والرحبة . وقد تقدم ذكر ذلك فى أثناء أخباره فلا فائدة فى إعادته . واستولى على خلاف ذلك مما نذكره الآن وهو : سواكن من بلاد اليمن ، وخيبر من بلاد الحجاز ، وقرقيسيا ، وبَلاَطُنس ، وصَهيون ، وبرزية ، وحصون الدعوة من الشام وما والاه .

ذكر فتوح سواكن

كان فتحها فى سنة أربع وستين وستمائة . وسبب ذلك أن صاحبها [الشريف] علم الدين أَسْبَغانى[1] كان قد تعرض للتجار ، وأخذ ميراث من مات

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٠٦ ص ٢ ، ص ٥٥٠ ص ١٠ — ١٢ ، ص ٥٥٨ ص ٢ ص ٧٠٠ ص ١١)

منهم فى البحر ومنع أولادهـم منه ، وكوتب فى ذلك وحذر من العود إليه ، فلم تغن المكاتبات شيئا. فرسم الأمير علاء الدين الخزندار متولى الأعمال القوصية والأعمال الإخميمية ، فقصده ، فورد كتابه أنه وصـل إلى ثغر عيذاب وسـير عسكرا إلى سواكن فهرب صاحبهـا ، ثم توجه علاء الدين المذكور إليهـا من عيذاب فى عشرة أيام ، وكان معه من المراكب الكبار والصغار نيف وأربعون مركبا ، ووصل إليه من القصير كلالين[1] موسقة بالمقاتلة ، ودخل سواكن وأقام بها ومهدها وقرر أحوالها ، ثم رجع إلى مدينة قوص . ولمـا فارق سواكن عاد صاحبها إليها فقاتله من بها أشد قتال ، وعاد منها .

ذكر فتوح خيبر[2]

كان فتحها فى سنـة اثنتين وستين وستمائة ، وذلك أن أصحابها عبيد على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وصلت كتبهم إلى السلطان يبذلون الطاعة والخدمة ، فسير نجابين تستصحح[3] الأخبار ، وندب الأمـير أمين الدين موسى بن التركمانى ، وجهز الرماة والمقاتلة ، وأنفق فيهم الأموال وجهز الخلع للمقدمين والمشايخ وكتب إلى نائب الكرك بتجهيز أمراء العربان وجماعة من البحرية صحبته ، وجهز الغلال والذخائر لهذه القلعة ، فتوجه الأمير أمين الدولة وافتتحها .

---

(١) نوع من السفن .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٠ ـ ٥٢١) .

(٣) كذا فى الأصل .

ذكر فتوح قرقيسيا[1]

وقرقيسيا هذه من أقدم المدن ، وكانت تعرف بالزبّاء الملكة . وفيها يقول ابن دريد :

فاستنزل الزباء قسرا وهى فى عقاب لوح الجو أعلا منتما[2]

وكان السلطان قد راسل أهلها ، وسير إليها الأمير كمال الدين الطورى وملكها وأقام بها مدة ، فقصدها التتار ، فعاد كمال الدين إلى السلطان وتركها . وفى شهر رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة ، أرسل مقدموها إلى عز الدين السكندرى النائب بالرحبة[3] ، وسألوه عفو السلطان وسيروا رهائنهم . فتوجه إليها جماعة من الخيالة والأخية ، وساقوا من أول الليل إلى نصفه وبانوا على ماكسين[4] ، فلما أصبح الصبح أحاط بها المسلمون والعسكر وقتلوا من كان بها من عسكر التتار والكرج ، وأسروا من المرتدة نيفا وثمانين نفرا ، وتسلموا الجسر وصراكبه والسلسلة ، فى نصف الشهر .

---

(١) قرقيسياء ، بالفتح ثم السكون ، ويقال بياء واحدة ، وهى معرب كركيسيا ، وعندها مصب الخابور فى الفرات (معجم ياقوت جـ ٧ ص ٥٨) وراجع أيضا السلوك (جـ ١ ص ٥٣٧) .

(٢) بيت شعر .

(٣) إذا قيل الرحبة دون وصف آخر فالمقصود رحبة مالك بن طوق وهى على الفرات أسفل قرقيسيا وقد خصص ياقوت الذكريات التاريخية والطبيعة الرحبة الجغرافية عدة صفحات (جـ ٤ ص ٢٢٦) .

(٤) ماكسين بكسر الكاف بلد بالخابور قرية من الرحبة من ديار ربيعة معجم ياقوت (جـ ٧ ص ٣٦٦) .

ذكر أخذ بلاطُنُس[1] وخبرها

كانت بلاطنس جارية فى مملكة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، فلما دخل التتار البلاد استولى عليها الأمير مظفر الدين عثمان صاحب صِهيون[2] ، فطلب السلطان منه رد هذا الحصن ، فصار يدافع ويقول : « أنا من جملة النواب » . فلما توجه السلطان إلى أنطاكية سير إليه هدية ردها السلطان عليه ، وسيّر جماعة من عسكر حلب أغاروا عليها . فتوالت رسله[3] بالإذعان بالتسليم ويطلب قرية توقف عليه ، فعين السلطان له قرية الحلمة[4] من بلد شيزر ، ووقفها عليه وعلى أولاده ، وقرر أن يعطى صاحب بلاطنس شيئا من بلد صهيون فقرر له السلطان منها بلادا تغل ثلاثين ألف درهم[5] ، وتُسلمت بلاطنس منه فى سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وستين وستمائة .

وهذا الحصن من جملة معاقل الإسلام الحصينة لأنه برى بحرى سهلى ، ما أخذ بالسيف قط ، بناه رجال يعرفون ببنى الأحمر من أهل الجبال وحصنوه ، فلما سمع بهم قطبان أنطاكية المسمى ببقيطا عاجلهم قبل إتمامه فملكه بالأمان ، وأخذ فى تحصينه وإتمام بنائه ، وذلك فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة . فلما كان

(١) عن بلاطنس راجع السلوك (جـ ١ ص ٥٧٩ ، ٩٤٥) .

(٢) صهيون بكسر الصاد ، حصن حصين فى طرف جبل استرده صلاح الدين من يد الصليبيين عام ٥٨٨ هـ ، راجع معجم ياقوت ، (جـ ٥ ص ٤٠٢) .

(٣) هنا اضطرب ترتيب الصفحات أثناء التجليد ، وقد صحح الترتيب على أساس التوقيت والسياق والمقارنة بمتن السلوك .

(٤) الحلمة أو الحكمة موضع لم يستطع المحقق التعريف به من الكتب الجغرافية المتداولة .

(٥) فى الأصل : « تحمل » .

فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، خرج روجار صاحب انطاكية فدوخ بلاد الإسلام ، وقصد حصن بلاطنس وفيه بنو ضليعة أولاد أخى القاضى شرف الدين ، فنزل على بلاطنس فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى الحجة من السنة ، وأجلب عليه فتسلمه فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ثنتى عشرة ، وعوضهم عنه بأنطاكية ثلاث قرى . فلما كان فى يوم السبت سابع وعشرين شعبان سنة ثلاثين وخمسمائة وثب أهل بلاطنس على من فيه من الفرنج فقتلوهم ، فاحتمت عليهم القلة . فأرسل أهل الجبال إلى منكجك التركمانى صاحب بكسرائيل[1] يستنجدونه فأتاهم وأقام يحاصرها مدة . فعمل الفرنج الذين بها حيلة عليه ، وراسلوه وبذلوا له تسليمها على شرط أن يخفر نساءهم وأولادهم حتى يصلوا إلى جبلة أو إلى صهيون . فإذا جاءت لهم العلامة بوصولهم سالمين سلموها له ، فلما وصلهم امتنعوا من التسليم . وكان ذلك حيلة منهم ، فإن الأقوات ضاقت عندهم وضاقت الغلة عليهم ، فاستراحوا بخروجهم عنهم وقويت نفوسهم . واتصل الخبر بأنطاكية فسيروا إليها عسكرا دفعه عنها . واستقرت بأيديهم إلى أن ملكها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على ما قدمناه .

ذكر تسليم صهيون وبرزية[2]

وفى سنة إحدى وسبعين وستمائة : تسلم السلطان صهيون وبرزية ، وذلك

(١) فى الأصل : « بكسراسل » والتصحيح عن معجم ياقوت ، والمقصود حصن من سواحل حمص مقابل جبلة ، واسم صاحبه المذكور هنا لم يرد فى الأعلام المذكورة فى السلوك .

(٢) انظر السلوك (جـ١ ص ٦٠٦) وعن معجم ياقوت (جـ ٢ ص١٢٦) أن برزية هو نطق العامة أما الأصل فهو برزوية . وهو حصن على سن جبل شاهق قرب الساحل يضرب به المثل فى الحصانة . وقد استرده صلاح الدين من الصليبيين عام ٥٨٤ هـ .

أن صاحبها الأمير سيف الدين محمـد[١] بن الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس[٢] بن بدر الدين خمردكين توفى فى هذه السنة كما تقدم ، وكان السلطان يومئذ بدمشق فاستدعى ولده الأمير سابق الدين سليمان[٣] فحضر[٤] ، وأقطعه إمرة بأربعين فارسا ، فكتب إلى عمه جلال الدين بتسليم القلعـة إلى نواب السلطان بذخائرها ، فتسلموا ذلك فى ثانى عشر شهر ربيع الأول منها . وأقطع السلطان عميه جلال الدين مسعود ومجاهد الدين إبراهيم ، كل منهما إمرة عشرة طواشية ، ووصل أهل صاحب صهيون إلى دمشق .

ذكر أخبار الإسماعيلية وابتداء أمرهم والاستيلاء على حصونهم

أول من قام بدعوتهم الحسن بن الصباح المعروف بالكيال ، وهو من تلامذة ابن عطاش الطبيب . قدم مصر فى زمن المستنصر العبيـدى فى زى تاجر فى سنة ثمـانين وأربعمائة ، ودخل عليه وخاطبه فى إقامة الدعوة ببلاد العجم فأذن له . وكان الحسن كاتبا للرئيس عبـد الرزاق بن بهـرام بالرى . وادعى أنه قال للمستنصر : « من إمامى بعـدك ؟ » فأشار إلى نزار : فمن هنا سموا بالنزارية . وقال ابن السمعانى فى تاريخـه : إنمـا سموا بالإسماعيلية لأن جماعة من الباطنية ينسبون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق لانتساب زعيمهـم المصرى إلى

(١) كذا فى الأصل ، وهو فى السلوك (نفس الموضع) : « أحمد » .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو فى السلوك (نفس الموضع) « منكبرس » .

(٣) فى الأصل : « بليان » والأرجح سليان لأن أسماء المعروفين من أخوته وأعمامه المذكورين هنا كلها أسماء عربية .

(٤) كذا فى الاصل ، دون نقط .

محمد بن إسماعيل المذكور . وكان أول إظهار دعوتهم بالألموت وطلوع أعلامه فى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة . وجرى لنزار ما قدمناه بعد وفاة أبيه ومسك من الإسكندرية وجىء به إلى القصر فكان آخر العهد به . وانفصل أهل الألموت من العبيديين من ذلك الوقت . وشرع الإسماعيلية فى افتتاح الحصون ، فأخذوا قلعة وبنوا أخرى وأظهروا شغل السكين . وأول عملهم بالسكين ، أن ابن الصباح كان ذا دين فى الظاهر ، وله جماعة من نسبته يتبعونه ، فلما حضر من مصر إلى الألموت وهى حصينة وكان أصحابها ضعفاء ، فقالوا[1] لأصحابها : « نحن قوم زهاد نعبد الله ونشترى منكم نصف هذه القلعة ونقيم معكم نعبد الله » . فاشترى نصفها بتسعة آلاف دينار . ثم قوى واستولى عليها وصاروا جماعة ، فبلغ خبرهم ملك تلك البلاد فقصدهم بعساكره . فقال رجل منهم يعرف بعلى اليعقوبى : « أى شىء يكون لى عندكم إن كفيتكم أمر هذا الجيش » ؟ قالوا : « نذكرك فى تسابيحنا » . فقال : « رضيت » . فنزل بهم وقسمهم أرباعا فى أرباع العسكر وجعل معهم طبولا . وقال : « إذا سمعتم الصايح فاضربوا الطبول وقولوا[2] يا آل على » ثم هجم بهم على الملك فقتله فصاح أصحابه ، فضرب أولئك الطبول ، فامتلأت قلوبهم خوفا وهربوا لا يلوى منهم أحد على أحد ، وأصبحت خيامهم خالية ، فنقلوا[3] ما فيها إلى القلعة . وسنوا السكين من ذلك الوقت .

---

(١) فى الجملة السابقة تحدث المؤلف عن ابن الصباح وحده بصيغة الغائب ثم عطف هذه الجملة على السابقة متحدثا عن ابن الصباح وعن جماعته بصيغة جمع الغائب .

(٢) فى الأصل : « وقول » . والسياق يحتاج إلى جمع المخاطب فى صيغة الأمر .

(٣) فى الأصل « فنقلوا » .

ثم بعثوا داعيا من دعاتهم يعرف بأبي محمد إلى الشام فملك قلاعا من بلاد الناصرية .

ثم ملك بعده سنان : وهو سنان بن سليمان بن محمد البصرى ، وأصله من قرية من قرى البصرة تعرف بعقر السدن[1] . وأقام فى الشام نيفا وثلاثين سنة ، وكان يلبس الخشن ، ولا يراه أحد يأكل ولا يشرب ولا يبول ولا يبصق ، بل يجلس على صخرة ، فاعتقدوا فيه التأله .

ثم ولى مكانه أبو منصور بن محمد وكان ابن الصباح ، الذى قدمنا ذكره . [و][2] لما قتل نزار طالبوه به ، فقال : « إنه بين أعداء كثيرة والبلاد بعيدة ولا يمكنه الحضور ، وقد عزم على أن يختفى فى بطن امرأة ويجىء سالما ويستأنف الولاده » . فقنعوا بذلك ، وأحضر لهم جارية قد أحبلها وقال : « إنه قد اختفى فى هذه » ، فعظموها فولدت ابنا سماه حسنا . وقال : « تغير الاسم لتغيير الصورة » . ومات حسن فى سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وخلف ولده محمدا . ولمحمد ولد اسمه حسن خلف أباه بعد موته . ولما سمع ملك خوارزم شاه قصد بلادهم . فأظهر محمد بن حسن هذا أنه رأى على بن أبى طالب فى المنام يقول له : « تعيد شعار الإسلام وفرائضه وسننه » فعرف جماعته بذلك . ثم قال لهم : « الدين لنا ، نتصرف تارة بوضع التكاليف عنكم ، وتارة نأخذها منكم » . فقالوا :

(١) عقر السدن من قرى البصرة (راجع معجم ياقوت جـ ٦ ص ١٩٦) .

(٢) الإضافة يقتضيها السياق .

« السمع والطاعة » فكتب إلى بغداد وسائر البلاد بذلك ، واستدعى القراء والفقهاء واستخدم أهل قزوين[1] فى ركابه . وسير الخليفة رسولا محببة رسوله إلى حلب بتقوية يد نوابه[2] وأن يقتل النائب القديم و يولى هذا الواصل ، فخلصوا بذلك من صولة خوارزم شاه .

هذا ابتداء أمر هذه الطائفة . وقد ذكرنا طرفا من أخبارهم فيما تقدم ، فلنذكر سبب الاستيلاء على بلادهم ، وكيف انتزعها السلطان الملك الظاهر منهم .

ذكر استيلاء السلطان على بلاد الإسماعيلية وشىء من أخبارها[3]

وهى مصياف[4] والعليقة والرصافة والكهف والمنيقة[5] والقُدموس والخوابى .

وكان السلطان الملك الظاهر ، رحمه الله ، قد كسر شوكة هذه الطائفة الإسماعيلية ، وأبطل رسومهم التى كانت مقررة لهم على ملوك الديار المصرية ،

---

(١) بفتح ثم سكون ، مدينة مشهورة غربى الرى (طهران الحالية) ، و بينها و بين بلاد الديلم فى الشمال جبل . وتوجد أحاديث كثيرة فى الحث على المقام بقزوين لكونها من الثغور (معجم ياقوت ج ٧ ص ٨١) .

(٢) كذا فى الأصل بدون نقط .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٦ — ٥٨٧) .

(٤) أو مصياب بحسب قول ياقوت (ج ٨ ص ٨٩) وهو حصن مشهور للإسماعيلية قرب طرابلس .

(٥) كذا فى الأصل ، بتقديم النون على الياء . وفى السلوك بالعكس تتقدم الياء على النون ، راجع السلوك (ج ١ ص ٥٧٥) .

وقرر عليهم قطيعة[1] يحملونها إلى بيت المـال . ثم لم يرضه ذلك إلى أن استولى على حصونهم وانتزعها من أيديهـم .

وأول ما استولى عليه من حصونهم مصياف : استولى عليها فى العشر الأوسط من شهر رجب سنـة ثمـان وستين وستمائة . وذلك أن السلطان كان قـد حضر فى جمادى الآخرة من هـذه السنة إلى حصن الأكراد[2] وأغار على البلاد الساحلية ، ونزل بالقرب من البـلاد الإسماعيلية ، وحضر إلى خدمته صاحب حماة وصاحب صهيون ، ولم يحضر نجم الدين [حسن][3] ابن صاحب الإسماعيلية ولا ولده شمس الدين . وسـيروا يطلبون أن ينقصوا من القطيعة التى كانوا يقـدمون بهـا للفرنج وأبطلها السلطان وتقررت لبيت المـال . وكان السلطان قبل ذلك قد غضب على صارم الدين ابن [مبارك] الرضى صاحب العليقة[4] لأجلهـم ، فتوصل صاحب صهيون فى إصلاح أمره ، فحضر إلى السلطان فرضى عنـه وقلده بلاد الدعوة[5] استقلالا ، وأعطاه طلبخاناه ، وعزل نجـم الدين وولده من نيابة الدعـوة . ونعت صارم الدين بالصحوبية على عادة نواب الدعـوة ، وتوجه فى سابع عشر جمادى الآخرة

(١) القطيعة ضريبة . راجع السلوك (جـ ١ ص ٢٨٨ حاشية ١) .

(٢) من معجم ياقوت (جـ ٣ ص ٢٨٤) أن حصن الأكراد حصن منيع على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب ، واسمه جبل الجليل . وكان بعض أمراء الشام جعل فى موضعه قوما من الأكراد طليعة بينه وبين الصليبيين ، وأجرى لهم أرزاقا إلى أن صار الموضع قلعة حصينة سميت باسم ساكنيها ؛ وراجع أيضا السلوك (جـ ١ ص ٥٨٦ حاشية ٢) عن نزول الإسبتارية به عقب الاستيلاء على القدس .

(٣) الإضافة ضرورية للتعريف ، وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٥٨٦) .

(٤) العليقة من حصون الإسماعيلية ، والضبط هنا وفى كل قلاع الإسماعيلية منقول عن السلوك وما ورد فيه من مصادر (نفس الموضع ص ١٤) .

(٥) بلاد الدعوة هى بلاد الإسماعيلية .

وصحبته عز الدين العديمي أحد مفاردة الشام لتقرير أمره، وجرد صحبته جماعة من شيزر[1] وغيرها، فوصلوا إلى مصياف وتحدثوا مع أهلها، فامتنعوا، فسير السلطان إليهم، فسلموها في العشر الأوسط من شهر رجب.

ومصياف هذه كرسي مملكة الدعوة، وبها أكابرهم، ومنها رسلهم إلى الملوك، فلما علم نجم الدين وولده سرعة هذا الاستيلاء سألوا الحضور. وحضر الصاحب نجم الدين [حسن] وعمره تسعون سنة، فرحمه السلطان وعفا عنه وولاه النيابة شريكا لابن الرضي لأنه صهره، وكان أبوه هو المشار إليه. وقرر حمل مائة وعشرين ألف درهم في كل سنة. وتوجه نجم الدين وبقي ولده ملازما باب السلطان، وتقرر على صارم الدين بن الرضي حمل ألفي دينار في كل سنة.

وكانت مصياف قديما بيد الأمير وثاب بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس[2] من أمراء بني كلاب في سنة خمس وتسعين وأربعمائة، فملكها ولده ناصر الدين سابق، فباعها لعز الدين أبي العساكر سلطان بن منقذ في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وجعل فيها الحاجب سنقر، فقتله الباطنية وملكوا الحصن في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وبقي في أيديهم إلى الآن.

ذكر فتوح العليقة والرصافة

هذا الحصن من أمنع الحصون، وكان مختصا بالرضي، ثم بولده صارم الدين، فجرت من المذكور أمور أوجبت اعتقاله بمصر، ورسم للعسكر المقيم

---

(١) شيزر بتقديم الزاي وفتحها: قرب المعرة، معجم ياقوت (جـ ٥ ص ٣٢٤).

(٢) في الأصل: «برداس»، وهو اسم غير معروف في الأسماء العربية.

ببـلاطنس[1] بمنازلتها ، وسـير إلى عبد الظاهر النائب بهـا وإلى جماعة من أهلها بالترغيب والترهيب ، فتسلمها نواب السلطان فى يوم السبت حادى عشر شـوال سنة تسع وسـتين وستمائة ، واستخدم بهـا الرجالة ، ثم هجـم نواب السلطان على الرصافة ، وملكت فى آخر الشهر المذكور .

ذكر فتوح بقية حصون الدعوة

كان قد تقرر على الصاحب نجـم الدين عند وصوله إلى السلطان مائة ألف وعشرين ألف درهم فى كل سنة ، واستقر أن يكون هو وولده[2] فى خدمة السلطان ، واستقر شمس الدين فى صحبة ركاب السلطان ، فنسب إليه أنه كاتب الفرنج . فحضر والده نجم الدين فى سـنة تسع وستين وستمائة عنـد فتوح حصن الأكراد فاعتذر عنه ، وتحدث هو وولده المذكور مع الأتابك فى تسليم القـلاع ، وأنهما يحضران إلى باب السلطان ، فأجابهم إلى ذلك . وتوجه شمس الدين إلى الكهف لتدبير أمور أهـله فى عشرين يوما ويعود ، وسافر أبوه فى الخدمة إلى القرين[3] ثم إلى الديار المصرية ، فـا حضر ولده وصار يعتذر[4] عن الحضور . فكتب إليـه السلطان : « أن الذى كنتم سألتموه من تسليم القلاع كأنكم رجعتم عنه ، والوعد الذى وعدناكم نحن ما نخلفه ، من أننا نعطيك إمرة بأربعـين فارسا ، وقد تسلم والدك الإقطاع » . فورد جوابه يعتـذر عن الحضـور ويطلب حصن العليقة ،

(١) هكذا ضبط فى السلوك (جـ ١ ص ٥٧٩) نقلا عن معجم البلدان ، وهو حصن بين اللاذقية وحلب .

(٢) فى النسخة « س » : أن ولده هو شمس الدين .

(٣) القرين قرب صـفد ، وكان مركزا لفـرسان البتوتون ، راجع السلوك (جـ ١ ص ٩٢٩ حاشية ٣) .

(٤) نسى الأصل إثبات الراء .

وأنه يسلم بقية الحصون . فأجيب إلى ذلك . وسير السلطان الأمير علم الدين سنجر الدوادارى وقاضى حمص فَخَلَفًا شمس الدين بحصن الكهف ، ثم طالبوه من التسليم[1] فامتنع أهل الكهف عن ذلك باتفاق منه ، فعادت الرسل بذلك . ثم أعيد إليه الأمير علم الدين الدوادارى وعلم الدين شقير مقدم البريدية ، فمنعا من الدخول إلى الكهف ، ولم تؤخذ منهم الكتب . فأمر السلطان بمضايقتهم ، فندم شمس الدين ونزل من الكهف، وجاء إلى السلطان بظاهر حماة فى سادس وعشرين صفر سنة تسع وستين ، فأكرمه السلطان ، فسير ورقة إلى السلطان يقول : « إن أهل الكهف كانوا جهزوا فداوية إلى الأمراء . » فغضب السلطان وأمر بإمساكه فى الوقت وإمساك أصحابه ، وسيروا إلى مصر . واستمرت مضايقة حصونهم ، وأُمسِك والى الدعوة والناظر بسرمين[2] ، وكان لهم أقارب بالخوابى ، فأشار عليهم الأمير سيف الدين بلبان الدوادار بمكاتبة أقاربهم بالتسليم . فحضر منهم جماعة ، وأعطاهم السلطان الخلع والنفقات وأجراهم على رسومهم ، فسلموا حصن الخوابى فى سنة تسع وستين وستمائة . واستمر امتناع أهل الكهف والمنيقة والقدموس من التسليم ، فرسم السلطان للملك المنصور بمضايقة الكهف . واستمر ذلك إلى أواخر سنة إحدى وسبعين وستمائة .

فأما المنيقة : فتسلمها نواب السلطان فى ثالث ذى القعدة من السنة .

والقدموس : حضر جماعة من أكابر أهلها و بذلوا الطاعة وتُسُلِّمت فى ذى القعدة .

---

(١) كذا فى الأصل ، والأصح طالبوه بالتسليم .

(٢) سرمين : بفتح السين وكسر الميم ، من أعمال حلب ، وأهلها فى ذلك الوقت من الإسماعيلية راجع معجم ياقوت (ج ٣ ص ٢٥) .

وأما الكهف : فتسلمه الأمير جمال الدين أقش الشهابى أحد أمراء الشام فى ثانى وعشرين ذى الحجة من السنة ، وسيرت مفاتيحه صحبة رسلهم ورسل صاحب حماة ، وتكمل بذلك قلاع الدعوة .

وأقيمت بهـا الجمع وترضي عن الصحابة رضي الله عنهـم ، وأظهرت شعائر الإسلام بها .

ذكر أخبار هذه الحصون

فأما حصن الكهف : فقد ذكر فى الكتب أنه الكف بغير هاء ، وسمعت أكثر أهل تلك البلاد لاينطقون فى اسمه بالهاء . وكان هذا الحصن فى يد نواب العبيديين ملوك مصر ، فانتزعه الأمير ليث الدولة بن عمرون وأخذه ، وبقى إلى ولاية سيف الدولة بن عمرون[1] ، فذبح على فراشه فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وتولى ولده الحسن وهـو خائف ممـا جرى على أبيـه ، فالتجأ إلى الإسماعيلية ، واستدعى قوما منهـم وأسكنهم معـه فى الحصن ليتقوى بهـم على بنى عمه الذين يقصدونه . فأخرجوه من الحصن وملكوه إلى هذا الوقت .

وأما القدموس : فإنه كان فى يد بنى محرز بعد ولاية العبيديين ، وكان آخر بنى محرز ، منير الدولة حمدان بن حسن بن محرز ، فتوفى وملكه بعده ولده علم الدولة يوسف ، فضعف عن حفظه ، فسلمه للإسماعيلية فى سـنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

وأما حصن المنيقة : وهو فى جبل الروادیف ، وبانيه رجل اسمه نصر بن مشرف الروادفى كان قد استولى على جميع المسلمين الساكنين بجبل الروادیف وما يليه ،

(١) كذا فى الأصل .

واستقحل أمره ، فأخذ وحمل إلى أنطاكية ، فاستتيب وأطلق ، فعاد إلى أذية المسلمين والروم ، فأخذ وطلب العفو ، وأعطى ولده رهينة . وتنصح للروم وقال : « إن فى آخر عمل الروم من آخر جبل الرواديف ضيعة تعرف بالمنيقة ، ومكانها يصلح أن يكون به حصن ليحفظ على جميع الأعمال » . فأجابوه إلى ذلك . فقال : « إن المسلمين لا يمكنونكم من بنائه ، وإنما أنا أدفع المسلمين عنه ، وأفهمهم أنى أبنيه لنفسى ، فإذا بنيته سلمته لكم » ، فافتر الروم بقوله وأعانوه ، فلما بناه استعصى به ، وشرع فى بناء حصن آخر امنع منه . ثم إن نقيطا قطبان[1] أنطاكية أتى إلى الحصن وحاصره فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، فلم يظفر به ، ثم عاد إليه وملكه وخرب أبرجته إلى الأرض ، ثم عمرت وصارت بعد ذلك للإسماعيليه .

وأما حصن الخوابى : وهو من جبل بهراء[2] ، فإن محمد بن على بن حامد سلمه للروم فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ثم صار للإسماعيلية .

هذا ما أمكن إيراده من أخبار هذه الفتوحات وابتداء أمر هذه الطائفة . فلنذكر خلاف ذلك من الغزوات الظاهرية والفتوحات ، وما يتخلل ذلك ويناسبه من الصلح والمهادنات إن شاء الله تعالى .

---

(١) نقيطا قطبان أنطاكية ، مر ذكره فى هذا المتن .

(٢) كذا فى الأصل ، بغير نقط .

ذكر غزوات السلطان وفتوحاته
وما وقع من المصالحات والمهادنات

ولنبدأ من ذلك بالأمور التى أوجبت انحراف السلطان عن الفرنج بالبلاد الساحلية[1] وأخذ بلادهم .

قد ذكرنا ما كان قد تقرر من الهدنة عند وصول السلطان إلى الشام فى سنة تسع وخمسين وستمائة ، وأن الفرنج لم يفوا بما تقرر من إطلاق الأسرى . فلما وصل السلطان إلى جهة الطور[2] على ما قدمناه فى سنة إحدى وستين عند القبض على الملك المغيث صاحب الكرك ، وكان الفرنج قد شرعوا يحيدون عن الحق و يطلبون زرعين ، والسلطان يجاوبهم « إنكم أخذتم العوض عنها فى الأيام الناصرية ضياعا من مرج عيون[3] ، وقايضتم[4] بها صاحب تبنين[5] » . ثم وردت رسلهم الآن يهنئون بالسلامة و يقولون : « ما عرفنا بوصول السلطان » . فأجابهم : « إن من يريد يتولى أمرا ينبغى أن يكون فيه يقظة ، ومن خفى عنه هذه العساكر وجهل ما عليه الوحوش فى الفلاة والحيتان فى المياه من كثرة هذه العساكر ، التى لعل بيوتكم ما فيها موضع إلا و يكنس منه التراب الذى أثارته خيل هذه العساكر ، ولعل وقع سنابكها

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٨٣) .

(٢) هو جبل مطل على طبرية الأردن عنده قلعة أيو بية راجع معجم ياقوت (جـ ٦ ص ٦٧)

(٣) مرج عيون مكان على الساحل فيه مجال كبير للرعى معجم ياقوت (جـ ٨ ص ١٥)

(٤) فى الأصل « وقايضتوا » بالعامية .

(٥) تبنين بكسر أوله « بلدة فى جبال بنى عامر مطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور » معجم ياقوت (جـ ٢ ص ٢٦٤)

قد أصمّ سماع من وراء البحر من الفرنج وفى موقان[1] من التتار . فإذا كانت هذه العساكر تصل إلى أبواب بيوتكم ولا تدرون بها فأى شيء تعلمون » . وانفصل الرسل على هذا الحال .

ووصلت نواب يافا ، ونواب أرسوف[2] بهدية أخذت منهم[3] ، وكانت كتبهم وردت قبل ذلك مضمونها : طلب فسخ الهدنة والندم عليها ، فصارت ترد الآن بقائهم عليها وتمسكهم بالمواثيق .

وجرت أمور ومراسلات يطول شرحها اقتضت تغير السلطان ، ثم كاتبهم السلطان يقول : « أنتم فى أيام الملك الصالح إسماعيل أخذتم صفد والشقيف على أنكم تنجدونه على السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخرجتم جميعا خدمته ونجدته ، وجرى ما جرى من خذلانه ، وقتلكم وأسركم وأسر ملوككم ومقدميكم . وقد انقضت تلك الدولة ولم يؤاخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد وأحسن إليكم ، فقابلتم ذلك بأنكم رحتم إلى الريد افرانس وأتيتم صحبته إلى مصر وساعدتموه حتى حوى عليكم ما جرى من القتل والأسر ، فأى مرة وفيتم فيها لمملكة مصر . وبالجملة فأنتم أخذتم هـذه البلاد من الصالح إسماعيل لإعانة مملكة الشام وطاعة ملكها ونصرته ، وقـد صارت مملكة الشام وغيرها لى وأنا لا أحتاج إلى نصرتكم ، فتردّون ما أخذتموه بهذا الطريق ، وتفكون جميع أسرى

(١) فى الأصل : « يرقان » ، وهو تصحيف موقان ، والتصحيح يعتمد على متن السلوك (ج ١ ص ٤٨٣ س ١٦) .

(٢) أرسوف ، بين قيسارية و يافا ، وكان بها خلق من المرابطين أيام الحروب الصليبية ، معجم ياقوت (ج ١ ص ١٩٢) .

(٣) علل متن السلوك (ج ١ ص ٤٨٤) قبول الهدية بأنه كان : « تطييبا » لقلوبهم وتسكينا لهم .

المسلمين، وغير ذلك لا أقبله. » فلما سمعوا هذه المقالة قالوا : « نحن لا ننقض الهدنة ونطلب مراحم السلطان فى استدامتها، ونفك الأسرى ». فقال السلطان : « كان هذا قبل خروجى فى هذا الشتاء ووصول هذه العساكر[1] ». وانفصلوا على هذه الصورة، وأمر أنهم لا يبيتون فى الوطاق[2]. ورسم بهدم كنيسة الناصرة وهى أكبر مواطن عبادات النصرانية. فتوجه الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى إليها وهدمها إلى الأرض، فلم يجسر أحد من سائر الفرنجية أن يخرج من باب عكا. ثم جرد السلطان الأمير بدر الدين الأيدمرى وصحبته جماعة فتوجهوا إلى جهة عكا وهجموا إلى أبوابها، ثم توجه الأمير المذكور مرة أخرى فأغار على المواشى واستباح منها شيئا كثيرا، وأحضر ذلك إلى المخيم المنصور.

ذكر مسير السلطان إلى عكا[3]

وفى ليلة السبت رابع جمادى الآخرة سنة إحدى وستين : ركب السلطان وجرد من كل عشرة فارسا صحبته، واستناب الأمير شجاع الدين الشبلى أمير مهمندار[4] فى الدهليز، وساق من منزلة الطور نصف الليل. فلما أصبح وقف قريب عكا فى الوادى الذى بقربها، ومنه يشرف عليها. وأمر الناس بلبس السلاح ورتب العساكر وساق وطاف بعكا من جهة البر، وسير جماعة إلى برج

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٨٤) حيث يرد الخبر مسهبا، وحيث ترد حجة جديدة، هى : « إنفاق الأموال التى لو جرت لكانت بحارا ».

(٢) الوطاق مفرد، وهو الخيمة راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٠٤ حاشية ٦).

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٨٨).

(٤) هو صاحب دار الضيافة ومهمته استقبال الرسل الواردين على السلطان راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٧٣ حاشية ٣).

كان قريبا منها فيه جماعة لحاصروه ، وللوقت عملت فيه النقوب إلى قرب وقت المغرب والفرنج ينظرون من أبواب المدينه وتل الفضول[1] . ثم رجع السلطان إلى الدهليز قريب البرج المذكور عند الماء . ولما أصبح ركب وساق إليها ، وكان الفرنج قد حفروا خنادق حول تل الفضول وجعلوها معاثر فى الطريق . ووقف الفرنج صفوفا على التل ، ورتب السلطان العساكر للقتال بنفسه ، وردمت تلك الخنادق بحوافر الخيل وأيدى الغلمان والفقراء المجاهدين . وطلع الناس إلى تل الفضول وانهزم الفرنج إلى المدينة . وحرق الناس ما حول عكا من الأبراج والأسوار وقطعوا الأشجار . وساق العسكر إلى أبواب عكا يقتلون و يأسرون ، فقتل جماعة كثيرة من الفرنج فى ساعة واحدة ، وأسرت جماعة بخيولهم ، وجرح أكابرهم ووقعوا فى الخندق بخيولهم ، وهرب من بقى من الفرنج إلى الأبواب . ثم ساق السلطان وقت العصر إلى البرج الذى كان النقابون علقوه ، ووقف حتى رمى وأخرج منه بالأمان أربعة خيالة أخوة ، ونيف وثلاثين راجلا [وبات السلطان على ذلك[2]] . وأصبح السلطان وكشف بلاد الفرنج مكانا مكانا ، ومر على على كنيسة الناصرة[3] ، ثم رجع وجلس على مسطبة كان قد أمر ببنائها قبالة الطور[4] ، وأوقد الشموع وأحضر الصاحب فخر الدين وزير الصحبة[5] ، وجماعة

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الإضافة يقتضيها الإيضاح وهى منقولة من السلوك (جـ ١ ص ٤٨٩ ص ٦) .

(٣) فى الأصل « الناصرية » .

(٤) كذا فى الأصل ، والطور فى كلام العرب الجبل ولا يقال للجبل الأجرد طورا ، معجم ياقوت (جـ ٧ ص ٦٦) .

(٥) هو وزير ملازم للسلطان ، راجع السلوك (جـ ١ ص ٦٢٧ حاشية ٢) .

كتاب الدرج[١] ، وكتاب الجيش، والسديد المعز[٢] مستوفى الصحبة[٣] . وجعل الأمير سيف الدين بلبان الزيني أمير علم[٤] جالسا عند ديوان الجيش لكتابة الأمثلة[٥] وتجهيز الطلبخاناه ، والأتابك[٦] بين يدى السلطان . واستدعى من جشاراته[٧] خمسمائة فرس برسم الطلبخاناه وخيول الأمراء ، وأحضرت الخلع الكثيرة ، ولم تزل المثالات والمناشير تكتب والسلطان يعلم ، وكتب بين يديه فى تلك الليلة ستة وخمسون منشورا كبارا بخطب وهو يعلم ، والنائب يكتب ، و [كتاب[٨]] ديوان الجيش يثبتون ، ومستوفى الصحبة ينزل حتى كملت بين يديه . وأصبح السلطان خلا بنفسه وجهز الطلبخاناه والصناجق والخيل والخلع للأمراء، وجعل الأمير ناصر الدين القمرى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية ، ورحل من الطور وتوجه إلى الكرك وفتحها على ما قدمنا ذكره .

ذكر قصد متملك الأرمن حلب المحروسة

وفى سنة اثنتين وستين وستمائة : وصل هيتوم بن قسطنطين متملك الأرمن

---

(١) من كتاب الدرج وكتاب الدست وغيرهم من موظفى ديوان الإنشاء راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٨٩ حاشية ٣) .

(٢) الأصل : « المامز » والمطلوب بحسب السياق لقب من ألقاب مستوفى الصحبة .

(٣) راجع عن المستوفى حاشية السلوك (جـ ١ ص ١٩٢ حاشية ٢) .

(٤) راجع عن أمير علم السلوك (جـ ١ ص ٤٩٠ حاشية ١) .

(٥) كذا فى الأصل ، وبعبر السلوك فى الموضع الموازى : بالمناشير (جـ ١ ص ٤٩٠ س ٥)

(٦) لفظ الأتابك مفعول جعل .

(٧) الجشارات هى المرعى انظر السلوك (نفس الموضع س ٥) .

(٨) الإضافة للإيضاح .

من جهـة هولاكو ، وتوجه قبـل دخوله إلى بلاده إلى السلطان ركن الدين صاحب الروم، فعزم [صاحب الروم](١) على الإيقاع به على غرة ، ثم ينسب ذلك إلى التركمان ، فشعر هيتوم(٢) بذلك ، وكان قد استصحب معه قاضى بلاد هولاكو ليصلح بينه وبين صاحب الروم، وأعطاه عطاء كثيرا واستماله ، فقال له هيتوم: «لا أقدر على دخول بلاد الروم حتى تحضر جماعة من التتار يخفرونني(٣) » . فكتب القاضى إلى التتار الذين بالروم ، فحضر منهم أربعمائة فارس ، فتوجه بهم إلى السلطان ركن الدين، فخرج إليه وتلقاه مترجلا لأجل القاضى، والأرمنى لم يترجل، وقدم كل منهما للآخر تقدمة ، لكن كانت تقدمة صاحب الروم لهيتوم أكثر ، ثم جاءوا جميعهم إلى هرقلة(٤) وتحالفا واتفقا ، واهتم هيتوم بجمع العساكر لقصد البلاد الإسلامية . وكان فى عسكره من بنى كلاب ألف فارس فقصد عين تاب . وكان السلطان قد اطلع على هذا الأمر لاهتمامه بالاستطلاع على الأخبار ، فسير إلى عسكر حماة وعسكر حمص بالتوجه إلى حلب ، فتوجهوا ، وتوجه جماعة من العسكر المصرى ، فأغاروا على الأرمن وأسر أمير من أمراء هيتوم ، وأخذ له مائة جمل من البختى فولوا منهزمين ، وقتل منهم جماعة ، وجرح صاحب حموص(٥) قرابة هيتوم الملك جراحة شـديدة ، فكتب الأرمنى إلى التتار الذين بالروم ، وهم

(١) ذكر الفاعل هنا ضرورى للإيضاح .

(٢) هو صاحب أرمينية الصغرى فى بلاد قيلقية ، راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٠٥ حاشية ١) .

(٣) فى الأصل : « يخفرونى » .

(٤) هرقلة مدينة رومية فى آسيا الصغرى غزاها الرشيد وفتحها . و يوجد حصن بنفس الاسم على الفرات بين الرافقة وبالس ، معجم ياقوت (جـ ٨ ص ٤٠٤) .

(٥) ويرسم الاسم فى السلوك حيص (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٤٠ حاشية ١) .

سبعمائة ، فحضروا إليه لقصد الشام ؛ فلما وصلوا إلى مرج[1] حارم وقعت ثلوج شديدة ، وكان الأرمنى قد كتب إلى أنطاكية يطلب نجدة ، فأنجد منها بمائة وخمسين فارسا ، ولبسوا كلهم السراقوجات[2] تشبها بالتتار ، واجتمعوا كلهم بالقرب من مرج حارم فكادوا يهلكون من كثرة الثلوج والأمطار ، وخرج العسكر المنصور لقصدهم ، وانقطعت عنهم المسيرة فتأخروا راجعين ، فعدم من أصحاب الأرمنى مائة وعشرون فارسا، وثلاثون تتريا، وستة من خيالة أنطاكية وجماعة من رجالتهم .

ثم اهتم هيتوم بعد ذلك وجمع العساكر وفصّل ألف قباء تترى وألف سراقوج ألبسها أصحابه ، ليوهم أنهم نجدة من التتار . فجرد السلطان عسكرا من دمشق إلى حمص وجماعة من حماة ، وتوجه الأمير حسام الدين العين تابى فأغار على مرزبان[3] وقتل وأسر وعاد سالما . وتوالت الغارات من جميع الجهات، فتفرق جمع هيتوم ، وعدل العسكر الإسلامى إلى أنطاكية فغنم وقتل وأسر .

وفى جمادى الآخرة منها : أغارت العساكر التى بالساحل صحبة الأمير ناصر الدين القيمرى ووصلت إلى أبواب عكا .

وفى شهر رمضان من السنة : وصل كتاب الأمير ناصر الدين المذكور، يذكر أنه بلغه أن الفرنج توجهوا إلى جهة يافا ، فأمره السلطان بالغارة على قيسارية[4]

(١) حصن كبير مشهور بين حلب وأنطاكية ، معجم ياقوت (ج ٤ ص ١٩٩) .

(٢) يشير السلوك فى فهرست مصطلحات الجزء الأول إلى السراقوج وهو من الثياب بحسب السياق هنا وهناك .

(٣) مرزبان بأرمنية الصغرى .

(٤) قيسارية المقصوده هنا قلعة طبرية . أما عثليث فإنها تسمى أحيانا بالحصن الأحمر وهى حصن ساحلى كان مركزا رئيسيا للداوية (راجع السلوك ج ١ ص ٥١٣ حاشية ١ ، ٢) .

وعثليث ، فساق إلى باب عثليث فنهب وقتـل وأسر ، ثم ساق إلى قيسارية واعتمد فيها مثـل ذلك . فرجع الدين بيافا .

ذكر محاصرة التتار البيرة

وتجريد العساكر وانهزام العدو[1]

كان السلطان قـد توجه إلى جهة العباسة[2] ، فى أوائل سـنة ثلاث وستين وستمائة ، للصيد ورمى البندق كما قدمناه ، فأتته الأخبار أن التتار قد جمعوا ونازلوا البيرة ، وللوقت أمر الأمير بدر الدين الخزندار بالركوب على الخيل السوابق إلى القلعة ، وأنه ساعة وصوله يجرد أربعة آلاف فارس من العسكر الخفيف . ورجع السلطان إلى القلعة فبات ليـلة واحدة ، وجهز الأمـير عز الدين إيغان ، ورسم له بتقدمة العساكر وصحبته الأمـير فخر الدين الحمصى ، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى ، والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى وجماعة من الأمراء والحلقة[3] . وتوجهت هذه العساكر فى رابع عشر ربيع الأول ، وأمر الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى بالسفر فى أربعة آلاف فارس أخر ، فخرجوا بعـد العسكر الأول بأربعة أيام ، وشرع السلطان فى التجهيز ، وخرج فى خامس شهر ربيـع الآخر ،

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٣ وما بعدها) ويفرق الجغرافيون بين البيرة الأندلس ويعتبرون ألفها أصلا تحتها كسره . أما البيرة الشام فان أولهـا ال التعريف وهى بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الشامية (راجع معجم ياقوت جـ ١ ص ٣٢٢ ، جـ ٢ ص ٣٢٠) .

(٢) بلده على طـريق الشام ومصر سميت بعباسه عمة قطز الذى بنت تجاروية ، ثم صارت العباسة متنزها ومتصيدا أيام الأيوبيين (راجع معجم ياقوت جـ ٦ ص ١٠٧) .

(٣) الحلقة طائفة من الطوائف المتازة من الأجناد (راجع السلوك جـ ١ ص ٥١٩) .

ورحل فى سابع الشهر ، ووصل إلى غزة فى العشرين منه ، فوصلت كتب النواب : إن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا . فكتب إلى الأمير عز الدين إيغان يستحثه على سرعة الحركة ، ويقول : «متى لم تدركوا هذه القلعة؟ وإلا سقت إليها بنفسى جريدة» . فساق العسكر وحث السير ، فلما كان فى السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، ورد البريد من جهة الأمير جمال الدين النجيبي نائب السلطنة بالشام وعطف كتابه بطاقة[1] من الملك المنصور صاحب حماة مضمونها : أنه وصل إلى البيرة بالعساكر المنصورة صحبة الأمير عز الدين إيغان ، وأن التتار عندما شاهدوهم هربوا ، ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم ، وانهزموا لا يلوى أحد منهم على أحد . ثم وصلت أربعة من مماليك الأمراء بالبشارة . وورد كتاب الأمير جمال الدين أقوش[2] المغيثى النائب بالبيرة يذكر صورة الحال ، وأنه لما كثر العدو على القلعة وطم الخندق ، حفر أهل البيرة حفيرا قدر قامة ، وعملوا منه سردابا نافذا إلى الأحطاب التى كان العدو رماها فى الخندق فأضرموا فيها النار ، فاحترقت جميعها ، ثم سد المسلمون السرب المحفور . وذكر مصابرة أهل الثغر ، وأن نساءهم فعلن من حسن البلاء فى مصابرة الأعداء مالم يفعله الرجال . ومن جملة ما وصف أن برجا واحدا كان عليه خمسة عشر منجنيقا[3] وثبت شهرين . فكتب السلطان بإطابة قلوب من بالثغر ، وعينت أمثلة

---

(١) البطاقة نوع خاص من الأوامر الديوانية (راجع السلوك جـ ١ ص ٢٨٢ حاشية ٢) ويقابلها فى الإدارة البيزنطية بيناكيون .

(٢) من عادة الناسخ أن يحذف واو أقوش غير هذه المرة الوحيدة .

(٣) المثال هو أول سلسلة الأوامر الديوانية الخاصة بمنح الإقطاع وآخر هذه السلسلة المنشور ، وقد يستعمل الفقهاء مرادفين من باب التجوز (راجع السلوك جـ ١ ص ٤٩٠ حاشية ٣) .

بالإقطاعات لمن جاهد من البحرية وغيرهم بالبيرة . واستشهد صارم الدين بكتاش الزاهدى[1] أحد الأمراء المجردين بهـا بحجر منجنيق ، وترك موجودا كثيرا وبنتا واحدة ؛ فرسم السلطان بجميع ميراثه لابنته . واهتم السلطان بأمر القلعة ، وكتب إلى جميع القـلاع والولايات[2] بمـا يحملونه إلى هـذا الثغر من الأموال والغـلال والأسلحة والعدد وغير ذلك ، ممـا يحتاج أهـل هذه القلعة إليه لمدة عشر سنين . وكتب إلى الأمراء والملك المنصور صاحب حماة أنهـم لا يتحركون[3] من مكانهـم حتى ينظفوا الخندق وينقلوا الحجارة التى فيـه ، ففعلوا ذلك وأقاموا مدة بسببه . ووردت كتب الأمراء يخبرون أنه لمـا كانت نوبة الأمير عز الدين إيغان والأمير فخـر الدين الحمصى والأمير بدر الدين الأيدمرى وجماعة من البحرية ، وكانت خيلهم ترعى فى الجانب الشامى وهم يعملون ، فأحاط بهـم فرقة من التتار المغل ملبسين[4] ، فأجمعوا ورموهم بالنشاب وأنكرهم بالجراحات فولوا منهزمين ، وساق العسكر خلفهم فوجد منهم جماعة قـد هلكوا فى الطريق من الجراحات ، وقتـل جماعة فى ذلك اليوم . فاستدعى السلطان من الديار المصرية مائتى ألف درهـم ومائتى تشريف ، وكتب إلى دمشق بتجهيز مائة تشريف ودراهم ، وجهز ذلك إلى البيرة ، وكتب إلى الأمير عز الدين إيغان بأن يحضر أهل القلعة جميعهم من

(١) راجع لسلوك (جـ ١ ص ٥٢٥) عن استشهاده .

(٢) فى الأصل : والولاية ؟

(٣) فى الأصل : لا يتحركوا .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعل المراد هـو أن هذه الفرقة تحمل ثيابا وعدة خاصة ، وهـذا أنسب للعادات الحربية ، وقد يكون المعنى أنهم أحاطوا بالمسلمين كأنهم يلابسونهم ويخالطونهم .

الأمراء والجند والعوام ويخلع عليهم وينفق فيهم المال حتى الحراس والضوية[1]. ثم عاد الأمراء بعد أن نظفوا الخندق ونقلوا إلى القلعة زلطا كثيرا . ولما وصلوا رسم السلطان أن يكون الأمير جمال الدين المحمدى مقدما على العساكر المصرية والشامية لكبر سنه ، والأمير عز الدين إيغان يتحدث فى المهمات و إطلاق الأموال وترتيب أمور البلاد .

هذا ما أنفق من أمر البيرة . فلنذكر ما افتتحه السلطان من البلاد الساحلية فى هذه السفرة .

ذكر الفتوحات بالبلاد الفرنجية فى هذه السفرة

قال : لما وصلت الأخبار إلى السلطان وهو بالساحل بانهزام التتار ، واستقر خاطره من تلك الجهة ، ثنى أعنته الى جهة الفرنج و جرد العزائم نحوهم . وركب من العوجاء بعد رحيل الأطلاب للصيد فى غابة أرسوف . ورتب الحلقة ودخل الغابة وتصيد . ثم ساق إلى أرسوف[2] وقيسارية وشاهدهما وعاد إلى دهليزه[3] ، فوجد أخشاب المجانيق قد وصلت صحبة زرد خاناه . فأمر الأمير عز الدين أمير جاندار أن ينصب عدة مجانيق مغربية وفرنجية ، فعمل فى ذلك اليوم أربع منجنيقات كبارا وعدة من الصغار . وكتب إلى القلاع يطلب المجانيق والصناع والنجارين

(١) هم المكلفون بالإضافة (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٢٥ حاشية ٢) .

(٢) عن الصيد فى غابة أرسوف راجع السلوك (جـ ١ ص ٥٢٥ س ١٧) .

(٣) الدهليز هو الخيمة التى ترافق السلطان فى الحرب (راجع السلوك جـ ١ ص ٢٤٨ حاشية ١) .

ورسم للعسكر بعمل سلاليم وعين لكل أمير عدة منها ، ورحل إلى قريب عيون الأساور[1] وأمر العسكر بعد العشاء الآخرة بلبس السلاح وأخذ أهبة الحرب ، وركب قريب وقت الصبح وساق إلى قيسارية على حين غفلة من أهلها .

ذكر فتوح قيسارية[2]

نزل السلطان عليها في يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة ، وللوقت طاف بها وهاجمها الناس ، وألقوا نفوسهم في خنادقها ، وعمدوا إلى سكك الحديد[3] والشُّبُح[4] والمقاود فتعلقوا فيها وطلعوا من كل جانب ، ونصبت عليها الصناجق ، وحرقت أبوابها ، فهرب أهلها إلى قلعتها . فنصبت المجانيق على القلعة وهي من أحصن القلاع وأحسنها ، وتعرف بالخضراء . وكان الريدا فرانس حمل إليها العمد الصوان وأتقنها ، ولم ير في الساحل أحسن منها عمارة ولا أمنع ولا أرفع ، لأن البحر حافٌّ بها ، وجايزٌ في خنادقها ، والنقوب لا تعمل فيها للعمد الصوان المصلبة في بنائها ، حتى إذا علقت لا تقع . فاستمر الزحف عليها ورمى المنجينقات وعملت دبابات[5] وزحافات[6] . وكان السلطان يركب في بعض الدبابات ويتجر من

(١) زاد السلوك (ج ١ ص ٥٢٦ س ٥) أن عيون الأساور من وادى عارة وهرهرة ، وراجع من الأساور الحاشية رقم ١ بنفس الموضع من السلوك .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢٥ — ٥٢٧) .

(٣) العبارة المقابلة في الخبر الموازى من السلوك أوضح ، قال : « وأخذوا السكك الحديد التي برسم الخيول (السلوك ج ١ ص ٥٢٦) .

(٤) الشبح بضم الشين جمع شبحة وهي سلسلة يربط بها قدم الحصان (السلوك نفس الموضع) .

(٥) عن الدبابات وكباشها راجع السلوك (ج ١ ص ٥٦ حاشية ٨) وهي أبراج متحركة ذوات طوابق .

(٦) في الأصل : « زحابات » والتصحيح من السلوك (ج ١ ص ٥٢٦ حاشية ٥) .

تحته بالعجل حتى يصل إلى الأسوار ويرى النقوب . وأخذ فى بعض الأيام بيده ترسا وقاتل ، وما رجع إلا وفى ترسه عدة سهام . وفى ليلة الخميس منتصف الشهر حضر الفرنج وسلموا القلعة بما فيها ، وتساق المسلمون إليها من الأسوار وحرقوا الأبواب ودخلوا من أعلاها وأسفلها ، وأذن بالصبح عليها . وطلع السلطان إلى القلعة وقسم المدينة على أمرائه وخواصه ومماليكه وحلقته ، وشرع فى الهدم وأخذ بيده قطاعة وهدم بنفسه وبيده .

وقيسارية هذه من المدن القديمة فتحت فى صدر الإسلام فى سنة تسع عشرة للهجرة ، على يد معاوية بن أبى سفيان ، بعد قتال عظيم ، ولم يكن معاوية أمير الجيش ، إنما كان من قبل أخيه يزيد بن معاوية .

وفى جماد الأول : جرد السلطان الأمير شهاب الدين القيمرى بجماعة من عسكر الساحل لجهة بيسان[1] ، فسير جماعة من العربان والتركمان للإغارة على عكا ، فأغاروا ووصلوا إلى أبوابها وضمنوا وعادوا .

ذكر التوجه إلى عثليث[2]

وأخذ حصن الملوحة وحيفا

قال : ولما قارب السلطان الفراغ من هدم قيسارية سير الأمير شمس

---

(١) بيسان ، بفتح م سكون ، مدينة بالأردن بين حوران وفلسطين ، وتوصف بكثرة النخل مع أنها خلت منه ، وإليها ينسب القاضى الفاضل . راجع معجم يا قوت (جـ ٢ ص ٣٣٢) السلوك (جـ ١ ص ٨١ حاشية ٦) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٧) وراجع ما تقدم من هذا الجزء (ص ٢٦١ حاشية ٤) ق

سنقر الألفى الظاهرى ، والأمـير سيف الدين المستعربى . وجماعة نهدوا قلعة للفرنج عند الملوحة[1] وكانت عاصية فدكوها إلى الأرض .

وفى سادس وعشرين جمادى الأولى : توجه السلطان إلى عثليث جريدة ، وسير الأمـير شمس الدين سنقر السلاح[2] دار الظاهرى والأمير عز الدين الحموى ، والأمير شمس الدين سنقر الألفى الظاهرى إلى حيفا ، فساروا إليها ودخلوا قلعتها ، فنجا الفرنج بأنفسهم إلى المراكب بعد أن قتل منهم وأسر . وأحضرت الأسرى والرؤس ، وأخربوا المدينة وقلعتها وأحرقوا أبوابها ، وذلك جميعه فى يوم واحد .

وأما السلطان فإنه وصل إلى عثليث وأمر بتشعيثها وقطع أشجارها ، فقطعت جميعها وخربت أبنيتها فى ذلك النهار ، وعاد السلطان إلى قيسارية وكمل هدمها .

ذكر فتوح أرسوف[3]

وفى تاسع وعشرين جمادى الأولى من السنة : رحل السلطان من قيسارية وسار إلى أرسوف ، فنازلها فى مستهل جمادى الآخرة ، وأمر بنقل الأحطاب فصارت حولها كالجبال الشاهقة ، فعملت منها الستائر ، وأمر بحفر سربين[4] من خندق المدينة إلى خندق القلعة ، وأسقفت بالأخشاب وسلمها لأكابر الأمراء ، وعمل طريق من الخندقين إلى القلعة ، فخرج الفرنج لإحراق الأحطاب

(١) قرب حلب ، راجع معجم يا قوت (جـ ٨ ص ١٠٤) وراجع السلوك (جـ ١ ص ٥٢٧ حاشية ٢) .

(٢) وكذلك يرسم اسم صاحب هذه الوظيفة بدون ألف : « السلحدار » .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٢٨ — ٥٣٠) .

(٤) انظر عن الأسراب حاشية فى السلوك (جـ ١ ص ٥٢٨ حاشية ١)

فطلبهم الأمير سيف الدين قلاون الألفى وغيره ، وقلب على الأحطاب المياه فطفئت[1] النيران . ولما تكامل ردم الخندق بالأحطاب ، تحيل الفرنج ونقبوا من داخل القلعة إلى أن وصلوا إلى تحت الردم وعملوا بتاتى[2] ملآنة أدهانا وشحوما وأضرموا النيران وعملوا فى النقوب المفاتح[3] ، ولم يعلم العسكر بذلك إلا بعد تمكن النيران ، فاحترقت تلك الأحطاب جميعها وكان ذلك فى الليل . وجاء السلطان بنفسه وسكب المياه بالروايا ، فلم تقد شيئا . فعند ذلك تقدم السلطان إلى الأمير شمس الدين سنقر الرومى والأمير بدرالدين بيسرى ، والأمير بدر الدين الخزندار ، والأمير شمس الدين الدكز الكركى ، وجماعة من الأمراء ، وهم نصف الأمراء الصنجقية[4] ، وميمنة الأمراء البحرية ، وميمنة الأمراء الظاهرية ، وميمنة الحلقة ، بأن يأخذوا من مكانهم فى باب السرب من حافات الخندق من جهة سوره حفرا إلى البحر الملح[5] . وتقدم إلى الأمير سيف الدين قلاون الألفى ، والأمير علم الدين الحلبى ، والأمير سيف الدين كرمون وجماعة الأمراء ، وهم نصف الأمراء الصنجقية من جهة الميسرة وميسرة الحلقة والبحرية ، بأن يحفروا من الجهة الأخرى ، وأن يحفر[وا] من كل ناحية من هذه النواحى سربا يكون حائط خندق وساترا له .

---

(١) فى الأصل : « فطفت النيران » بالعامية .

(٢) بتوت جمع بت بفتح الباء ، وهو كساء مهلهل النسج ، راجع قاموس دمندى .

(٣) فى الأصل : « المتامح » والتصحيح يقتضيه السياق .

(٤) جرى الناسخ على رسم لفظ صنجق بالصاد ما عدا هذه المرة الوحيدة . وراجع عن الصنجق السلوك (جـ ١ ص ١٢٤ حاشية ١) .

(٥) المقصود كما ورد فى السلوك (جـ ١ ص ٥٢٨ ص ١٢) أن السلطان أمر بالحفر من باب السر بين إلى البحر .

وتحفر فى هـذا الحائط أبواب يرمى التراب فيها ويترك فى هـذه السروب حتى يساوى أرضها بأرض الخندق ، وعذق[1] هذا الأمر بعز الدين أيبك الفخرى أحد أصحاب الأتابك ، فاستمر العمل فى هـذه الخنادق والسلطان طائف فيها بنفسه ويعمل بيده ، وهو تارة فى السروب ، وتارة فى الأبواب التى تفتح ، وتارة على حافة البحر ، ويرامى مراكب الفرنج ويجر فى المنجنيق ويرمى من الستائر[2] .

وحكى عنه الأمير جمال الدين بن نهار ، رحمه الله ، قال : «رأيت السلطان فى هذا النهار رمى بثلاثمائة سهم نشابا» . واتفق أن السلطان حضر إلى السرب وقعد فى رأسه خلف طاقة يرمى فيها ، فخرج جماعة من الفرنج الفرسان ومعهم الرماح بالخطاطيف فلم يشعر إلا وهم على باب السرب ، فقام وقاتلهم يدا بيد ، وكان معه الأمير شمس الدين سنقر الرومى والأمير بدر الدين بيسرى والأمير بدر الدين الخزندار وغيرهم . وصار سنقر الرومى يناوله الحجارة ، فقتل بها فارسين ، وقطع الأمير حسام الدين الدوادار أحد الخطاطيف بسيفه وجرح فى عضده ، ورجع الفرنج على أسوأ حال .

وحضر فى هـذه الغزاة جمع كبير من العباد[3] والزهاد والفقهاء والفقراء وأصناف العباد ، ولم يعهد فيها خمر ولا شىء من الفواحش ، بل كانت[4] النساء

---

(١) كذا فى الأصل ، واللفظ لا يناسب الأسلوب العام ولعل الأصل كان « علق » بمعنى أسند .

(٢) ستارة والجمع ستائر وهى حيطان من خشب أو ردم للوقاية من قذائف العدو (راجع السلوك جـ ١ ص ٢٠١ حاشية ٣) .

(٣) ، (٤) سقط بعض المتن ، والتكملة من السلوك اعتمادا على تطابق ألفاظ الأخبار فى متن الكتابين (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٢٩) .

الصالحات يسقين الماء ويجررن فى المجانيق. وأطلق السلطان لجماعة من الصالحين الرواتب مثل : الشيخ على المجنون والشيخ إلياس ، وأطلق للشيخ على البكا جملة من المال.

قال : وأهتم بأمر المجانيق وأحضرها من دمشق ، وعمل كرمون أغا منجنيقا بسبعة سهام وأثر أثرا حسنا . وكان للأمير عز الدين أيبك الأقرم أمير جاندار فى هذه الغزاة أوفر نصيب ، وهو الذى تولى أمر المجانيق .

قال : ولما أثرت المجانيق فى هذه الأسوار ونجزت الأسربة التى إلى جانب الخندق من الجهتين وفتحت فيها أبواب متسعة حصل الزحف على أرسوف فى يوم الاثنين ثامن شهر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة ، وافتحت فى يوم الخميس . وذلك أن الباشورة[1] سقطت فى الساعة الرابعة من النهار ، وطلع المسلمون إليها تسلقا[2] ، وما أحس الفرنج بالمسلمين إلا وقد خالطوهم من كل باب . ورفعت الأعلام على الباشورة ، وحفت بها المقاتلة ، وطرحت النيران فى أبوابها . وأعطى السلطان صنجقه للأمير شمس الدين الرومى ، وأمره أن يؤمن الفرنج به من القتل عندما طلبوا الأمان . فلما رآه الفرنج بطلوا القتال ، وسلم الصنجق للأمير علم الدين سنجر المسرورى الحاجب المعروف بالخياط ، ودليت له الحبال من قلعة أرسوف فربطها فى وسطه والصنجق معه ، ونشله الفرنج إلى القلعة فأخذ

---

(١) فى شرح هذا اللفظ راجع السلوك (ج ١ ص ٥٠٠ حاشية ٤) والمقصود سد من التراب .

(٢) فى الأصل : « تسلقا » وهو مصدر غير مسموع .

سيوفهم ، وأحضروا فى الحبال [إلى السلطان[1]] .

ولما خلت القلعة من الفرنج أباحها السلطان للمسلمين بجميع ما فيها من أموال وغلال وذخائر . وكان بها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض [لشىء[2]] منها إلا لما اشتراه بالمال . وكان فى أسر الفرنج جماعة من المسلمين خلصوا فى تلك الساعة وأخذت قيودهم وقيد بها الفرنج . وجرد جماعة من المقدمين يتوجهون مع الأسرى . وسير لكل أمير جماعة ، ولكل مقدم جماعة . وشرع السلطان فى تقسيم أبراج أرسوف على الأمراء ، وجعل هدمها دستورهم[3] ، ورسم بأحضار الأسارى لإخرابها ، فكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾[4] .

ورحل السلطان عن أرسوف بعد استكمال هدمها فى يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة .

ذكر ما ملكه السلطان لأمرائه من النواحى التى فتحها الله على يده

قال : لما فتح الله تعالى على السلطان قيسارية أمر الأمير سيف الدين الدوادار الرومى بكشف بلادها وتحقيق متحصلاتها ، وعملت أوراق بذلك . ولما فتح الله أرسوف طلب [السلطان] قاضى القضاة بدمشق وجماعة من

---

(١) ، (٢) الإضافة يقتضيها الإيضاح ، وهى منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٥٣٠) اعتمادا على تطابق الأخبار والألفاظ .

(٣) الدستور بمعنى الإذن بالإنصراف .

(٤) سورة الحشر آية ٢ .

العدول ووكيل بيت المال ، وتقدم بأن يملك الأمراء [المجاهدون](١) من البلاد التى فتحها الله على يديه ما يأتى ذكره . وكتبت التواقيع لكل منهم ولم يطلعوا عليها ، ولما كملت التواقيع قرئت(٢) على أربابها ، وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك :

ونسخته بعد البسملة :

أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود ، وتمكينه الذى(٣) رفلت الملة الإسلامية منه فى أصفى البرود ، وفتحه الذى إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت أنه الأمر ما يسود من يسود .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد الكفار ، وجاهرهم بأعمال السيف البتار ، وأعلمهم لمن عقبى الدار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشى والأبكار .

فإن خير النعم نعمة وردت بعد اليأس ، وجاءت بعد توحشها وهى حسنة الإيناس ، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس ، (وصرعت أبواب الجهاد وقد غلقت فى الوجوه ، وأنطقت السنة المنابر وشفاة المحابر بالبشائر التى ما اعتقد أحد أنه بها يفوه)(٤) ، فأكرم بها نعمة على الإسلام وصلت للملة المحمدية

(١) الإضافة يقتضيها الإيضاح . وهى منقولة من السلوك (جـ ١ ص ٥٣٠) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى السلوك : « فرقت » وهو أفضل . راجع السلوك (نفس الموضع) . أما عن التواقيع والعلامة فارجع إلى السلوك (جـ ١ ص ٣٤٤ حاشية ١ ، ص ٣٦٢ حاشية ١) .

(٣) فى الأصل : « التى » وهو خطأ .

(٤) أهمل السلوك ما بين القوسين من النص .

أســبابا ، وفتحت للفتوحات أبوابا، وهزمت من التتار والفرنج العــدوين ، ورابطت بين الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين ، وجعلت عساكر الإسلام تــذل الفرنج بغزوهم فى عقر الدار ، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار ، وتمــلأ خنادقهم بشاهق الأسوار ، وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب فى قبضة القيد إلى حلقات الأسار . ففرقةٌ منها تقتلع للفرنج قلاعا وتهدم حصونا ، وفرقةٌ تبنى ما هدم التتار بالمشرق وتعليه تحصينا . وفرقةٌ تتسلم بالحجاز(١) قلاعا شاهقه وتتسنّم هضابا سامقة ، فهى بحمد الله البانية الهادمة والمفيدة العادمة والقاسمــة الراحمة . كل ذلك بمن أقامه الله للأمــة الإسلامية راحما ، وجرد به سيفا قد شحذت التجارب حديه ففرى ، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيرا فسار إلى مواطن الظفر وسرى ، وكونته السعادة ملكا إذا رأته فى دستها قالت تعظيما : « هذا ملك ما هذا بشرا » . وهو مولانا السلطان الأجل العالم العادل المؤيد المنصور ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، محيى العدل فى العالمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، سلطان بــلاد الله ، حافظ عباد الله ، وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك ، اسكندر الزمان ، صاحب القرآن ، ملك البحرين صاحب القبلتين ، خادم الحــرمين الشريفين ، الآمر ببيعــة الخليفتين صلاح الجمهور صاحب البلاد والأقاليم والثغور ، فاتح الأمصار ، مبيد التتار ، ناصر الشريعة المحمدية ، رافع علم الملة الإسلامية ، مقتلع القلاع من الكافرين ، القائم بفرض

(١) كذا فى الأصل ، ومثله فى السلوك أيضا (ج ١ ص ٥٣١ س ٢) .

الجهاد فى العالمين[1] أبو الفتح[2] بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، جعل الله سيوفه مفاتيح[3] البلاد وأعلامه أعلاما من الأسنة ، على رأسها نار لهداية العباد ، فإنه آخذ البلاد ومعطيها ، وواهبها بما فيها ، وإذا عامله الله بلطفه شكر ، وإذا قدر عفا وأصلح ، فكم وافقه قدر ، وإذا أهدت إليه النصرة فتوحا بسيفه قسمها فى حاضريها لديه متكرما ، وقال الهدية لمن حضر ، وإذا خوله الله تخويلا من بلاد الكفر وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للأصوار ، والدماء للسيف البتار ، والرقاب للإسار ، والنواحى المزروعة للأولياء والأنصار ، ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الأملاك فى الصحائف لصفاحه[4] من الأجور ، وتطوى عليه طوبات السِّيَر التى غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمة الثغور .

فتى جعل البلاد من العطايا ... فأعطى المدن واحتقر الضياعا
سمعنا بالكرام وقد رأينا[5] ... عيانا ضعف ما فعلوا سماعا
إذا فعل الكرام على قياس ... جميلا كان ما فعل ابتداعا

ولما كان — خلد الله سلطانه — بهذه المثابة ، وفتح الفتوحات التى أجزل الله بها أجره وثوابه ، وله أولياء كالنجوم إنارة وضياء ، وكالأقدار نفاذا ومضاء ، وكالعقود تناسقا ، وكالوبل تلاحقا إلى الطاعة وتسابقا ، وكالنفس الواحدة

(١) حذف صاحب السلوك فى هذا الموضع من النص الغاب السلطان الملك الظاهر كلها .

(٢) فى الأصل : « أبى » وهو خطأ .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى السلوك « مفاتح » (جـ ١ ص ٥٣١ س ٥) .

(٤) كذا فى الأصل : بصفاحه والتصحيح من نص السلوك حيث ترد نفس الوثيقة (نفس الموضع س ١١) .

(٥) فى رواية السلوك : « أرانا » .

عبـودية له وتصادقا ، رأى — خلد الله سلطانه — أن لاينفرد عنهم بنعمة ، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهـم تستنقذ ، و بعزائمهـم تستخلص ، وأن يؤثرهم على نفسه ، ويقسم عليهم[1] الأشعة من أنوار شمسه ، و يبقى للولد منهم وولد الولد ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويعيش الأبناء فى نعمته كما عاش الآباء . وخير الإحسان ما شمـل ، وأحسنه ما خلد ، فخرج الأمر العـالى لا زال يشمل الأعقاب والذرارى ، و ينير إنارة[2] الأنجم الدرارى ، أن يملك جماعة أمرائه وخواصه الذين يذكرون ، وفى هذا المكتوب الشريف يسطرون ، ما يعين من البلاد والقرى والضياع على ما يشرح و يبين من الأوضاع وهو :

المولى الأتابك فارس الدين أقطاى الصالحى	عتيل بكمالها
الأمير جمـال الدين إيدغدى العزيزى	النصف من زيتا
الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى	نصف طور كرم
الأمير بدر الدين بيليك الخزندار الظاهرى	نصف طور كرم
الأمير شمس الدين الدكز[3] الكركى	ربع زيتا
الأمير سيف الدين قليج البغدادى	ربع زيتا
الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحى	أفراسين[4] بكمالها

(١) فى الأصل : « تقسمهم » بدون ألف والتصحيح عن السلوك (جـ ١ ص ٥٢١ س ١٥) .

(٢) فى الأصل « ابتارة » .

(٣) كذا فى الأصل ، وهو يطابق قراءة المستشرق كترمر (انظر السلوك جـ ١ ص ٥٢٨ حاشية ٢) وقراءة الدكتور زيادة فى السلوك (جـ ١ ص ٥٢٨ ، ص ٥٣٤ حاشية ٤) هى الذكر ة

(٤) كذا فى الأصل : « افراسين » ، وفى السلوك (جـ ١ ص ٢٦٩ ، ٥٣٢) افراسين بالفاء .

الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى	باقة الشرقية بكالها
الأمير عز الدين أيدمر الحلّى[1] الصالحى	نصف قلنسوة
الأمير شمس الدين سنقر الرومى الصالحى	نصف قلنسوة
الأمير سيف الدين قلاون الألفى الصالحى	نصف طيبة الاسم
الأمير عز الدين إيغان الركنى سم الموت	نصف طيّبة الاسم
الأمير جمال الدين أقش النجيبى نائب سلطنة الشام	أم الفحم بكالها من قيسارية
الأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحى	بثان[2] بكالها
الأمير جمال الدين أقش المحمدى الصالحى	نصف بورين
الأمير فخر الدين الطنبا الحمصى	نصف بورين
الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجب الناصرى	نصف بيزين[3]
الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحى	نصف بيزين
الأمير فخر الدين عثمان بن الملك المغيث	ثلث حلمة[4]
الأمير شمس الدين سلار البغدادى	ثلث حلمة

(١) كذا فى الأصل ، وفى رواية السلوك (جـ ١ ص ٥٢٥) : الحلبى .

(٢) كذا فى الأصل ، بالثاء المثلثة ، وفى السلوك (جـ ١ ص ٥٣٢) بالثاء المثناة .

(٣) كذا فى الأصل ، بغير نقط الزاى ، والنقط من السلوك .

(٤) كذا فى الأصل ، وقد مر لفظ حلبة كاسم موضع من قبل ، وفى السلوك : حلية .

الأمير صارم الدين صُراغان[1] التترى	ثلث حلمة
الأمير ناصر الدين الفيمرى	نصف البرج الأحمر
الأمير سيف الدين بليان[2] الزينى الصالحى	نصف البرج الأحمر
الأمير سيف الدين إيتامش السعدى	نصف يمّا
الأمير شمس الدين آقصنقر السلحدار الظاهرى	نصف يمّا
الملك المجاهد سيف الدين إسحق صاحب الجزيرة	نصف دياية[3]
الملك المظفر علاء الدين أخوه صاحب سنجار	نصف دياية
الأمير بدر الدين محمد بى بن بركة خان	دير الغصون[4] بكمالها
الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار	نصف الشُّويكة
الأمير سيف الدين كرمون أغا [التترى[5]]	نصف الشويكة
الأمير بدر الدين بيليك الوزيرى	نصف طُبَرْس
الأمير ركن الدين منكورس الدوادارى	نصف طبرس
الأمير سيف الدين قشتمر العجمى	علاّر بكمالها

(١) كذا فى الأصل ، وفى السلوك : صراغان بالصاد المهملة .

(٢) فى الأصل : بيسلان ، والتصحيح من موضع آخر من متن النويرى ومن السلوك (ج ١ ص ٣٣٥ س ٣) .

(٣) كذا فى الأصل : دبابه : بباء مثناه ثم باء موحدة ، وقراءة السلوك : دنابه : بنون وباء .

(٤) كذا فى الأصل ، وقراءة السلوك : دير القصون .

(٥) الإضافة يقتضيها الإيضاح وهى منقولة عن السلوك (تقيد الموضع) .

الأمير علاء الدين أخو الدوادار	نصف عرعرا (١)
الأمير سيف الدين سنجق (٢) البغدادى	نصف عرعرا
الأمير سيف الدين دكاجك (٣) البغدادى	نصف فرعون
الأمير علم الدين سنجر الأزكشى	نصف فرعون
الأمير علم الدين سنجر طردح (٤) الآمدى	استابا بكاملها (٥)
الأمير حسام الدين إيتمش بن أطلس خان	سيدا بكاملها
الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس	الصبر الفوقا (٦)
الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى	نصف أرتاح
الأمير شمس الدين سنقر الألفى	نصف أرتاح
الأمير علاء الدين (٧) طيبرس الظاهرى	نصف باقة الغربية
الأمير علاء الدين على سكر (٨)	نصف باقة الغربية

(١) مر من قبل اسم عرعر . قرونا بعيون الأساور .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى السلوك « قفجق » .

(٣) كذا فى الأصل ، وقراءة السلوك : دكجل .

(٤) كذا فى الأصل ، وقد سبق فى هذا المستدرك ورود نقص الاسم بنقص الرسم . وقراءة السلوك طرطج الأسدى .

(٥) كذا فى الأصل ، مع التحفظ فى النقط وفى السلوك « اقتابه » ومن قراءات السلوك « سباها » .

(٦) كذا فى الأصل ، وكذلك فى أحدى قراءات السلوك وقراءة السلوك المعتمده هى « الصفرا » بكاملها ، وقد مر من قبل نسبة احد الرجال إلى الصفراء « الصفرادى » .

(٧) كذا فى الأصل ، وقراءة السلوك علم الدين .

(٨) كذا فى الأصل وقراءة السلوك : « تنكز » .

الأمير عز الدين أيدمر الفخرى الأنابكى	القصير بكمالها
الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الظاهرى	أخصاص بكمالها
الأمير ركن الدين بيبرس المعزى[1]	نصف قفين
الأمير شجاع الدين [طغريل الشبلى][2] أمير مهمندار	نصف كفر راعى
الأمير علاء الدين كندغدى الحبيشى مقدم الأمراء البحرية	نصف كفر راعى
الأمير شرف الدين يعقوب بن أبى القاسم	نصف كسفا[3]
الأمير بهاء الدين يعقوب[4] بن الشهرزورى	نصف كسفا[5]
الأمير جمال الدين موسى بن يغمور أستاد الدار العالية	نصف برويكة[6]
الأمير علم الدين سنجر الحلبى[7] الغزاوى	نصف برويكة
الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار[8]	نصف حانوتا من أرسوف
الأمير سيف الدين بيدغان الركنى	فرديسيا بكمالها من قيسارية[9]

(١) كذا فى الأصل ، وقراءة السلوك « المغربى » .

(٢) فى الأصل : سقطت عين طغرل والتصحيح يطابق ما فى السلوك .

(٣) كذا فى الأصل وكذلك فى إحدى قراءات السلوك وقراءة السلوك المعتمدة هى « كسنا بالنون » .

(٤) لم يرد لفظ ابن فى السلوك (جـ ١ ص ٥٣٤ س ٢) .

(٥) مكرر كذا فى الأصل وفى السلوك « كسنا » بالنون .

(٦) كذا فى الأصل وكذلك فى إحدى روايات السلوك . وقراءة السلوك المعتمدة « برنيكية » .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى السلوك (نفس الموضع) « الحلى » .

(٨) كذا فى الأصل ، وفى السلوك نائب أمير جاندار .

(٩) كذا فى الأصل ، وكذلك فى السلوك .

الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الكرك	ثلث جبلة[1] من أرسوف
الأمير شمس الدين سنقرجاه الظاهرى	ثلث جبلة من أرسوف
[الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومى	ثلث جبلة من أرسوف[2]]
الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح	ثلث جلجولية
الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومى	ثلث جُلجُولِيَّة
الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى الصالحى	ثلث جلجولية

وكتب من كتاب التمليك الشرعى الجامع نسخ ، وفرقت لكل أمير نسخة بمكانه ، وخلع على قاضى القضاة ، وتوجه [السلطان[3]] إلى دمشق .

ذكر قصد البرنس صاحب طرابلس حمص

وانهزامه[4]

وفى ثامن صفر سنة أربع وستين وستمائة ، جمع البرنس بيمند بن بيمند[5] جموعه ، واستنصر بالدواية والإسبتار ، وقصد جهة حمص . وكان النائب بها

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى السلوك « حبلة » بالحاء المهملة .

(٢) فى الأصل سطرا ، فأكمل نقلا من نص السلوك (نفس الموضع) .

(٣) الإضافة للإيضاح و يقتضيها السياق .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٣ س ١٥ — ١٣ وحاشية ٤) .

(٥) كذا فى الأصل بغير ضبط .

الأمير علاء الدين [سنجر](١) الباقشردى(٢) قد اطلع على حركته، فاحترز وجعل الطلائع على المخائض. فقصد البرنس مخاضة(٣) بلاله فسبقه الباقشردى إليها وملكها. فلما جاء البرنس ورآها قد ملكت عدل إلى غيرها فقويت نفوس المسلمين، ومدّوا الماء إليه وتبعوه فانهزم، وساقوا خلفه يقتلون ويأسرون وينهبون إلى أن توغل فى بلاده.

ذكر إغارة العساكر على طرابلس بالشام وفتح قلعة حلبا وقلعة عرقا(٤)

وفى سنة أربع وستين وستمائة فى شهر رجب، أهتم السلطان بأمر الغزاة، وطلب الأجناد من إقطاعاتهم من سائر أعمال الديار المصرية. فحضروا بأجمعهم. وخرج السلطان فى مستهل شعبان ورحل فى ثالثه. ولما وصل إلى غزة جرد الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى والأمير سيف الدين قلاون الألفى وجماعة من العسكر المنصور. وتوجه السلطان لزيارة البيت المقدس والخليل، صلوات الله عليه، فزار وكشف المظالم ومد بساط الخليل، عليه الصلاة والسلام، وأكل منه وأكل الناس، وفرق جملة من المال على الأئمة والفقراء والمؤذنين والعوام

(١) الإضافة للإفادة وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٥٤٣).

(٢) كذا فى الأصل وفى السلوك «الباشقردى».

(٣) كذا فى الأصل بدون نقط، وليس فى المحقق تحديد ممكن.

(٤) كذا فى الأصل وفى السلوك «عرقه وحلباء» (جـ ١ ص ٥٤٥ ص ٢ حاشية ٦) وعرقه بفتح العين أو كسرها تقع شرقى طرابلس.

وغيرهم وبلغه أن اليهود والنصارى يؤخذ منهم حقوق[1] زيارة الخليل ، والنزول فى المغارة ، فأنكر ذلك ، وكتب مرسوما بمنع أهل الذمة من دخول المقام الشريف . ثم رحل إلى عين جالوت .

وأما العسكر المجرد : فوصلوا إلى حمص فورد عليهم كتاب السلطان بالتوجه إلى طرابلس ، فركبوا على غرة من العدو ، فأصبحوا على حصن الأكراد ، وأغاروا إلى ساحل البحر من جهة طرابلس ، ونزلوا على حصن ثيب[2] من عمل حصن الأكراد فأقاموا عليه يوما واحدا ، فأخذوه وأسروا منه جماعة وهرب من كان بحلبا من الفرنج وأخلوها ، فدخلها العسكر وكسبوا منها شيئا كثيرا من نحاس وصناديق وسكر وغيره ، ولما هرب أهلها أدرك العسكر أواخرهم ، فقتلوهم وأخذوا نساءهم . ولما شاهد[3] أهل عرقا ما حل بحلبا نجوا بأنفسهم ، فأخرب العسكر القلعتين ونزلوا على حصن القليعات فتسلموه فى رابع شهر رمضان بالأمان وهدموه ، وعادت العساكر . فنزل الأمير سيف الدين قلاون بالقرب من القليعات ، وسير بالليل بعض المقدمين ليترقب من يخرج من الفرنج ، فوجد خمسين نفرا متوجهين من صافيتا[4] إلى حصن الأكراد أقجية وجرخية[5] فقتلهم جميعا ، وأحضرت رءوسهم . وخرج جماعة من الداوية للغارة على الغلمان الذين يحشون[6] خيل العسكر ، وكان

(١) هى ضريبة على الزيارة مثل الحقوق الديوانيه أو السلطانية .

(٢) كذا فى الأصل . وفى موضع آخر من المتن شيب (بالشين بدل الثاء) .

(٣) فى الأصل « شاهدرا » وهو خطأ .

(٤) من قلاع الفرنج الدبورية (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٩٠ ص ١٦) .

(٥) كذا فى الأصل بدون نقط والمقصود هم رماة البندق ، راجع من المعنى والسياق حاشية ٥ فى السلوك (جـ ١ ص ٤٩٨ ، ٤ ، ٥ حاشيه ١) .

(٦) لا يزال نفس اللفظ مستعملا فى العامية .

الأمير سيف الدين قلاون قد رتب مع الغلمان جماعة من العسكر، فلما جاء هم الداوية خرج عليهم العسكر فقتلوا بعض الفرنج وأسروا البعض . وسير صاحب صافيتا جاسوسا فأمسك وشنق . وكان فى جملة هـذا العسكر من العربان ألفا[1] فارس وجاهدوا[2] أتم جهاد ، وجرح الأمـير شرف الدين عيسى بن مهنا جرحين . ورسم السلطان أنه من عدم له فرس يعوض عنه رأسين من البقر ، ورسم بتجريد جماعة لحمص وعود العسكر .

ذكر إغارة العسكر على صور[3]

قال : ولمـا نزل السلطان على عين جالوت رحل منها إلى جهة عكا ، وجرد الأمير علاء الدين البندقدار والأمـير عز الدين[4] إيغان الركنى بجماعة من العسكر إلى جهة صور ، فأغاروا عليها وغنموا كثيرا من الجمال والبقر والغنم . وأسر كمندور[5] صاحب سيس ونفران معه كانوا انحازوا إلى برج فأخذوا بالأمان ، وأخذ وزير صور و جماعة من الفرنج . وتوجه الأمـير سيف الدين أوتامش إلى جهة صيدا[6] ، ورسم لهم السلطان بالحضور إلى جهة صفد . وتوجه السلطان إلى عكا ، وجرد الأمير

(١) فى الأصل « الفى » .

(٢) تدل الواو مع هذا الفعل على أن خبر العربان قد لخص من نص أطول .

(٣) راجع السلوك (جـ ١ ص ٤٥٥) .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى السلوك « أرغان » .

(٥) يرد فى السلوك كند والداوية (جـ ١ ص ٩٦٥ حاشية ٣) والوارد هنا أصح وهو بمعنى مقدم

(٦) صيداء بالمد والقصر مدينة على ساحل دمشق بينها و بين صور ست فراسخ (معجم ياقوت جـ ٣ ص ٤٠٣) .

بدر الأيدمرى والأمير بدر الدين بيسرى[1] إلى جهة القرين[2] ، وجرد الأمير فخر الدين الحمصى إلى جبل عاملة[3] ، فأغارت العساكر [على الفرنج][4] من كل جهة ، وحاصر الأمراء القرين ، وأخذت قلعة بالقرب من عكا ، وتوالت المكاسب حتى لم يوجد من يشترى الأبقار والجواميس لكثرتها .

ذكر فتوح صفد[5]

كان السلطان ، قبيل توجهه إلى عكا ، قد رسم للأمير علاء الدين أيدكين الشهابى أحد الأمراء بالشام وجماعة من العسكر أن يتوجهوا إلى بلاد الفرنج ، ولم يُعلم إلى أى جهة . ثم كتب كتابا وأمره أن لا يقرأه إلا إذا ركب هو والعساكر ، وكان مضمونه أن يتوجه إلى صفد ، ويتوجه الأمير فخر الدين الفايزى إلى الشقيف . فتوجه الأمير علاء الدين إليها وأحاط بها إحاطة حافظ لا مقاتل ، ثم جرد الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ومعه دهليز[6]

(١) فى الأصل « سيرى » والتصحيح منقول من السلوك (جـ ١ ص ٥٤٥ س ٥) وهذا خطأ يتكرر .

(٢) كذا فى الأصل كأنه تصغير قرن وفى السلوك «القرن» و يضيف ناشر السلوك أن الاشارة إلى قرن الحامرة إحدى قرى دمشق (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٤٥ س ٦ وحاشية ٥) .

(٣) الإضافة للإيضاح من السلوك (جـ ١ ص ٥٤٥ س ٦) .

(٤) جبل عاملة جهة جبلية قرب الساحل فى إقليم صفد و يوجد بها حصن الشقيف (راجع السلوك (جـ ١ ص ٣٠٢ حاشية ٤) .

(٥) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٤٥ س ١٠) لمراجعة نفس الخبر .

(٦) فى نفس الخبر الموازى بالسلوك (جـ ١ ص ٥٤٥ س ١١) قال « ومعه الدهليز السلطانى » .

إلى صفد ، ثم حضر إليها الأمير علاء الدين البندقدار والأمير عز الدين إيغان الركني بعد إفارتهم على صور فنزلوا إليها وضايقوها ، وأقام السلطان على عكا . ثم حضرت عساكر الغارات ، وحمل [السلطان](١) عدة مجانيق وفرقها على الأمراء ليحملوها ، ثم رحل والعساكر لابسة وساق إلى قريب باب عكا ووقف على تل الفضول ، ثم دخل إلى عين جالوت ، وكان الأمير سيف الدين الزيني قد توجه إلى دمشق لإحضار المجانيق ، فأحضرها وحملت على الرقاب ، وسار السلطان ونزل على صفد في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان سنة أربع وستين وستمائة . وأنفق السلطان في العساكر ، وأتفق أن الناس تناوشوا القتال فساق الأمير عز الدين خاص ترك الظاهري وحمل وواصل(٢) الطعن ، فتقدم المجاورون وأخذوا في النقوب ورمى الزراقون(٣) بالنفط فاحترق الباب . وأنعم السلطان على خاص ترك بعشرة آلاف درهم وفرس وجوشن(٤) وخلعة . ثم أقيمت المجانيق ورمت في سادس وعشرين الشهر ، وكان وصولها في الحادي والعشرين منه ، ولما وصلت إلى جسر يعقوب(٥) عجز الجمال عن نقلها ، فندب السلطان الأمراء والجند وسائر الناس لحملها على الرقاب ، وخرج [السلطان](٦) بنفسه وخواصه وجر أخشابها بيده . ووصلت العساكر التي كانت في الغارة ببلاد طرابلس ، واستمر الحصار وشرع الناس في الزحف في شوال ، وأمر السلطان بتحريك الطلبخاناه في نصف الليل ،

(١) الإضافة يقتضيها الإيضاح عن طريق ذكر الفاعل .

(٢) في الأصل « ووصل » .

(٣) المفرد زراق لأنه يزرق النفط بمعنى يرميه (راجع السلوك جـ ١ ص ٤٩٨ حاشية ٢) .

(٤) ويقال أيضا جوسن بالسين لا بالشين ، وهو نوع من الدروع (السلوك جـ ١ ص ٥٦٢ حاشية) .

(٥) عرف متن السلوك بجسر يعقوب فقال وهو منزلة من صفد (السلوك جـ ١ ص ٥٤٦ س ٢) .

وركب وهجم خندق الباشورة ، فقاتل الفرنج قتالا شديدا ، وأبلى المؤمنون بلاء حسنا واستشهد جماعة من المجاهدين ، وصار الإنسان يرى رفيقه قد قتل فيجره ويقف مكانه ، وتكاثرت النقوب ودخلت[1] النقابون إليها ، وأعطاهم السلطان ثلاثمائة دينار، وصار كل من عمل شيئا جزاه السلطان لوقته عنه بالخلع والمال. وفى أثناء ذلك نظر السلطان إلى الناس وقد تعبوا فى وقت القائلة من القتال، وتفرق بعضهم وهو راكب ملازم، فأمر خواصه بالسوق إلى الصواوين وإقامة الأمراء والجند منها بالدبابيس ، وسبّ الأمراء . وقال : « المسلمون على هذه الصورة وأنتم تستريحون» ورسم بأمساك الأمراء وكانوا نيفا وأربعين أميرا فقيدهم ونقلهم إلى الزردخاناه[2] ، فوقعت الشفاعة فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم . ووسعت النقوب وشرطت الأسوار، فحرق الفرنج الستائر التى كانت على الباشورة ليحموها[3] من التسلق[4] . فأمر السلطان بضرب الطبلخاناه ، وقام كل أحد إلى جهته ، فضرب المسلمون سكك الخيل[5] فى سفح الباشورة ، فما أصبح الصبح إلا والصناجق على أسوار الباشورة من كل جهة ، وأندفع الفرنج إلى القلعة وسلموا الباشورة فى يوم الثلاثاء نصف شوال . وفى هذا اليوم أخذت النقوب فى

---

(١) كذا فى الأصل ؛

(٢) الزردخاناه هى دار السلاح وهى أيضا سجن لأصحاب الرتب (راجع السلوك جـ ١ ص ٣٠٦ حاشية ١) .

(٣) فى الأصل « ليحملوها » .

(٤) فى الأصل « التسايق » وهو مصدر غير مسموع .

(٥) تقدم أنها سكك الحديد التى يرسم الخيل وهى أوتاد تربط إليها الخيول (السلوك جـ ١ ص ٥٢٦ حاشية ٣) .

برج اليتيم[١] وغـيره من أبراج القلعة . فعند ذلك أتت رسل الفـرنج إلى السلطان يسألون الأمان ، فاشترط عليهم ألا يستصحبوا[٢] سـلاحا ولا لامة حرب ولا شيئا من الفضيات، ولا يتلفوا[٣] ذخائر القلعة بنار ولا هدم، فعادوا لأصحابهم على ذلك. وبق السلطان يعطى الأمانات من المراسى و يسير المناديل ، وتقرر مع جماعة أنهم يفتحون الأبواب . فتسامع الفرنج بذلك، ووقع بينهم الاختلاف، وحضر خمسة عشر نفرا من القلعة منفردين[٤] فى وقت واحد فخلع عليهم ، ونودى فى العسكر بأن لا يرموا أحدا من الفرنج غير الديوية. فأمسك الفرنج من تلك الساعة عن القتال، وردوا الأمان وقالوا : « ما ندخل فى شرط » ، ورمى الرسل الخلع والمـال المنعم عليهم من الأسوار . ثم أيقنوا بالهـلاك ، فسيروا رسلهم فى يوم الجمعة ثامن عشر الشهر يطلبون ما كانوا طلبـوه أولا ، فامتنع السلطان من ذلك . فأخذ الأتابك منديل جمال الدين أقش القليجى مقدم الجمدارية[٥] وأعطاه لهم على أنهم لا يخرجون شيئا[٦] ممـا ذكرناه . فتوجه الرسل وصاح الفرنج بعد صلاة الجمعة : « يامسلمين ! الأمان » وفتحت أبواب القلعـة وقت العصر ، وطلعت الصناجق . ووقف السلطان راكبا على باب صفد، ونزل الفرنج أولا فأولا وصاروا جميعهم بين يديه ، وأخرجوا معهم الأسلحة والفضيات[٧] وأخفوها فى قماشهم[٨] وأخذوا جماعة من أسرى

(١) كذا فى الأصل بدون نقط .

(٢) فى الأصل « يستصحبون » .

(٣) كذا فى الأصل وقراءة السلوك « يتلفوا » وهى ممكنة أيضا (السلوك جـ ١ ص ٩٧٥ ص ٧) .

(٤) فى الأصل : سقطت دال « منفردين » .

(٥) عن الجمدارية والجاندارية ، راجع السلوك (جـ ١ ص ٩٢٣ حاشية ١) .

(٦) فى الأصل « شيء » وهو خطأ .

(٧) المقصود هو المال بحسب حاشية ناشر السلوك (جـ ١ ص ٩٧٥ حاشية ٣) .

(٨) المقصود هو الأمتعة أو الصور ، بحسب السياق .

المسلمين وصفارهم على أنهم نصارى . فلم يخف الله ذلك ، ووُسم بتفتيشهم فوجد ذلك معهم فأخذ منهم ، وأنزلوا عن خيولهم، وجعلوا فى خيمة، وقد حصل منهم ما ينقض العهد أن لو كان ، فكيف ولم يكن حقيقة . وأمر السلطان بضرب أعناقهم ، فضربت رقابهم على تل بالقرب من صفد كانوا يضربون رقاب المسلمين فيه . ولم يسلم منهم غير نفرين، أحدهما الرسول بحكم أن السلطان كان قد شرب قمزا فى النقب وخرج إليه الرسول فسقاه منه ، فعفا السلطان عنه وخيّره فى التوجه إلى قومه أو الإقامة عنده ، فاختار المقام فى خدمة السلطان وأسلم[1] ، فأعطاه السلطان إقطاعا ، وأما الآخر فإن الأتابك[2] شفع فيه فأطلقه السلطان . ودخل السلطان القلعة وفرق على الأمراء ما فيها من العدد الفرنجية والجوارى والمماليك ، واستناب فى القلعة الأمير عز الدين العلائى ، وولى الأمير مجد الدين الطورى ومقدم العسكر الأمير علاء الدين أيدغدى السلاح دار ، ونقلت إليها الزردخاناه التى كانت صحبة السلطان ، وصار يحمل النشاب على كتفه ، فنقلت فى أسرع وقت ، وطلب لها الرجال من دمشق ، وتقررت نفقة رجالها فى كل شهر ثمانين ألف درهم . واستخدم على جميع بلادها الأمراء، وعمل بها جامع بالقلعة وجامع فى الربض ، ووقف على الشيخ على المجنون نصف وربع الحفاف[3]

(١) يذكر الدكتور زيادة أن هذا الفارس الذى ترك النصرانية ودخل فى الإسلام كان من الداوية (السلوك جـ١ ص ٥٤٨ حاشية ١).

(٢) من أصل لفظ الأتابك واشتقاقه التركى راجع السلوك (جـ١ ص١٤٦ حاشية ١) وهو هنا القائد العام .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى السلوك « الحباب » (السلوك جـ ١ ص ٥٤٨ س ٧ والحاشية رقم ٢) والحباب عنده هى إحدى بلاد وادى القرى . والأرجح هو أن نبحث عن الموضع فى منطقة صفد .

والربع منها على الشيخ إلياس ، ووقف على قبر خالد بن الوليد قرية منها .

ورحل منها إلى دمشق فى سابع وعشرين شوال ، فنزل بالجسورة ، وأمر أن العساكر لا تدخل دمشق بل تتوجه إلى سيس[1] .

ذكر غزوة سيس وأسر ملكها
وقتل أخيه وعمه وأسر ولد عمه

قال : وجهز السلطان الملك المنصور صاحب حماة ، وجرد معه الأمير عز الدين إيغان ، والأمير سيف الدين قلاون ، ورسم للأمراء بتعظيمه . وتوجهوا فى خامس ذى القعدة من سنة أربع وستين . فوصلوا إلى الدرب ساك[2] ودخلوا الدربند ، وكان الملك المجير هيتوم بن قسطنطين بن باساك[3] قد ملكّ ولده ليفون وانقطع هو مترهبا ، فلما طلّب[4] المسلمون وقف ليفون فى عسكره وطلّب ، وتوهم أن المسلمين لا يقدرون على الطلوع فى الجبال لأن التكفور كان قد بنى على رءوس الجبال أبراجا ، فكانت كقول الشاعر :

وإن يبن حيطانا عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقله

---

(١) فى الأصل : « حبس » وهو لفظ لا يناسب السياق ، والتصحيح منقول عن السلوك (ج ١ ص ٥٥١) .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو أرجح من قراءة السلوك « درب بساك » « دير بساك » (السلوك ج ١ ص ٥٥١ ص ١٣) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى السلوك أيضا (راجع السلوك ج ١ ص ٥١٠ ، ٥٥١) .

(٤) أى : جمع أطلابه واستعد للقتال .

فطلعت العساكر[1] فى رءوس الجبال ، فلما وقعت العين فى العين أسر الملك ليفون ، وقتل أخوه وعمه ، وانهزم كندا سطبل عمه الآخر ، وأسر ولده ، وهرب صاحب حموص[2] . وكان فيهم اثنا عشر ملكا تمزقوا كل ممزق ، وقتلت أبطالهم . وساقت العساكر فى هذا النهار وأقامت على كونجيد[3] من عمل سرفند كار ، ونزلت فى اليوم الثانى بأعمال تل حمدون ، وهى تقتل وتأسر وتحرق . وأحرقوا حموص ، ثم توجهوا إلى نهر جهان فخاضته العساكر ونزلوا بقرب العمودين[4] ، وهى قلعة حصينة شاهقة للداوية . فلما طافت بها العساكر أذعن أهلها لتسليمها وكان فيها ألفان ومائتان نفرا ، فقتل الرجال ، وفرقت السبايا على العساكر . وأحرقت هذه القلعة وما فيها من الحواصل والذخائر . ورحلوا إلى سيس فأخربوها وأقامت العساكر أياما تحرق وتقتل وتأسر . وأقام الملك المنصور صاحب حماة بها . وتوجه الأمير عز الدين إيغان إلى جهة الروم ، والأمير سيف الدين قلاون إلى المصيصة وأدنة و إياس وطرسوس فقتلوا وأسروا وأحرقوا . وهدمت قلعة الداوية المعروفة بالبنية[5] ، وحرقت لهم أماكن كثيرة من حصون و بلاد وهدمت .

---

(١) فى الأصل : « من » .

(٢) كذا فى الأصل ، وقد مر مثله فى موضع آخر . أما السلوك فقرأته « حمص » (السلوك جـ ١ ص ٨٤٥ س ١ حاشية ١) .

(٣) كذا فى الأصل ، والمفروض أنها قلعة قريبة من هرقلة بحسب متن السلوك (جـ ١ ص ٥١٠ س ١) .

(٤) يقول ناشر السلوك أنها قلعة ذكرها أبو الفدا (السلوك جـ ١ ص ٥٥٢ س ٥ حاشية ٥) .

(٥) كذا فى الأصل ، بدون نقط . وقد أورد المقريزى خبرا موازيا فى السلوك (جـ ١ ص ٥٥٢ س ٥) خلوا من اسم قلعة الدبوية التى هدمت ، وعلق الدكتور زيادة فقال إن القلعة المقصودة هى قلعة العامدين الوارد ذكرها عند أبى الفدا فى المختصر والوارد هنا أصح بالطبع .

ثم عادت العساكر إلى سيس بعد أن غنمت غنائم كثيرة، حتى بيع الرأس البقر بدرهمين ولم يجد من يشتريه ، وأستاقت العساكر الغنائم .

ووردت هذه الأخبار إلى السلطان وهو يتصيد بحرود[1] ، فأعطى المبشر ألف دينار ، ودخل دمشق فتجهز وخرج لتلقى عساكره .

ذكر قتل أهل[2] قارا وسبي ذراريهم

لما توجه السلطان من دمشق ليلقى عساكره الواردة من سيس مر بقارا فى سادس ذى الحجة فأمر بنهبها وقتل من بها .

وكان سبب ذلك أن بعض الركابية كان قد خدم الطواشى مرشد مقدم العسكر بحماة لما عاد من الخدمة السلطانية كما تقدم ، ووصل إلى منزلة العيون مرض بها وبات ولم يشعر به الطواشى . فأتاه رجلان من أهل قارا وتوجها به إليها ليضيفاه ، فأقام عندهما ثلاثة أيام حتى عوفى ، ثم أخذاه بالليل وتوجها به إلى حصن الأكراد فأباعاه[3] بها بأربعين دينارا صورية . واتفق فى تلك السنة توجه بعض تجار دمشق إلى حصن الأكراد لإبتياع أسرى ، فاشترى ذلك الركابى فى جملة ما اشتراه وحمله إلى دمشق وأطلقه ، فخدم بعض الجند وخرج فيمن خرج مع السلطان . فلما وصل إلى قارا حضر الركابى إلى مجلس الأمير

---

(١) كذا فى الأصل ، وكذلك فى السلوك (جـ ١ ص ٥٥٢ ص ١١) .

(٢) فى الأصل ، فى العنوان : « قارى » . وفى الأصل فى المتن : « قارا » ورسم المتن أفضل عادة من رسم العنوان ، وتقع قارا على الطريق من دمشق إلى حمص راجع (السلوك جـ ١ ص ٥٥٣) .

(٣) كذا فى الأصل .

فارس الدين الأتابك وأنهى إليه صورة الحال ، فسأله هل يعرف الذى باعه ؟ قال : « نعم » . فسير معه جاندارية ، فتوجه ووجد أحد الرجلين فقبض عليه وأحضره . فأنهى الأتابك ذلك إلى السلطان فأحضرهما بين يديه ، وتقابلا فأنكر القارى[1] . فقال الركابى : « فأنا أعرف بيته وما فيه » ، فعند ذلك أعترف القارى ، وقال : « ما أنا أفعل هذا جميع من بقارا يفعله » . وكان قد حضر من قارا رهبان بضيافة إلى باب الدهليز ، فأمر السلطان بالقبض عليهم ، وركب بنفسه وقصد الديرة التى خارج قارا ، فقتل من بها ونهبها ، ثم عاد وأمر العسكر بالركوب ، وقصد التل الذى بظاهر قارا من جهة الشمال ، واستدعى أبا العز الريس بها ، وقال له : « نحن بقصد الصيد ، فر أهل قارا بالخروج بأجمعهم » . فخرج منهم جماعة إلى ظاهر القرية ، فلما أبعدوا عنها ، أمر بضرب رقابهم فضربت ولم يسلم منهم إلا من هرب واختفى بالمغائر والآبار ، وعصى بالأبرجة بها جماعة فأمّنوا وأخذوا أسرى ، وكانوا ألفا وسبعين نفرا من رجل وامرأة وصبى . وانتمى جماعة إلى أبى العز ريسها فأطلقهم السلطان له ، ثم أمر بتوسيط[2] الرهبان الذين حضروا بالضيافة فوسطوا . وتقدم إلى العسكر بنهب قارا فنهبوها[3] ، ثم أمر أن يجعل كنيستها جامعا ، ونقل إليها الرعية من التركمان وغيرهم حتى شحنها بالناس ، ورتب فيها خطيبا وقاضيا ، وكانت قبل ذلك يسكنها النصارى . وكان السبب فى إبقاء الرئيس أبى العز أن السلطان الملك الظاهر لما ساق خلف التتار بعد وقعة عين

(١) أى الرجل المنسوب إلى قارا .

(٢) فى الأصل : « بتوسط » .

(٣) فى الأصل : « فنهب » .

جالوت مر بقارا فخـرج إليه هـذا الرئيس وأضافه ، فـرعى السلطان له ذلك وأحسن إليه .

وبيعث أولاد أهـل قارا فتربّوا بين المماليك وتكلّموا باللغة التركية ، ثم صاروا بعد ذلك أجنادا ، وتأمر منهـم جماعة وتولوا الأقالـيم الكبار والمناصب بالديار المصرية ، وتمولوا .

قال : ولمـا فرغ السلطان من قتل أهل قارا ونهبها توجه إلى حماة ، فعيّد بهـا عيد الأضحى ، وسار منهـا[1] إلى أفامية[2] ، ورحل للقاء العساكر فى ثالث عشر ذى الحجة . وكان قد أُفرِد نصيب السلطان من الغنائم ، ففرق ذلك على عساكره .

وأحسن إلى صاحب سيس ومن معه فى الأسر ، وعاد إلى دمشق فى رابع وعشرين الشهر فدخلها مطلّبا[3] وصاحب سيس وابن عمه وأصحابه بين يديه ، وخلع على المـلوك والأمراء والأكابر ، وسـير لصاحب حماة ولأصحابه الخيـول والخلع والأموال ، وودعه ، وتوجه إلى مملكته .

وخرج السلطان من دمشق فى ثانى المحرم على ما قدمناه .

ذكر وقعة مع الفرنج كانت النصرة فيها للمسلمين[4]

وفى المحرم سنة خمس وستين وستمائة : بلغ العسكر الصفدى أن العدو أجاز

---

(١) فى الأصل : « معها » .

(٢) أفامية إحدى بلاد حمص وتسمى أيضا قامية (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٤٩ حاشية ٤) .

(٣) دخلها مطلبا أى فى استعراض رسمى كل طلب من الأطلاب على حده .

(٤) راجع السـلوك والحواشى الكثـيرة التى أوردها ناشره هنا (جـ ١ ص ٥٥٤ س ١٤ ، ص ٥٥٥ س ١ / ٢) .

على بلد طبرية ، فركب العسكر وطلبوا جهة عكا ، فلما وصلوا إلى وادى عليين[1] خرج عليهم الفرنج ، وكان قد وصلهم نجدة من قبرص وغيرها ، فضرب العسكر معهم مصافا فانكسر الفرنج ، وكانت عدتهم ألف ومائة فارس فقتل أكثرهم ، وعملت أعزية عظيمة بعكا لمن قتل من ملوكهم فى هذه الوقعة .

ذكر إغارة السلطان على عكا[2]

قد ذكرنا أن السلطان توجه إلى الشام لعمارة صفد فى سنة خمس وستين وستمائة ، وأن رسل الفرنج أتوه بها وتحدثوا معه فى أمر بلادهم . وأجابوا إلى ما قاله لهم من مناصفة صيدا وهدم الشقيف .

قال : وأنكر السلطان عليهم إغارتهم على مشغر[3] ، وأقيموا قياما مزعجا ، وأمر السلطان العساكر بالركوب خفية[4] للغارة . وركب السلطان ، والفرنج قد اطمأنوا بإرسال رسلهم إليه ، فما أحسّوا إلا والعساكر قد وصلت إليهم[5] . وساق السلطان ونزل على باب عكا بتل الفضول ، وأحضرت إليه رءوس القتلى من كل جهة ، وضرب دهليزه تحت التل وبات فيه ، ثم أصبح على تلك الحالة ، وعاد إلى جهة صفد .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٥٩) .

(٣) كذا فى الأصل بغير نقط ، ولا يوجد فى معجم ياقوت غير مشغرى على أنها قرية من قرى دمشق .

(٤) فى الأصل « حفية » ويضيف صاحب السلوك أن المسلمين لبسوا ملابس الإسبتارية والداوية (السلوك جـ ١ ص ٥٥٨ س ١٧ حاشية ٢) .

(٥) فى الأصل « إليهم » .

ووصلت رسل سيس بالهدايا فشاهدوا هم ورسل الفرنج، رءوس القتلى على الرماح . وأحضر جماعة ممن أسر فى هذه الغارة فقتلوا فى صفد .

وطلب السلطان رسل الفرنج وقال : « هذه الغارة قبالة إغارتكم على بلاد الشقيف » . ولم ينتظر أمر الصلح ، فردّ الرسل الفرنجية بغير جواب .

وركب [السلطان](١) فى حادى وعشرين شعبان من السنة وساق [من صفد](١) إلى عكا ، فما علموا إلا وهو على أبوابها ، فقسّم الحجارين والناس على البساتين والأبنية والآبار للهدم والقطع . وعمل البزك بنفسه على باب عكا تحت ذيل التل . وأقام أربعة أيام حتى تكامل الهدم والإحراق والقطع ، وسير إلى طاحون كردانة(٢) التى لبيت الإسبتار فهدمها .

وفى هذه الأيام أحضر رسل سيس ورسل بيروت(٣) [هدايا] وجماعة(٤) من أسرى المسلمين وردوا مال التجار ، وكتبت أجوبتهم وتوجهوا .

وفى شهر رمضان وصل رسل(٥) صور وسألوا استمرار الهدنة . فقال السلطان : « أنا ما فعلت ما فعلت إلا لأنكم قتلتم السابق شاهين غلامى ، وإذا قمتم بديته استمرت الهدنة » . وأحضر أولاد السابق شاهين فقرر ديته خمسة عشر ألف دينار صورية ،

(١) الإضافة يقتضيها الإيضاح ، وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٥٥٩) .

(٢) كردانة من قرى عكا بحسب نص السلوك (جـ ١ ص ٧٦٩ س ١١) .

(٣) صاحبة بيروت هى الأميرة إيزابيل ديبلان Isabel d'ibelin

(٤) فى الأصل « وجماعة » وهى مفعول الفعل أحضر والتقدير هدايا وجماعة من أسرى ، ويعتمد هذا الفهم على الخبر الوارد فى السلوك (جـ ١ ص ٥٩٩ س ١٠) .

(٥) فى الأصل « رسول » ، راجع السلوك (جـ ١ ص ٥٥٩ س ١١ وما بعده) .

أحضر الرسل نصفها و جماعة[1] من أسارى المغاربة[2] واستمهلوا بالبقية . وقال السلطان : «تبنين وهدنين وبلادهما [بلاد[3]] أخذتهما بسيفي وصارت للإسلام فاستقرت للمسلمين » . وأجيبوا إلى الصلح وكتبت الهدنة لمدة عشر[4] سنين .

واستقرت أيضا قاعدة الصلح ببيروت بعد أن تقرر عليهم أن يردوا أموال التجار الذين كانوا أخذوا بمراكب[5] الأنابك و إطلاقهم وثمن المراكب . ثم قبلت هديتهم واستمرت هدنتهم .

ذكر الصلح مع بيت الإسبتار على حصنى الأكراد والمرقب[6]

كان بيت الإسبتار قد تقدم طلبهم لذلك . فاستقر هذا الأمر بشرط أن الفسخ يكون للسلطان وحضرت رسلهم الآن ، والتمسوا أن يحلف لهم السلطان . فقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات وبطلت القطائع عن بلاد الدعوة وهى ألف ومائتا دينار ، ومائة مدى[7] حنطة

(١) فى الأصل « وجمع » والسياق يقتضى ذكر شىء يدفع على سبيل الدية .

(٢) يقرأ ناشر السلوك فى إحدى الحواشى « المغازية » (السلوك جـ ١ ص ٥٠٩ حاشية ٤) بمعنى الغازية أو الغزاة .

(٣) الإضافة يقتضيها تركيب الجملة .

(٤) فى الأصل « عشرة » .

(٥) فى الأصل (مركب) والسياق يتطلب ذكر عدد من المراكب .

(٦) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٠) .

(٧) كذا فى الأصل .

وشعيرا ، وعن مملكة حماة وهى أربعـة آلاف دينار ، وعن شيزر وأفامية وهى فى كل سنة على أبو قبيس ستمائة دينار مصرية ، وعلى عينتاب[1] خمسمائة دينار صورية ، والرسم المعروف بالمفادنة ، وهو عن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم . وسير لإستحلاف مقـدم الإسبتار ، الأمير فخر الدين المقـرى والقاضي شمس الدين ابن قريش كاتب الدرج .

ذكر فتوح يافا[2]

قال : كان الصلح قـد استقر بين السلطان وصاحب يافا جوان ديكين ، فصار نوابه يَتَعدَّون ، وصيروا مُتَجَرِّمَة[3] فى زى صيادين إلى قطيا . فاتفق هلاك صاحب يافا وقيام ولده جاك بعده .

ولمـا كان السلطان على صفد لعمارتها حضر إليه قسطلان[4] يافا وسأله فى هدنة لولد صاحبها . فامتنع السلطان من ذلك . ثم وصلت الأخبار أن أهل يافا يحملون الميرة إلى عكا ، وكانت ممنوعة منها . وأقاموا فى يافا حانة وأوقفوا فيها عدة من المسلمات ، واعتمدوا أسبابا ليست فى هدنة .

فلما كان فى سنة ست وستين وستمائة ، خرج السلطان من الديار المصرية متوجها إلى الشام ، وذلك فى مستهل جمادى الآخرة ورحل فى ثالثـه فوصل إلى

---

(١) فى الأصل « حناب » وفى السلوك عينتاب ، وهو أصح .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٥ — ٥٦٠) .

(٣) كذا فى الأصل ، بدون نقط تحت الجاء ، وبدون رسم رأس الكاف .

(٤) هو مستحفظ الحصن . راجع السلوك (جـ ١ ص ٥٢٤ حاشية ٣) .

غزة، وبلغه أن جماعة من الجمالين تعرضوا إلى الزرع فقطع أنوفهم، وبلغه أن علم الدين سنجر الحموى أحد أمرائه، ساق فى زرع فأنزله عن فرسه وأعطاه [وأعطى][1] سرجه ولجامه لصاحب الزرع. ونزل السلطان على العوجاء فحضر إليه القسطلان وأكابر يافا، فعوقوا إلى أن يخرجوا من الدعاوى. فبذلوا للسلطان تسليم المدينة والقلعة على أن يطلقوا بأموالهم وأولادهم. فأجيبوا إلى ذلك.

وركب السلطان فى العشرين من جمادى الآخرة وساق إليها وما أحسّ أهلها إلا والعساكر قد أطافت بها. وأخذ الأتابك من حصل معه الحديث منهم وحضر به إلى يافا، فما تفاوضوا فى الحديث إلا والعسكر قد طلعتها من كل جانب، وفتحت أبوابها. ثم زحفوا على القلعة فسلمها أهلها فى اليوم الثانى، ومنع السلطان من نهبها، وطلع إلى القلعة وجهز أهلها إلى مأمنهم، وجرد معهم الأمير بدر الدين بيسرى. وشرع فى هدم القلعة فهدمت، وأخذ من أخشابها وألواح رخام وجدت فيها ما أوسق بها مركبا وسيرها إلى القاهرة. ورسم بعمل ذلك الخشب مقصورة فى الجامع الظاهرى بالحسينية والرخام لمحرابه. ورتب السلطان الخفراء على السواحل وألزمهم بدركها، ورسم أن المال المتحصل من هذه البلاد لا يغمس فى غيره، وجعل ما كوله ومشروبه منه. وملك الأمير علاء الدين منها قرية، والأمير علم الدين سنجر الحموى قرية. ورتب إقامة التركمان بالبلاد الساحلية لحمايتها، وقرر عليها خيلا وعدة، ورسم بتجديد مقام الخليل، عليه الصلاة

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق اعتمادا على المعنى الوارد فى الخبر الموازى فى السلوك (ج ١ ص ٥٦٤ س ١١).

والسلام ، وعمل مكان الخوان ناحية من الحرم[1] .

وهذه يافا فتحها عمرو بن العاص فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ويقال بل فتحها معاوية ، ذكره البلاذرى . وذكر عز الدين بن عساكر أن الملك طنكى بناها فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، ونزل عليها السلطان الملك الناصر رحمه الله ، فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . فخرج البطرق[2] وجماعة منها وسألوا السلطان على أنهم يسلموها بالأمان ويكونوا أسارى ، واستمهلوا فى التسليم إلى الصبح[3] فأمهلهم . فوصل ملك الأنكتير فى تلك الليلة إليها ودخل قلعتها ، ونقض ما كان تقرر ، فرحل السلطان عنها ونزل اللاطون[4] . ثم نزل عليها الملك العادل بعساكر ولد أخيه الملك العزيز صاحب مصر ففتحها فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . هكذا حكاه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى فتحها ، وقد تقدم أنها من الفتوح الناصرية[5] .

قال : وما حضر الأنبرور فرديك فى أيام الملك الكامل نزلها وحصن قلعتها وبناها . وما حضر الريدافرنس بعد خلاصه من الأسر فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، عمر مدينتها وأنفق عليها أموالا كثيرة .

---

(١) الراجح أن المقصود هو أنه أدخل المكان الذى كان يعد فيه سماط تقليدى للخليل ضمن مسجد الحرم الخليلى . وفى مكان الخوان المشار إليه هنا مد سماط عند زيارة بيبرس القدس عام ٦٦٩ هـ . راجع ما تقدم من هذا الجزء ص ١١١ ، ص ٢٨٢ ، وراجع كذلك تعليق ناشر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٥ حاشية ٢) فإنه يرى العكس تماما .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل « الصفح » .

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) فى الأصل « الناصري » كما لو كان المتن يقول الفتح الناصرى .

قال : ولما فرغ السلطان من هدم يافا رحل عنها فى ثامن عشر رجب ، ووصل إلى صفد ثم منها إلى الشقيف .

ذكر فتوح شقيف أرنون (١)

كان السلطان قد كتب إلى الأمير جمال الدين النجيبى ، نائب السلطنة بالشام ، بتجهيز العسكر الشامى إلى أن يحضر بريدى يسير قدامهم . ولما خرج إلى الشام فى هذه السفرة توجه البريدى . وكان السلطان قد قرر مع النجيبى أمارة يمسكها البريدى من يده ، فوصل البريدى وأمسك الأمارة من يده . فأحضر الأمراء للوقت ورسم لهم باتباع البريدى ، فسار بهم إلى بانياس ، فأخرج لهم بريدى آخر كتبا مختومة فى بانياس للأمير علم الدين الحصنى والأمير بدر الدين الأتابكى متضمنة منازلتهم للشقيف ، وأنهم لا يجذبون قتالا ولا غيره ، فما عرف بهم إلا وقد نازلوا الشقيف . وكان جماعة من الفرنج قد توجهوا من الشقيف إلى عكا وصيدا ، فنازله (٢) العسكر قبل حضورهم (٣) ، وسار بعض العسكر إلى جهة صيدا فأسروا وقتلوا . وجهز هذا العسكر أخشاب المجانيق والستائر . ثم جهز السلطان بعد فتوح يافا الأمير بدر الدين بكتوت من عكا (٤) بعسكر مصرى فنزلوا على الشقيف . وتوجه السلطان فوصل إليه يوم الأربعاء تاسع شهر رجب ، فأقام منجنيقين ورمى بهما فى اليوم الثانى من وصوله .

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٦٥) والشقيف كالكهف قرب بانياس عن معجم ياقوت (جـ ٥ ص ٢٨٤) .

(٢) المقصود نازل العسكر حصن الشقيف .

(٣) المقصود بـ « الفرنج الذين توجهوا من الشقيف إلى عكا صيدا » .

(٤) فى الأصل : « بجكا » وما هنا منقول عن « س » وسبب الخلط بين عكا وبجكا أن الناسخ لابد أنه رسم أول العين بزلومة خرطومية زخرفية مألوفة عن الخطاطين .

واتفق أن الفرنج الذين بالشقيف كانوا سيروا شخصا إلى عكا لما نزل عليها العسكر الشامى يعلمونهم بحالهم و يذكرون لهم عورات الحصن[1]، فسيروا[2] الجواب. فلما وصل القاصد وحضر إلى السلطان وأحضر رسالة أخوية أهل عكا إليهم[3] [تتضمن إعلام النواب بالشقيفين أن المسلمين لا يقدرون على أخذ الحصن إن احتفظتم به فجدوا فى أمركم[4]] . فحصل التحيل فى قراءتها ، وعلم منها أسماء المقدمين الذين بالشقيف ، فكتبت الأمانات لهم بأسمائهم ورمى بها إلى الحصن بالنشاب . وكتب أحد التراجمة عوض [رسالة] أخوية عكا، وعكس عليهم فيها القضايا . وكان فى الكتاب أن الوزير لا يكون خاطره متغلثا[5] بسبب المصادرة له ، ففى ساعة يمكن تعويضه عن ذلك ، فعكس ذلك : وقيل للمقدم بالشقيف يحترز من الوزير كليام ، ففى قلبه إحنة من مصادرتنا له ، وأغرى بينهم بهذا القول وما يناسبه . ورميت هذه الكتب فى سهم فحصل[6] الاختلاف بينهم ، ووجدوا الأمانات التى كانت كتبت للمقدمين، فأمسكوا جماعة وتوهموا من الوزير. وكان الفرنج لما تسلموا الشقيف من الملك الصالح إسماعيل ، فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، هو وصفد ، عمروا إلى جانبه قلعة أخرى، فعجزوا فى هذا

---

(١) المقصود حصن الشقيف .

(٢) الفاعل أهل عكا .

(٣) أى إلى أعيان حصن الشقيف .

(٤) الإضافة للإيضاح وهى منقولة عن حاشية لناشر السلوك (ج ١ ص ٥٦٥ حاشية ٣) نقلا عن بن أبى الفضائل فى النهج السديد .

(٥) فى الأصل « متعلما » وهو خطأ .

(٦) فى الأصل « لحصل » .

الوقت عن حماية جهتين . فلما كان فى ليلة الأربعاء السادس والعشرين من شهر رجب عمدوا إلى هذه القلعة المستجدة وحرقوا جميع ما بها من غلة وقماش وغيره ، وانتقلوا إلى القلعة المستقرة ، وأصبح المسلمون وتسلموها ، وقدمت المجانيق[1] إلى هذه القلعة فى سابع وعشرين الشهر ورمى بها . وأقام السلطان فى سطح برج من أبراجها بالقرب من العدو ، فعرف الفرنج موضعه فرموا نحوا قريبا منه فقتل ثلاثة نفر ، ولم ينتقل السلطان عن موضعه . وكان باب هذه القلعة تجاه باب القلعة الأخرى ، فعمل السلطان سربا طويلا فى أعلى القلعة نازلا إلى أسفلها وصار يتعلق به ويطلع وينزل وهو لابس عدته .

قال . واشتد القتال ، فبينما الناس فى ذلك وإذا بالوزير كليام قد خرج مستأمنا ، ثم سألوا الأمان على نفوسهم وأنهم يؤخذون أسارى ، وسألوا إطلاق الحريم والأطفال ، فأجاب السلطان إلى ذلك . وفى يوم الأحد سلخ شهر رجب سنة ست وستين وستمائة ، استدعوا الصناجق فرفعت على القلعة . وسير الأمير بدر الدين الخزندار فتسلمها[2] ، وخرج الفرنج إلى الخنادق فقيدوا ، وأخرج النساء والأطفال . وجرد الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى[3] صحبتهم فأوصلهم إلى جهة صور ، وسلم الرجال إلى العساكر[4] .

قال : وهذا الشقيف من أحصن المعاقل وأحسنها وكان مضرة على بلاد الصبيبة . وكان الملك العادل الكبير قد جدده ، وما زال فى يد الإسلام إلى أن سلمه الصالح إسماعيل للفرنج على ما قدمناه .

(١) نصب السلطان عليها ستة وعشرين منجنيقا من السلوك (ج ١ ص ٥٦٥ س ١٠ — ١١) .

(٢) المقصود هو أنه تسلم القلعة .

(٣) الضمير يعود على النساء والأطفال .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٦) .

قال : ولما قدر الله تعالى فتح الشقيف ، انفق [السلطان] فى جميع العساكر وخلع على الملوك الذين فى خدمته ، مثل : الملك المنصور صاحب حماة وأخيه ، وأولاد صاحب الموصل ، والملك الأمجد بن العادل ، وغيرهم من أولاد الملوك ، وعلى الأمراء والمقـدمين ، ومن جرت عادتهـم بالخلـع . وشرع السلطان فى هـدم القلعة المستجدة فهدمت إلى الأرض ورتب الأمـير صارم الدين قايماز الظافرى(١) نائبا لهـذه القلعـة ، ورتب فيهـا الأجناد والرجالة ، ورتب بها قاضيا وخطيبا(٢) ، وأقيمت شعائر الإسلام بهـذه القلعة وجميع تلك البلاد ، وولى الأمير سيف الدين بلبان الزينى عمارتها ، وكان قد خرج منها جماعة من المسلمين حالة الحصار فكتب لهم السلطان فدنا وقفا عليهم .

ذكر توجه السلطان إلى طرابلس(٣) وإغارته عليها

كان بيمند صاحب طرابلس قد كثر تعديه على بلاد الإسلام ، وأخذ البلاد المجاورة له بعد زوال الأيام الناصرية واستيلاء التتار على الشام ، وكان من أكبر أعـوان التتار . فلما رحل السلطان من الشقيف نزل قريبا من جسر بانياس ، وجهز الأثقال إلى دمشق وجرد الأمير عز الدين أيغان بجماعة توجهوا من جهة ، والأمـير بدر الدين الأيدمرى بجماعة من جهـة أخرى ، لحفظ الطرقات

(١) كذا فى الأصل وفى السلوك (ج ١ ص ٥٦٦) « الكافرى » .

(٢) فى الأصل « قاض وخطيب » بالرفع .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٦) .

وامتلأت بالعساكر، وتوجه إلى طرابلس على جهة جبال الطنبين[1]، وكان البرنس قد وعّر الطرقات، فوصل السلطان فى نصف شعبان وملك هذه الجبال التى يقول فيها المتنبى :

وجبال لبنان وكيف بقطعها ... وهو الشتاء وصيفهن شتاء

لبس الثلوج بها علىّ مسالكى ... فكأنها بياضها سوداء

وخيم السلطان قريبا من طرابلس واستمر على الركوب إليها، والعساكر تناوش [أهلها] القتال ويرامونهم[2] بالنشاب، وافتتح برجا قد عصى فيه جماعة من الفرنج [و] ضرب رقابهم، وجرد جماعة خربوا الحرث ونهبوا تلك الجبال وأخذوا عدة مغاير بالسيف، وقطعت الأشجار وهدمت الكنائس وقنى المياه والقناة الرومانية، وقسم السلطان الغنائم فى العساكر ورحل عن طرابلس فى العشر الآخر من شعبان من السنة .

ذكر فتوح أنطاكية[3]

لما رحل السلطان عن طرابلس لم يطلع أحدا على الجهة التى يقصدها، فتوجه إلى حمص فى سابع وعشرين شعبان، وأمر ببناء مسجد بحمص، ولما وصل إلى حماة رتب العساكر ثلاث فرق : فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخزندار، وفرقه مع الأمير عز الدين إيغان، وفرقة صحبة الركاب السلطانى .

---

(١) كذا فى الأصل « جبال الطنين » ولعل الأصح هو الرسم بالظاء المعجمة لأن الاسم يرد فى السلوك الضنبين (ج ١ ص ٧٧٩، ص ٩٨٥) .

(٢) فى الأصل « ويراموهم » .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٦ ٥٦٧) وخاصة تعليقات المحقق .

فتوجه الأمـير بدر الدين الخزندار إلى السويدية ، وتوجه الأمـير عز الدين ايبغان إلى الدرب ساك ، فقتلوا وأسروا . وتوافوا جميعهـم بأنطاكيـة ، ونزل السلطان أفامية ، ومنها إلى جسر تحت الشغر وبكاس ، وأصبح مغيرا على أنطاكية وذلك فى مستهل شهر رمضان .

وتقدم فى الجاليش[1] الأمير شمس الدين أقسنقر أستاد الدار ، فصادف جماعة من عسكر أنطاكية وانتشبت الحرب بينهم ، فحمل أحد أجناد الأمير شمس الدين أقسنقر وهو فلان الدين المظفرى على كندا سطبل[2] فأسره وأحضره إلى السلطان ، فأمّره السلطان وأحسن إليه . وأطافت العساكر بأنطاكيـة من كل جانب . وكان النزول عليها بالخيام والثقل ، بكرة يوم الجمعة ثالث شهر رمضان[3] سنة ست وستين وستمائة . ولمـا حضر كنداسطبل إلى السلطان رآه رجلا عاقلا ، فسأل أنه يدخل إلى أنطاكيـة ويتوسط لأهلهـا ، فجرى السلطان على عادته فى الإنذار قبل المهاجمة . فسيّر كنداسطبل [من][4] أحضر ولده رهينـة ، ودخل البلد وتحدث ، وخرج مع جماعة من القسيسين والرهبان ، وأقاموا يترددون ثلاثة أيام فظهر منهم قوة نفس وخوف من صاحبهم البرنس . وفى بكرة السبت أنذرهم بالزحف ، وصبر حتى دخل الأقساء والرهبان إلى أنطاكية ، ورسم بالزحف . فزحفت العساكر وأطافت بالمدينة والقلعة على اتساعها ، وقاتل أهلها قتالا شديدا . فتسور

(١) الجاليش فى السلوك يرد بمعنى راية وبمعنى مقدمة القلب وهو المراد هنا (راجع السلوك جـ ١ ص ٦٩٢ حاشية ٤) .

(٢) راجع نفس الإصطلاح واردا فى السلوك (جـ ١ ص ٩٦٧) .

(٣) نفس التاريخ فى السلوك ، فكملوا بخيامهم فى ثالثة ، (جـ ١ ص ٥٦٧) .

(٤) الإضافة لملأ بياض مقدار كلمة واحدة بحسب السياق .

المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة ونزلوا المدينة ، فهرب أهلها إلى القلعة . وشرعت العساكر فى النهب والقتل والأسر ، وما رفع السيف عن أحد من الرجال بالمدينة ، وكان بها فوق المائة ألف نفر . وأخذ التركمان من الغنائم مالا يحصى . ثم رسم السلطان بحفظ أبواب المدينة والإحتراز عليها . وأما القلعة فاجتمع فيها ثمانية آلاف مقاتل غير الحريم والأولاد ، فتحاشروا بها فمات عالم . وأما البالى (١) والوزير الوالى فإنهم لما شاهدوا هذا الحال هربوا رجالة فى الليل ، تدلوا بالحبال ، وأصبح أهل القلعة فما وجدوا أحدا منهم ، ولم يكن بالقلعة ماء ولا طواحين تكفيهم . فسيروا يوم الأحد ثانى يوم الفتح يطلبون الأمان من القتل وأنهم يؤخذون أسرى . فلوقت طلع السلطان فصادف جميع من فى القلعة قد خرج إلى ظاهرها وعليهم الملابس الحسنة واستغاثوا للسلطان ، فعفا عنهم من القتل ، وأحضرت الحبال فربطوا بها ، وتسلم كل أمير جماعة من الأسرى ، وكذلك كل مقدم ، والكتاب يتزلون ذلك ، وكتبت كتب البشائر ، ومن جملتها كتاب إلى صاحب انطاكية (٢) : نسخته بعد البسملة :

« قد علم القومص الجليل [المبجل المعزز الهمام ، الأسد الضرغام ، بيمند فخر الأمة المسيحية ، رئيس الطائفة الصليبية كبير الأمة العيسوية (٣)] بيمند

(١) المقصود هو الـ : Bailli وهى وظيفة من الوظائف الإدارية الفرنسية فى العصور الوسطى .

(٢) نشر هذه الوثيقة ناشر السلوك نقلا عن المخطوطة التى سميناها هنا « س » ومن متن أبى الفضائل فى النهج السديد .

(٣) الإضافة منقولة عن « س » وهى غير موجودة فى الأصل .

المتنقلة مخاطبته بأخذ أنطاكية [منه] من البرنسية إلى القومصية ، ألهمه الله رشده ، وقرن بالخير قصده ، وجعل النصيحة محفوظة عنده . ما كان من قصدنا طرابلس وغزونا له فى عقر الدار ، وما شاهده بعد رحيلنا من إخراب العامر ، وهدم الأعمار ، وكيف كنست تلك الكنائس من بساط الأرض ، ودارت الدوائر على كل دار ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل البحر كالجزائر ، وكيف قتلت الرجال ، واستخدمت الأولاد ، وتملكت الحرائر ، وكيف قطعت الأشجار ، ولم يترك إلا ما يصلح لأعواد المجانيق [إن شاء الله] والستائر ، وكيف نهبت لك ولرعيتك الأموال والحريم والأولاد والمواشى ، وكيف استغنى الفقير وتأهل العازب[1] واستخدم الخديم وركب الماشى » .

« هذا وأنت تنظر المغشى عليه من الموت ، وإذا سمعت صوتنا قلت فزعا : على هذا الصوت[2] ، وكيف رحلنا عنك رحيل من يعود ، وأخرناك وما كان تأخيرك إلا لأجل معدود . وكيف فارقنا بلادك ، وما بقيت ماشية إلا وهى لدينا ماشية ، ولا جارية إلا وهى فى ملكنا جارية ، ولا سارية إلا وهى فى أيدى المعاول سارية ، ولا زرع إلا وهو محصود ، ولا موجود لك إلا وهو منك مفقود ، ولا منعت تلك المغاير[3] التى هى فى رءوس الجبال الشاهقة ، ولا تلك الأودية التى هى فى التخوم مخترقة وللعقول خارقة . وكيف سقنا عنك ولم يسبقنا إلى مدينتك أنطاكية خبر . وكيف وصلنا إليها وأنت لا تصدق أننا نبعد عنك ، وإن بعدنا فسنعود على الأمر . وها نحن نبلغك بما تم ، ونفهمك بالبلاء الذى عم » .

(١) فى الأصل « العزب » وصححنا العازب .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) المراد أن مغاير الجبال لم تحمك ولم تمنعك من هجومنا .

« كان رحيلنا عنك [و[1]] عن طرابلس يوم الأربعاء رابع عشرين شعبان ، ونزولنا أنطاكية فى مستهل شهر رمضان . وفى حالة النزول خرجت عساكرك المبارزة فكسروا ، وتناصروا فما نصروا ، وأمر من بينهم كندا سطبل ، فسأل مراجعة أصحابك . فدخل إلى المدينة ، فخرج هو وجماعة من رهبانك وأعيان أعوانك فتحدثوا معنا ، فرأيناهم على رأيك فى إتلاف النفوس بالغرض الفاسد ، وأن رأيهم فى الخير مختلف ، وقولهم فى الشر واحد ، فلما رأيناهم قد فات فيهم الفوت ، وأنهم قد قدر الله عليهم الموت رددناهم وقلنا : « نحن الساعة لكم نحاصر ، وهذا هو الأول فى الإنذار والآخر » فرجعوا متشبهين بفعلك ومعتقدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك ، ففى بعض ساعة من شأن المرشان ، وداخل الرهب الرهبان ، ولان للبلاء الفسطلان ، وجاءهم الموت من كل مكان » .

« وفتحناها بالسيف فى الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ، وقتلنا كل من أخرته لحفظها والمحاماة عنها ، وما كان أحد منهم إلا وعنده شىء من الدنيا ، فما بقى أحد منا إلا وعنده شىء منهم ومنها . فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيول ، وديارك والنهاية فيها تصول ، والكآبة فيها تجول ، وأموالك وهى توزن[2] بالقنطار ، وداماتك[3] وكل أربع منهن تباع ، فتشترى من مالك بدينار ، ولو رأيت كنائسك وصلبانها قد كسرت

(١) كذا فى الأصل بدون واو العطف التى أضفناها للايضاح .

(٢) فى الأصل « تورث » والواقع أن الناسخ يخلط أحيانا بين رسم الثاء والنون وقد سبق مثل هذا الخلط .

(٣) المقصود « الدمات » .

ونشرت ، وصحفها من الأناجيل المزورة قـد أثرت[1]، وقبور البطارقة قد بعثرت. ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القداس والمذبح ، وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس ، والبطارقة وقد دهسوا بطارقة ، وأبناء الملوك وقد دخلوا فى المملكة . ولو شاهدت النيران وهى فى قصورك تخترق ، والقتل بنار الدنيا قبل الآخرة تحـترق ، وقصورك وأحوالها قـد حالت ، و كنيسة بولص وكنيسة القسيان قد زلّت كل منها وزالت ، لكنت تقول : « ياليتنى كنت ترابا ، وياليتنى لم أوت بهـذا الخبر كتابا » ، ولكانت نفسك تذهب من حسرتك ، ولكنت تطفى تلك النيران بمـاء عبرتك . ولو رأيت مغانيك وقـد أقفرت من معانيك ، ومراكبك[2] وقد أخذت فى السويدية[3] بمراكبك ، فصارت سوانيك من من شوانيك، لتيقنت أن الإله الذى أنطاك[4] أنطاكية منـك استرجعها ، والرب الذى أعطاك قلعتها منك قلعها ، ومن الأرض أقتاعها . ولتعلم أنا قد أخذنا بحمد الله منك ما كنت أخـذته من حصون الإسـلام وهو : دير كوش ، وشقيف تلميس ، وشقيف كفردنين ، وجميـع ما كان من بـلاد أنطاكية ، [و][5] استنزلنا أصحابك من الصياصي وأخذناهم بالنواصى،وفرقناهم فى الدانى والقاصى، ولم يبق شىء يطلق عليه اسم العصيان إلا النهر ، فلو استطاع لمـا سمى بالعاصى، وقـد أجرى دموعه ندمًا ، وكان يذرفها عبرة صافية ، فهو أجراها بمـا سفكناه فيه دما » .

(١) فى الأصل « نشرت » .

(٢) استعمل المؤلف لفظ المراكب بمعنيين مختلفين .

(٣) فى الأصل « السوديه » والمقصود هو ميناء قريب من أنطاكية .

(٤) لفظ عامى شائع بمعنى أعطى ، وهو أنسب كما يريد الكاتب من الجناس .

(٥) الإضافة يقتضيها تركيب الجملة .

«و كتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة وطول العمر، بكونك لم تكن لك فى أنطاكية فى هذه المدة إقامة، و كونك ما كنت بها فتكون إما قتيلا، و إما أسيرا، و إما جريحا، و إما كسيرا. وسلامة النفس هى التى يفرح بها الحى، إذا شاهد الأموات، ولعل الله ما أخرك إلا لأن تستدرك من الطاعة والخدمة ما فات. ولما لم يسلم أحد يخبرك بما جرى خبّرناك، ولما لم يقدر أحد يباشرك بالبشرى بسلامة نفسك وهلاك ما سواها باشرناك بهذه المفاوضة و بشّرناك، لتتحق الأمر على ما جرى. و بعد هذه المكاتبة لا ينبغى لك أن تكذب لنا خبرا، كما أن بعد هذه المخاطبة يجب أن لا تسأل غيرها مخبرا[1]. »

قال: ولما وصل إليه هذا الكتاب اشتد غضبه، ولم يبلغه خبر أنطاكية إلا من هذا الكتاب.

ولما تسلم السلطان القلعة سلمها للأمير بدر الدين [بيليك] الخزندار والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى. وأما كندا سطبل فإن السلطان أطلقه وأطلق أهله وأقاربه، فاختار التوجه إلى سيس، ففسح له فى ذلك.

ذكر ملخص أخبار أنطاكية

ذهب المفسرون لكتاب الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون[2] ﴾ أن القرية أنطاكية.

---

(١) كذا فى الأصل ولا بأس به.

(٢) سورة يس آية ١٣.

وقال أصحاب الأخبار فيها : إن الملك انتيوخس قصد بناء مدينـة يعمرها لتكون نسبتها إليه ، فسير حُكَّاه ووُزراه[1] لاختيار مكان يكون طيب الهواء والمـاء ، قريبا من البحر والجبل ، فوجدوا هذا المكان . فاختاروه لأنه جبلي بحرى[2] يحكم عليـه الهواء الغربى ، وعيون المـاء العذبة حوله ، والبحيرة الحـلوة شرقيـة ، والبحر المقلوب ، وهو العاصى ، خارج سورها وعليه طواحينها ، وفيه المراكب تحمل الغلات إليها وغير ذلك . فعرفوا ملكهم هـذه الصفات ، فأمر ببنائها ، وأخرج النفقات ، وطلبوا حجـرا جيدا لبنائها ، فوجدوه فى مسافة يومين منها . فاستخدم لهـا من الرجال و البنائين ثمانين ألف رجل وثمانمائة رجل ، ومن العجل ستمائة عجلة ، وألف وتسعمائة حمار ، ومائة زورق لنقل الحجارة ، خارجا عمـا فى ميناه السويدية من العجل والرجال والزوارق التى تحمل الرخام والعمد والقواعد . فنجزت فى ثلاث سـنين ونصف ، وبنيب أسوارها وأبراجها وهى مائة وثلاثة وخمسون برجا ، ومائة وثلاثة وخمسون بدنة ، وسبعة أبواب ، منها خمسة كبار وبابان صغارا[3] . وجعل فيها سبع عوادى ترمى إلى النهر عنـد الوادى المسمى الحسكروت[4] ، وجُعل منه باب فى الجبل ينزل منه إلى المـدينة ، وعليـه قناطر يعبر الناس عليه[5] ، وإذا امتلأ يخرج من تحت السـور ، وساقوا المـاء إليهـا[6] فى قناتين : البوليط[7] والعاوية[8] .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل « جبلها بحريا » بالنصب وحقه الرفع .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) الضمير يعود على الوادى .

(٦) الضمير يعود على المدينة .

(٧) كذا فى الأصل .

(٨) كذا فى الأصل .

ولما فرغت حضر الملك إليها ورآها، فأكرم الصناع ومد لهم طعاما ثلاثة أيام، وأمر ببناء الأدر والدكاكين، فشرع الناس فى بنائها، ووهب كل من يحضر إليها و ينزل حولها خراج ثلاث سنين، و بنى الكنائس و بيوت عباداتهم فاجتمع العالم إليها .

واتفق أن الملك جلس فى بعض الأيام وهو مسرور فرح، فقال له وزيره : «لو عرفت ما أنفقت فى هذه المدينة ما كنت تفرح» فاستيقظ لنفسه، وأمر بعمل حساب ما أنفق فيها سوى الضيافات والجوامس التى أخذت من المروج والبهائم بغير ثمن، فجاءت أربعة آلاف قنطار وخمسين قنطارا ذهبا، فعظم ذلك عنده، وأمسك عن العمارة، وشرع فى بناء مدائن تغل، فبنى سبع مدائن، وأسكن الناس فيها . واستمرت فى يد الملك، ومن ملك بعده، وعمارتها تتزايد، وكل ملك يؤثر بها تأثيرا، ويجدد بها طلسما إلى أن ظهر المسيح عليه السلام .

وما زالت فى يد الروم إلى أن فتحها المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كما قدمناه فى خلافته . ولما ولى معاوية بن أبى سفيان نقل إلى أنطاكية فى سنة اثنتين وأربعين جماعة من الفرس وأهل بعلبك وحمص، وكان منهم : مسلم بن عبد الله جد عبد الله بن حبيب بن مسلم الأنطاكى . ولم تزل بيد عمال الخلفاء فى الدولتين الأموية والعباسية، ثم استقرت فى يد بنى حمدان . فلما مات سيف الدولة ابن حمدان اتفق أهلها أنهم لا يمكنون أحدا من الحمدانية يدخلها، وولوا شخصا يسمى بغلوش الكردى، وكان قد ورد الغزاة من خراسان نحيبة آلاف رجل فأمسكهم وتقوى بهم واشتد أمره، وكان منهم رجل أسود

من الصعاليك يعرف بالزعلى[1] قـد جمع طائفة وسموا نفوسهم بالغزاة . فدخل يوما عليه للسلام، فقتل الكردى وهرب أصحابه ، واستولى الأسود على المدينة هو ومن معه . وكان فى بغراس نائب للروم اسمه ميخائيل البرجى و بطرس . فحضرا إليها فى جمع كبير، فعجز المسلمون عن حفظها لاتساعها، فملكها الروم فى يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى الحجـة سنة ثمـان وخمسين وثلثمائة . فطرح المسلمون النار بينهم و بين الروم، وفتحوا باب البحر وخرجوا منه. وأسر الروم جميع من كان بها من المسلمين، فقوى الروم بفتحها، وتوجهوا إلى حلب فصالحهم أهلها وأهل حمص على مال يحمل فى كل سـنة إلى ملك الروم وهو عشرة قناطير ذهبا ، ومن كل مسلم دينار سوى ذوى العاهات ، وأقامت إلى سنة ست وستين وثلثمائة، فسير جعفر بن فلاح غـلامه « فتوحا » إلى أنطاكية فحاصرها خمسة أشهر فـلم يظفر بهـا . وحدثت فى هذه السـنة زلزلة عظيمة هدمت قطعة من سورها فأنفذ ملك الروم ثانيا ، اثنى عشر ألف دينارا وصناعا[2] لإصـلاح ذلك ، فبنيت أحسن ما كانت . و بنى قلعتها لاون بن الفقاس وحصنها ، وكان فى خدمته جماعة من الأرمن ، ومات فكمل عمارتها المـلك بسيل[3] وهو الذى وجد له لمـا مات سـتة آلاف قنطار ذهبا ، ولمـا ولى كان فى حاصل بيت المـال أربعة قناطير لاغير ، وهو الذى ملك أرجيش من بلاد أرمينية فى سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان ملكه تسعا وأربعين سنة وأحد عشر شهرا . و بقيت فى أيدى الروم إلى أن فتحها الملك سليمان بن قتلمش السلجقى فى سنة سبع وسبعين وأربعمائة على ما أوردناه فى

(١) كذا فى الأصل والأذن تفضل الغين المعجمة .

(٢) فى الأصل « وصناع » بالرفع وحقه النصب .

(٣) المقصود هو الإمبراطور البيزنطى Basile

أخبار الدولة السلجقية، وبقيت فى يده إلى أن قتل فى سنة تسع وسبعين وأربعمائة، فصارت بيد وزيره الحسن بن طاهر الشهرستانى يتولى أمرها . فلما استرد السلطان ملكشاه بلاد الشام استردها وضمها إلى الوزير المذكور ، فأقام بها إلى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، ثم فارقها [الوزير] ودخل الروم ، فسلمها لباغى شيان بن ألب [أرسلان] وكانت بنته متزوجة للملك رضوان صاحب حلب .

وحدثت زلزلة بأنطاكية فى التاسع عشر من شعبان سنة أربع وثمانين وأربعمائة خربت دورها وأهلكت خلقا كثيرا ، ورمت من أبراجها نحو السبعين برجا ، فتقدم السلطان بعمارة ما انهدم فى سنة خمس وثمانين .

واستمرت أنطاكية بيد ملوك الإسلام إلى أن ملكها الفرنج فى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة على ما قدمناه . وكان قد اجتمع عليها جماعة من ملوك الفرنج والملك الكبير المشار إليه منهم اسمه كندفرى ، فقرر أن كل ملك من الملوك يحاصرها عشرة أيام ، ومن فتحت فى نوبته فهى له ، ففتحت فى نوبة ملك منهم اسمه ميمون[1] . فلما اتصل ذلك بملوك الإسلام بالشام اجتمعوا ومقدميهم ظهير الدين طغرتكين صاحب دمشق ، وجناح الدولة حسن صاحب حمص ، وكربغا صاحب الموصل ، وحاصروا أنطاكية ، وكان الفرنج فى قل ، فسألوا الأمان ليخرجوا منها فلم يجيبوهم ، ووقع تنافس بين المسلمين فخرج الفرنج إليهم فانهزموا من غير قتال . وبقى ميمون مالكها حتى كسره الدانشمند وأسره وقتل أكثر عسكره ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، فاشترى نفسه بعد ذلك بمائة ألف دينار ، واستخلف ميمون فيها ولد أخيه طنكرى ،

(١) كذا فى الأصل وعادة الناسخ أن يرسم الاسم « بيمند » ماعدا هذه المرة .

وركب فى البحر وسار إلى بـلاده ليستنجد الفرنج ويعود ، فأهلكه الله تعالى . واستمر طنكرى مالكا لأنطاكيـة وأعمالهـا إلى أن أهلكه الله تعـالى فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة ست وخمسمائة ، وملكها بعده روجار . وكان طنكرى[1] قد استدعاه من بلده وجعـله ولى عهده ، وهو الذى حضر الى بيت المقدس فى ملك بغدوين ، وكان بغدوين شيخا كبيرا ، فاجتمعا بالبيت المقدس وقررا عهدا : أن من مات منهـم قبل الآخر انتقـل ملكه إلى الباقى منهما . وتزوج روجار بنت بغدوين ، فقتل روجار فى حرب كانت بينه وبين نجـم الدين إيلغازى بن أرتق فى يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . فقتل روجار[2] وجميع من معه ، فسار بغدوين إلى أنطاكية وملكها ، وأقام بها إلى أن وصل شاب ، فى ثامن عشر شهر رمضان سـنة ست وعشرين وخمسمائة ، من الفرنج فى البحر وادّعى أنه ميمون بن ميمون الذى كان صاحب أنطاكية ، فسلم بغدوين أنطاكيه له فملكها . وكان شجاعا مقداما ، وأقام بهـا إلى أن سار نحو الدروب فلقيه ابن الدانشمند فكسره وقتل جماعة من عسكره بأرض عين زربة ، وذلك فى نصف شهر رمضان سـنة أربع وثلاثين وخمسمائة . وملك بعـده الأبرنس ، ولقى الملك العادل نور الدين محمـود بن زنكى على حصن الأكراد فى شهر رجب سـنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فكُسِر المسلمون وقتل جماعة منهـم ، واستولى الفـرنج على أثقالهم . فجمع نور الدين العساكر ، والتقاه فى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من صفر سنة أربع وأربعين وخمسمائة فقتله وقتل فرسانه واستولى على خيامه . وولى أنطاكية بعـده الأبرنس أرناط ، فأقام إلى أن لقيه مجد الدين أبو بكر نائب

(١) فى الأصل « صنكى » والمقصود طنكر بد النورمندى .

(٢) كرر هذه الجملة وكان يكفى أن يكرر الفعل ولذا بدت العبارة ثقيلة مكررة المعنى .

الملك العادل فى المملكة الحلبية ، وذلك فى صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة فكسره وقتل أصحابه وأخذه أسيرا ، فأقام فى حبس الملك العادل . وملك أنطاكية وهو فى الأسر رجل من ذريته اسمه بيمند[1] وخلص أرناد[2] ، وتزوج صاحبة الكرك وأقام بالحصن حتى ملكه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وقتله .

وفى سنة أربع وثمانين وخمسمائة عقد السلطان الملك الناصر الكبير مع بيمند صاحب أنطاكية هدنة لمدة ثمانية أشهر من تشرين الأول إلى آخر آيار ، وحلفا على ذلك ، ورحل الناصر عنها وتوجه إلى حلب على ما ذكرناه فى أخباره . ثم ملكها الأبرنس المعروف بالأسير ، وملكها ابنه من بعده ، ثم ملكها بيمند ولده أيضا ، وهو الذى أخذت منه الآن فى الدولة الظاهرية .

هذا تلخيص خبر أنطاكية من حين عمرت إلى حين فتحت هذا الفتح .

ذكر ما اعتمده السلطان فى قسمة غنائم أنطاكية وإحراقه قلعتها وما افتتحه مما هو مضاف إليها وهو : دير كوش وشقيف كفردنين وشقيف كفر تلميس[3]

قال : ولما فتحت أنطاكية وفرغ الناس من نهبها ، رسم السلطان بإحضار المكاتب للقسمة ، وركب وأبعد عن الخيام ، وحمل ماغنمه وما غنمه مماليكه

---

(١) هكذا يرسم الناسخ عادة اسم بيمند .

(٢) كذا فى الأصل بالدال والأشهر الرسم بالطاء .

(٣) فى الأصل « بليس » والتصحيح من نص خطاب بهرس إلى صاحب أنطاكية (راجع السلوك (جـ ١ ص ٥٦٨) .

وخواصه . وقال للأمراء : « ينبغى أن تخلصوا ذمتكم وتحضروا[1] ما غنمتموه ، وأنا أحلف الأمراء والمقدمين ، وهم يحلفون أجنادهم ومضافيهم » . فأحضر الناس الأموال والمصاغ من الذهب والفضة ، فطال الوزن ، فقسمت النقود بالكاسات والشربوشات[2] ، ولم يبق غلام إلا أخذ . وتقاسم الناس النسوان والبنات والأطفال ، وبيع الصغير بأثنى عشر درهما ، والجارية بخمسة دراهم . وباشر السلطان القسمة بنفسه ، وما ترك شيئا حتى قسمه من الأموال والقماش والمصوغ والدواب والمواشى . ثم ركب إلى قلعة انطاكية وأحرقها وعم الحريق أنطاكية .

وكان صاحب طرابلس قد استولى عند أخذ التتار حلب على دير كوش ، وهو من أمنع الحصون ، وعلى شقيف كفردنين وعلى شقيف[3] كفر تلميس ، وكانت هذه الحصون شجى فى حلق المسلمين . فلما فتحت أنطاكية انقطعت حيلة هذه الحصون فطلبوا الأمان ، على أنهم يسلمون الحصون ويؤسرون ، فسير الأمير بدر الدين بيليك الأشرفى الظاهرى ، فتسلم دير كوش فى ليلة الجمعة حادى عشر شهر رمضان ، وتسلم بقية هذه الحصون .

---

(١) فى الأصل (تخلصون وتحضرون) بأثبات النون فى المرتين .

(٢) فى الأصل « الشربات » والسياق يقتضى ذكر ما ينفع فى الكبل والأرجح « شربوشات » وهى قلانس طويلة تلبس بدل العمامة وقد تستعمل للكبل عند الضرورات كما قد تستعمل الطاقية للشرب فى الريف .

(٣) فى الأصل « كفربلس » راجع ما تقدم فى صدر هذا الخبر .

ذكر صلح القصير على المناصفة (١)

كان القصير للبطرك الكبير خاصة، وزعموا أن بأيديهم خط عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما نزل السلطان فى هذه الجهات بذلوا نصف البلاد للسلطان ، فكتبت لهم هدنة ، وأنضاف إلى مملكة الإسلام نصف بلاد القصير .

ذكر فتوح حصن بغراس من الديوية (٢)

قال : ولما فتح الله تعالى هذه الحصون والجهات على السلطان ولم يبق بتلك الجهات سوى بغراس ، خاف من بها من الديوية ، فانهزموا وتركوه . فجهز السلطان الأمير شمس الدين أقسنقر [الفارقانى] أستاد الدار العالية بعسكر فتسلمه فى يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان من السنة ، ولم يجد به سوى امرأة عجوز ، ووجده عامرا بالحواصل والذخائر .

وقال البلاذرى : كانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها فى سبيل البر ، ولما قصد المسلمون غزاة عمورية صحبة مسلمة ، حمل هو والعسكر النساء معهم للجد فى القتال . فلما صاروا فى عقبة بغراس عند الطريق المستدقة التى تشرف على الوادى سقط جمل عليه امرأة ، فأمر مسلمة النساء أن يمشين ، فسميت تلك العقبة عقبة النساء . قال : وكان فى تلك الطريق سباع لا يسلك فيها بسببها ، فشكا الناس ذلك إلى الوليد بن عبد الملك فبعث أربعة آلاف جاموسة وخولها ، فانكفأت السباع . ثم بناها بعد ذلك وحصنها أتم تحصين

---

(١) ذكر السلوك الجلاء عن القصير عام ٦٧٩ هـ وأهمل أخبار الإجلاء الأخرى ، راجع السلوك (ج ١ ص ٦٢٠) .

(٢) راجع السلوك (ج ١ ص ٥٧٠ ص ١٦ — ١٨) .

الملك نقفور ملك الروم الذى خرج إلى بلاد الإســلام فى آخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة وقتل وسبى . ولمـا بنى هـذا الحصن ، الذى هو حصن بغراس . رتّب فيه نائبا له يعرف بالبرجى ، ورتب معه ألف رجل ، وحصن بغراس. ثم ملكه[1] الفرنج وما زالوا يتداولونه ويحصنونه على طول المـدد ، إلى أن ملكه السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب ، فى ثانى شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، على ما قدمناه ، ثم ملكه الديوية بعد ذلك .

ذكر الإغارة على صور

كانت قد تقررت مهادنة بين السلطان وبين صاحب صور ، فلما توجهت الرسل إليه حلف على بعضها[2] ، وأسقط فصولا لم يحلف عليها . فلما كان السلطان بالشام ، فى سنة سبع وستين وستمائة ، ووقفت له امرأة ذكرت أنها كانت أسيرة فى صور ، وأنها اشـترت نفسها ثم قطعت على بنت لهـا قطيعة ، وحصلت من أوقاف دمشق مبلغا اشترتها به من صور بمكاتبة عليها خط الفرنج ، ولمـا خرجت بها إلى قرب بلاد صفد سير خلفها جماعة من صور أخذوا البنت منها ونصّروها . فلما سمع السلطان كلامها غضب لله تعالى ، وكتب يطلب هذه البنت ، فاعتذروا بأنها تنصرت . وكان بالنواقير من جهة صفد جماعة [من المسلمين[3]] سـيّر صاحب صور أمسكهم وقتـل منهم نفرين واعتقـل الباقين . وطلبهم السلطان

(١) فى الأصل « ملكها » والإشارة هنا إلى بغراس بالمذكر مرة وبالمؤنث مرة فى الأصـل على أساس أنه حصن بغراس أو قلعة بغراس .

(٢) الضمير يعود على المهادنة التى عقدت فى رمضان عام ٦٦٥ (السلوك جـ ١ ص ٥٥٩) وهى المهادنة التى قضت بعد سنتين . راجع السلوك (جـ ١ ص ٥٧٩) .

(٣) الإضافة ضرورية للإيضاح .

فأصروا على منعهم ، فركب السلطان فى العشرين من شهر رمضان ، وساق بنفسه ومن معه من العسكر الخفيف ، وتوجه الأمير جمال الدين المحمدى من جهة ، والأتابك من جهة ، ووصلوا إلى صور ، فأمسكوا جماعة من الرجال والنساء والصغار ، وهرب فى ذلك الوقت مملوك للأمير جمال الدين أقش الرومى فنصّره صاحب صور لوقته . وطُلب منه فدافع عنه ، وأمسك السلطان عن إتلاف زرعه ورد الحريم والأطفال ورجع إلى المخيم وأمهل عليه مدة ، فلما استمر على منع البنت والمملوك ، جرد السلطان جماعة لاستغلال بلاده .[1]

ذكر الإغارة على بلاد كركر[2] وأخذ قلعة شرموشاك

وفى هذه السنة توجهت الغيارة من البيرة وغيرها إلى جهة كركر فأحرقوا بلدها وأخذوا مواشى ، وتوجهوا إلى قلعة بين كركر والكختا[3] اسمها شرموشاك ، فزحفوا عليها وأخذوها وقتلوا رجالها ونهبوا من المواشى شيئا كثيرا ، وأخرجوا من الفلاحين إلى البلاد السلطانية خلقا كثيرا ، وأخذ الخمس من الغنيمة للديوان ورسم بترتيب الناجمين فى البلاد الحمصية والشيزرية وجهات أنطاكية .

ذكر الإغارة على عكا

وفى سنة ثمان وستين وستمائة ، توجه السلطان جريدة إلى الشام ، وكان الفرنج بعكا اعتمدوا أشياء لا يصبر عليها : منها أن أربعة من مماليك السلطان

(١) استعمال نادر بمعنى استنهاب .

(٢) فى الأصل « كزكر » وراجع السلوك (جـ ١ ص ٥٧٩ س ٩ — ١٠) والمكان قلعة على الفرات بين آن وملطية والاسم بالفرنجية Gargar .

(٣) الكختا قلعة قديمة على نهر كختا : قرب ملطية (السلوك جـ ١ ص ٥٧٩ حاشية ٥) .

هربوا ودخلوا عكا ، فلما طلبهم منهم طلبوا العوض عنهم ، فأنكر السلطان ذلك عليهم ، فنصّروهم ، وذلك فى سنة سبع وستين . فكتب السلطان إلى النواب بوقوع الفسخ ، فأغار عليهم الأمير جمال الدين أقش الشمسى فقتل وأسر منهم جماعة . واتفقت حركة للسلطان إلى الحجاز فأطلق الذين أسروا ، وعوّق[1] رسل الفرنج على إحضار المماليك ، وأطلق منهم وزير الإستبار خاصة ، لأنه كان يخدم السلطان . فلما كان فى هذه السنة بلغ السلطان أن الفرنج وصل إليهم سفائن من جهة الريدراكون[2] ، أحد ملوك الغرب ، فيها جماعة من أصحابه وأقاربه وكتبه ، يقول فيها: أنه واعد أبغا بن هولاكو أنه يوافيه بالبلاد الإسلامية ، وأنه[3] واصل لمواعدته [من جهة سيس فى سفن كثيرة][4] ، فأرسل الله تعالى ريحا مزعجة كسرت عدة من سفائنه ولم يسمع لهم خبر. وأما أهل عكا فإنهم خرجوا هم ومن وصل إليهم من الغرب إلى ظاهر عكا ، وخيموا وصاروا يركبون [وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جينين وعسكر صفد[5]] ، وبلغهم أن السلطان وصل جريدة فتوهموا أنه لا يقصدهم . واتفق أن السلطان خرج متصيدا إلى جهة الحارسة ، وعاد مسرعا وتوجه على أنه يتصيد فى مرج برغوث[6]. ولما وصل فى أثناء الطريق إلى برج الفلوس[7] سير الأمير عز الدين معن الظاهرى السلاح دار لإحضار السلاح

(١) اللفظ بمعنى احتجز تعليقا لشىء على شىء .

(٢) المقصود الريدراكون البرشلونى (راجع السلوك جـ ١ ص ٥٨٤ حاشية ٥) .

(٣) الضمير هنا يعود على ملك ارغونة وقاعدة ملكه برشلونة (نفس الموضع) .

(٤) الإضافة هنا لاظهار الموضوع وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٥٨٥) .

(٥) الإضافة هنا للافادة . نقلا عن السلوك (نفس الموضع)

(٦) موضع بين دمشق وجسر يعقوب السلوك (جـ ١ ص ٥٨٥ حاشية ٣) .

(٧) كذا فى الأصل .

وسير الأمير ركن الدين إياجى لإحضار العسكر الشامى كله ، فتكامل الناس عنده فى مرج برغوث ، فى بكرة نهار الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر ربيع ، وركب وساق فوصل جسر يعقوب عشية النهار ، وساق فأصبح الصبح وهو بأول المرج. وكان قد سير إلى الأمير جمال الدين الشمسى مقدم عسكر عين جالوت ، والأمير علاء الدين أيدغدى مقدم عسكر صفد بالإغارة فى ثانى وعشرينه ، وأنهم ينهزمون قدام الفرنج . فخرج جماعة من الفرنج مقدمهم كندلوفير[1] المسمى زيتون ، وفيهم أقارب الريدراكون وغيرهم ، ودخل السلطان الكمين . فعندما خرج الفرنج لقتال العسكر الصفدى تقدم الأمير عز الدين إيغان الركنى ، وبعده الأمير جمال الدين الحاجبي، ومعهما أمراء الشام. وساق قدام السلطان الأمير شمس الدين أيتمش السعدى ، والأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس ومعهما مقدموا الحلقة . وقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال، وأمسك الأمير عز الدين إيغان فارسا اسمه ريمون[2] دكوك . وأما السلطان ومن كان قدامه من الأمراء ، فما وصلوا إلى الأمراء المتقدمين إلا والعدو قد انكسر فلم يحصل لهم اختلاط . وكان القتال شديدا تماسكوا فيه بالأيدى ، وأمكن زيتون فحال العسكر بينهم وأخذوا عليه وعلى أكابر الفرنج حلقة وقتل أخو زيتون، وابن أخت الريدراكون، وجماعة من الخيالة ، ونائب فرنسيس[3] بعكا ، ولم يعدم من عسكر الإسلام إلا الأمير فخر الدين الطونبا الفائزى . وعاد السلطان ورءوس القتلى بين يديه إلى صفد، وتوجه منها إلى دمشق ، فدخلها فى يوم الأحد سادس وعشرين الشهر، والأسرى والرءوس بين يديه .

(١) ، (٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل « فرسيس » وراجع السلوك (ج ١ ص ٥٨٥) .

ذكر فتوح قلعة صافيتا[1]

وفى سنة تسع وستين وستمائة، توجه السلطان من الديار المصرية فى عاشر جمادى الآخرة وصحبته ولده الملك السعيد ، ودخل الملك السعيد إلى دمشق فى ثامن شهر رجب ، وخرج هو والأمير بدر الدين الخزندار من جهة القطيفة . وكان السلطان قد توجه من جهة بعلبك وتوجه إلى طرابلس ، فقتل من رعاياها وأسر، واتصلت الغارة بصافيتا ، فطلب من فيها الأمان، ثم نكثوا، فرحل عنهم السلطان وأنزل جماعة حولهم . فسير كندور[2] أنطرطوس إلى السلطان يشفع فى الإخوة الديوية بصافيتا ، على أنه يأمرهم بالتسليم . فأجابهم السلطان إلى ذلك، فأرسل إليهم فنزلوا ، وكانوا سبعمائة رجل ، خارجا عن النساء والأطفال ، وأحضروا إلى السلطان وهو على حصن الأكراد ، فأطلقهم وجهز معهم من أوصلهم إلى مأمنهم ، وتسلم السلطان صافيتا وبلادها ، وتسلمت الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد ، مثل تل خليفة وغيره .

وقد ذكرنا ما كان قد وقع من المهادنة على حصن الأكراد والمرقب ، ثم انفق من بيت الإسبتار أمور[3] أوجبت فسخ الهدنة : منها أن السلطان لما أغار على طرابلس فى سنة ست وستين وستمائة ، وكتب إلى النائب بحمص بأن يقيم بحدود حصن الأكراد لدفع الضرر عن بلاد الهدنة ، وكتب إلى عدة جهات بالوصية بهم ، وحضر رسول حصن الأكراد يسأل الوصية ، فأعطاهم علما برنكه .

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٥٩٠) .

(٢) اصطلاح فرنجى بمعنى مقدم .

(٣) فى الأصل « أمورا » بالنصب وحقه الرفع .

ولما عبرت الأثقال من جهة القصب ، عبر أحد الحرافشة ومعه رفقة له على بستان بقرب تل خليفة المجاور للحصن[1] فأخذوا منه شيئا لا قيمة له ، فأخذهم المقدم [الفرنجى][2] بتل خليفة وضرب رقاب بعضهم وأسر البعض . فنزل النائب بحمص على تل خليفة وطاب الخصوم . فامتنع النائب بها عن تسليمهم وقال : « أنا قتلت » ، وأساء فى القول . فحاصرهم [نائب حمص] وسير إليهم شجاع الدين عنبر[3] ، فاحتال إلى أن استنزل الخصوم ، وسيروا إلى السلطان . فحضرت رسل من حصن الأكراد تطلبهم ، فأجابهم السلطان إنه لابد من تحقيق هذه الواقعة ؛ فقوت نفوس الذين فى الحصن . وغلّق النائب [الفرنجى][2] باب الحصن ومنع الميرة ، وألبس جماعة العدد .

ولما رجع السلطان من طرابلس عند توجهه إلى أنطاكية ومرّ تحت الحصن متوجها إلى حمص ، فسيّر يقول : « ما كان ينبغى لكم تعبرون من ههنا إلا بأمرى » . وقيل لهم : « لأى معنى غلقتم الأبواب ولبستم العدد ، وأنتم صلح ؟ » . فقال : « ما غلقناها إلا شفقة على عسكر السلطان من الفرنج الغرب الذين عندنا ، لأنهم لا يخافون الموت » . فعزّ ذلك على السلطان لأن الغرب الذين عنده عدتهم دون المائة نفر . وكان هذا الأمر مقدمة انحراف السلطان عليهم ؛ وبقى ذلك فى خاطره . فلما توجه إلى الشام جريدة فى سنة ثمان وستين وتوجه إلى حماة ثم رحل عنها فى ثالث جمادى الآخرة توجه إلى حصن الأكراد

(١) إذا قيل الحصن دون وصف آخر فهو حصن الأكراد .

(٢) الإضافة للتحديد لأن المؤلف يطلق الألقاب الغربية على ولاة الحصون الفرنجية .

(٣) فى الأصل « بختر » وهى عبارة عن الحرف عين مع زلومة خرطومية زخرفية ، ويتكرر من مثل هذا الرسم .

بمقدار ما تحتى فارس بغير عدة ، وصعد جبل الحصن فى أربعين فارسا ، فخرج له جماعة من الفرنج ملبسين ، فحمل عليهم وكسرهـم ، وقتل منهم جماعة ووصل إلى الخندق ، وقال — وهو متنكر لايعرف من هو — : « قولوا لذلك الرسول الذى حضر سنة طرابلس يخلّى الفرنج الغرب يخرجوا ، فما نحن أكثر من أربعين فارسا بأقبية بيض (١) » . وعاد إلى مخيمه ، وَرَعَتْ الخيول المروج والزروع ، فكان ذلك أحد أسباب الإستيلاء على الحصن لأنه ليس له مادة إلا من زرع بلده . فلما توجه السلطان ، فى سنة تسع وتسعين وستمائة إلى الشام ، وأغار على طرابلس كما قدمنا نازل حصن الأكراد ، فى تاسع شهر رجب من السنة وملك أرباض الحصن فى العشرين منه ، وحضر الملك المنصور صاحب حماة ، فتلقاه السلطان وترجل لترجله ، وساق السلطان تحت صناجق صاحب حماة بغير جمدارية ولا سلاح دارية أدبا معه ، وسير إليه دهليزا أمره بنصبه . ووصل الأمير سيف الدين صاحب صهيون ، والصاحب نجم الدين صاحب الدعوة . وفى أواخر شهر رجب ، تكمل نصب عدة مجانيق ، وفى سابع شعبان ، أخذت الباشورة بالسيف ، وفى سادس عشر الشهر ، تشقق برج من أبارج القلعة ، وزحف العسكر وطلع الناس إلى القلعة وتسلموها ، وطلع الفرنج القلعة (٢) [الأخرى] وأحضرت جماعة من الفرنج والنصارى ، فأطلقهم السلطان ، ونقلت المجانيق إلى القلعة ونصبت على القلة . وكتب السلطان كتابا على لسان مقدم الفرنج

---

(١) كذا فى الأصل بالعامية .

(٢) الإضافة للايضاح ذلك أن السرد يفترض وجود قلعتين سلمتا الواحدة بعد الأخرى ومثل هذا المعنى يرد فى السلوك (جـ ١ ص ٩١٥ س ٢ — ٣) ومتن السلوك واضح لأنه يسمى إحدى القلعتين بالحصن ، و يقابل ذلك فى هذا المتن تسميه إحدى القلعتين بالقلة .

بطرابلس إلى من بالقلعة يأمرهم بالتسليم . ثم طلبوا الأمان ، فكُتب لهم أمان على أنهم يتوجهون إلى بلادهم . وفى يوم الثلاثاء رابع عشرين شعبان ، خرج الفرنج من القلعة وجهزوا إلى بلادهم ، وتسلم السلطان الحصن . ورتب الأمير صارم الدين الكافرى[1] نائبا بحصن الأكراد ، وفوض أمر عمارة الحصن إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم وعز الدين أيبك الشيخ .

وهذا الحصن كان قديما بيد المسلمين ، فلما نازل صنجيل طرابلس كان يشن الغارات على هذا الحصن وما قاربه من الحصون ، ثم قصده فى سنة ست وتسعين وأربعمائة وحاصره وضيق على من به وأشرف على أخذه ، فاتفق قتل جناح الدولة صاحب حمص فطمع فيها ورحل عنه . وهلك صنجيل وملك ابنه ، فجرى على عادة أبيه فى أذية أهل هذا الحصن و إفساد أعماله ، ثم فارقه وتوجه لحصار بيروت . فجاء طنكلى[2] صاحب أنطاكية ونازله ، وأهله فى غاية الضعف ، فسلمه صاحبه إليه ، وكان يرجو أنه يبقيه فيه لأنه اختاره على صنجيل فأنزله وأهله منه ، وأخذه صحبته ، ورتب فيه من يحفظه من الفرنج ، وحكى ذلك ابن عساكر .

وذكر ابن منقذ فى كتاب البلدان أن : نور الدين محمود بن زنكى ، رحمه الله تعالى ، كان قد عامل بعض رجالة التركمان المستخدمين من جهة الفرنج بهذا الحصن ، على أنه إذا قصده نور الدين يثور هو وجماعة من أصحابه فى الحصن و يرفعون علم نور الدين على الحصن و ينادون باسمه . وكان هذا التركمانى له أولاد و إخوة قد وثق بهم الفرنج ، وكان الإتفاق

---

(١) يرد فى السلوك نفس الاسم صارم الدين قايماز الكافرى (ج ١ ص ٥٦٦ ، ٥٩١) ولعل الأفضل أن تقرأ الظافرى .

(٢) كذا فى الأصل و يرد فى المتن أحيانا صنكى وصنكرى وطنكرى .

بينه وبين نور الدين أن يقف على رأس الباشـورة ، فكتم نور الدين هذا الأمر عن أصحابه وتقدم أوائل العسكر النورى فرأوا التركمانى على الباشورة فرموه بالنشاب فمـات ، واشتغل أهله بوفاته ، فلم يـتم لنور الدين ما دبره . ولم يفتحه السلطان الملك الناصر صـلاح الدين . وكان فتحه على يد السلطان الملك الظاهر الآن .

ذكر صلح أنطرطوس والمرقب[1]

قال : وسأل كندور[2] أنطرطوس ومقدم بيت الإسبتار السلطان على الصلح، فأجابهـم على أنطرطوس خاصة ، خارجا عن صفيتا و بلادهـا ، وعلى المرقب . واسترجع منهـم بلدة وأعمالها وما أخذوه فى الأيام الناصرية ، وعلى أن جميـع مالهم من المناصفات والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه . وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان و بين بيت الإسبتار، وعلى أن لاتجدد عمارة بالمرقب ، وحلف لهم السلطان على ذلك ، وتوجه لتحليف المقدم المذكور بأنطرطوس الأمير فخر الدين المقرى الحـاجب ، وأخلى الفرنج برج قرميص[3] ، وأحرقوا مالا أمكنهم حمله من موجودهم ، وتسلم البرج المذكور فى هذه الأيام، وكذلك البرج الذى فى بلدة هـدم الفرنج بعضه وحرقوه ، ورسم السلطان بهـدم باقيـه[4] .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩١) .

(٢) هو مقدم بيت الداوية بحسب حواشى الدكتور زيادة على الخبر الموازى (فى السلوك فى نفس الموضع) .

(٣) كذا فى الأصل وقد ورد فى فهرست أعلام السلوك « قرفيص » .

(٤) فى السلوك (ج ١ ص ٥٩٢) أن الفرنج أخلوا عدة حصون تسلمها السلطان .

ذكر فتوح حصن عكّار[1]

قال : ولما رتب السلطان أمور حصن الأكراد توجه إلى حصن عكار ونازله ، فى يوم الأربعاء سابع عشر رمضان ، ورتب طلوع المجانيق ، وركب بنفسه على الأخشاب فوق العجل فى تلك الجبال إلى أن أوصلها إلى مكان نصبت به ، وشرع فى نصب المجانيق الكبار فى العشرين من الشهر . وفى هذا اليوم ، استشهد الأمير ركن الدين منكورس الدوادارى ، وكان يصلى فى خيمته فجاء حجر منجنيق فمات ، رحمه الله تعالى . وفى التاسع والعشرين من الشهر ، طلب أهل الحصن الأمان ورفعت الصناجق السلطانية على أبراجه ، وفى يوم الثلاثاء سلخ الشهر ، خرج أهل حصن عكار منه ، وجُهزوا إلى مأمنهم ، وعيّد السلطان بالحصن ، ورحل إلى مخيمه بالمرج .

وهذا الحصن يعرف بابن عكّار ، وكان بيد المسلمين ، فلما ملك الفرنج طرابلس وغيرها ترددت الرسائل بينهم وبين طغتكين وهو بحمص ، فوقع الاتفاق على أن يكون للفرنج ثلث بلاد البقاع و تسلمون حصن المنيطرة[2] وحصن عكار ، والا يتعرضوا إلى البلاد بغارة . وتقرر معهم أن مصياف وحصن الوادى وحصن الطوبان وحصن الأكراد فى الصلح ، ويُحمل إلى الفرنج مال عنها . فلما تسلم الفرنج الحصنين عادوا إلى ما كانوا عليه من الغارات ، وصار هذا الحصن لما تسلمه الفرنج من أضر شىء على المسلمين المارين من حمص إلى بعلبك ، ولم يكن

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٢) .

(٢) المنيطرة مصغر ، بالطاء مهملة حصن بالشام قريب من طرابلس (معجم ياقوت ج ٨ ص ١٨٦) .

له كبير ذكر فيما مضى، إلى أن وصل ريدافرنس[1] إلى الساحل بعد فكاكه من الأسر بمصر فرأه حصنا صغيرا ، فأشار على صاحبه الأبرنس أن يزيد فيه وهو يساعده فى عمارته ،فزاد فيه زيادة كثيرة من جهة الجنوب ، وهو فى واد بين جبال محيطة به من أربع جهاته .

ولما فتحه السلطان الملك الظاهر كتب إلى صاحب طرابلس ما مثاله بعد البسملة[2] :

« قد علم القومص يمند — جعله الله ممن ينظر لنفسه و يفكر فى عاقبة يومه من أمسه — نزولنا بعد حصن الأكراد على حصن عكار ، وكيف نقلنا المنجنيقات إليها فى جبال تستصعبها الطيور لأختيار الأوكار ، وكيف صبرنا فى جرها على مناكدة الأحوال ومكابدة الأمطار ، وكيف نصبنا المنجنيقات على أمكنة يزلق عليها النمل إذا مشى ، وكيف هبطنا تلك الأودية التى لو أن الشمس من الغيوم تُرى بها ما كان غير جبالها رشا ، وكيف صارت رجالك الذين ما قصرت فى انتخابهم ، وحسنت بهم استعانة نائبك الذى انتحى بهم[3] » .

وكتابنا هذا يبشرك بأن علمنا الأصفر نصب مكان علمك الأحمر ، وأن صوت الناقوس صار عوضه الله أكبر ، ومن بقى من رجالك أطلقوا ولكن جرحى القلوب والجوارح ، وسلموا ولكن من ندب السيوف إلى بكاء النوايح ، وأطلقناهم ليحدثوا القومص بما جرى ، ويحدثوا أهل طرابلس من أنهم يغترون بحديثك المفترى ، وليروهم الجراح التى أريناهم بها نفادا ، ولينذروهم لقاء يومهم هذا ،

(١) الإشارة إلى ملك فرنسا لويس التاسع الملقب بالقديس .

(٢) نص هذه الوثيقة نشره الأستاذ الدكتور زيادة فى السلوك (ملحق ٤ ص ٧٩٢ — ٩٧٣) معتمدا على نسخة « س » .

(٣) انتحى بمعنى انتحب ، وانتخى بإعجام الخاء بمعنى ملكته النجدة والشجاعة .

و يفهموكم أنه ما بقى من حياتكم إلا القليل ، وأنهم ما تركونا إلا على رحيل ، فَتَعَرَّف كنائسك وأسوارك أن المنجنيقات تسلّم عليها إلى حين الإجتماع عن قريب ، ونُعلّم أجساد فرسانك أن السيوف تقول إنها عن الضيافة لاتغيب ، لأن أهل عكار ما سدّوا لها جوعا ، ولا قضت من ريها بدمائهم الوطر ، وما أطلقوا إلا لما عاقب شرب دمائهم . وكيف لا ، وثلاثة أرباع عكار عكر . يعلم القومص هذه الجملة المسرودة[1] و يعمل بها ، وإلافيجهز مراكبه ومراكب أصحابه ، وإلافقد جهزنا قيودهم وقيوده .

وقال المولى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر :

يا مليك الأرض بشرا ك فقد نلت الإرادة
إن عكار يقينا هى عكا وزيادة

ذكر صلح طرابلس[2]

قال : ولما استقر أمر حصن عكار رحل السلطان من منزلته بالأرزونية هو وجميع العساكر والأثقال ، وساق على عزم حصار طرابلس ، فوردت الأخبار أن ملك الإنكتار وصل[3] إلى عكا ، فى أواخر شهر رمضان من هذه السنة ، وصحبته ثلاثمائة فرس ، وثمانى بطس وشوانى ومراكب تكملة ثلاثين مركبا ، غير ما كان سبقه صحبة استاد داره ، وأنه يقصد الحج . ففتر عزم السلطان ونزل

(١) قرأها ناشر السلوك « المسرودة » وقرؤها المرودية .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٢) .

(٣) هو البرنس ادورد الذى صار الملك ادورد الأول وصل أولا إلى تونس فلم يجد بها مجالا لموت الملك لويس التاسع فتحول إلى الشام انظر السلوك (نفس الموضع حاشية :) .

قريبا من طرابلس جريدة، وتردد الأتابك إلى جهة طراباس، والأمير سيف الدين الدوادار واجتمعا بصاحبها . وأراد السلطان قطع ما بقى من الأشجار ، فسير البرنس يطلب الصلح وخرج وزراؤه ، وكتبت الهدنة لمدة عشر سنين . وجهز السلطان فخر الدين بن جلبان ، وشمس الدين الاخنائى شاهد الخزانة ومعهما ثلاثة آلاف دينار مصرية لفكاك الأسرى . وتوجه السلطان إلى حصن عكار، ثم عاد إلى مخيمه بالأرزونية، ثم توجه إلى حصن الأكراد، ثم رحل فوصل إلى دمشق فى نصف شوال .

ذكر فتوح القُرين[1]

كان حصن القرين لإسبتار الأرمن[2] ، ولم يكن لهم بالساحل غيره ، وكان من أمنع الحصون وأضرها على صفد ، فتوجه السلطان إليه من دمشق، فى الرابع والعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة ، ووصل إلى صفد وجهز منها المجانيق وسار إلى القرين ونازله . و بينما السلطان واقف لنصب المجانيق وردت رسل عكار[3] . واتفق أن السلطان [كان[4]] يرمى نشابا على القلعة فمر به طائر فرماه فإذا فيه بطاقة من جاسوس فى العسكر للفرنج مضمونها أخبار السلطان ، وذلك بحضور الرسل ، فسلم السلطان الطائر لهم وقال : « استصحبوه معكم لتقرأ الفرنج

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٣) وذكر ناشر السلوك فى الحاشية أن الحصن كان للفرسان التيوتون وكان يسمى (Starkenburg) أو (Mont Fort) بمعنى التلة المحصنة

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل بدون راء و إثبات الراء ضرورى بحسب السياق .

(٤) الإضافة يقتضيها تركيب الجملة .

هـذه البطاقة ، ونحن نفرح بمن يخبركم بأخبارنا» . وفى مستهل ذى القعدة ملك الربض ، وفى ثانيه أخذت الباشورة ، وأخذت النقوب فى السور ، وشرط السلطان للحجارين عن كل حجر ألف درهم . واشتد القتال ، فحضر رسلهم ، وتقرر خروجهم وتوجههم حيث شاءوا ، وأنهم لا يستصحبون مالا ولا سلاحا . وكتب الأمان بذلك ، ورفعت الصناجق السلطانية عليها ، وركب السلطان وأصبح على أبواب عكا مُطِلّاً ، فما ترك أحد من الفرنج ، وعاد إلى مخيمه بالقرين ، وأمر بهدم القلعة ، فتكمل هدمها فى رابع وعشرين ذى القعدة من السنة .

ذكر صلح صور وما تقرر من المناصفة (١)

وحضرت رسل صاحب صور، وحصل الإتفاق على أن يكون لهم من بلاد صور عشرة بلاد خاصا ، وللسلطان خمسة بلاد يختارها تخصه ، وبقية البلاد مناصفة ، وحلف السلطان على ذلك . وجهز الرسل فحلّفوا صاحب صور على ما تقرر .

ذكر منازلة التتار البيرة وكسرهم على الفرات وقتل مقدمهم جنقر (٢)

وفى تاسع شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وستمائة وردت الأخبار بحركة التتار ، فجرد السلطان الأمير فخر الدين الحصى بجماعة من العساكر المصرية والشامية إلى جهة حارم ، ثم جهز الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيرى بجماعة

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٥ س ١ — ٣) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٥٦ — ٦٥٧) ولاحظ الاختلاف فى توقيت الشهر .

من العساكر وجماعة من العربان . وعدّى التتار إلى البر الشامى لقصد الرحبة فتقسم فكر السلطان ليقسمهم على البيرة والرحبة ، ورحل من ظاهر دمشق ، فبلغه رحيل العدو عن الرحبة ، فجدّ فى مسيره ووصـل إلى الفرات إلى مخاضة تعرف بمخاضة الحمام ، فوجد التتار قـد وقفوا على شط الفرات ، وعدتهم قريب الخمسة آلاف فارس ، ومقدمهم جقر[٢] أحد مقـدميهم الكبار وحفظوا فم المخاضة . وكان السلطان قـد استصحب عدة مراكب من دمشـق وحمص فرست فى الفرات ، وركب فيها الرجالة الأقجية لكشف البر . وعمل التتار مكيدة : وهى أنهم تركوا المخاضة السهلة ووقفوا على مكان بعيد الغور وعملوا الستائر ، فاعتقد المسلمون أن المكان الذى حفظوه هو المخاضـة السهلة فخاضوا منـه ، وكان العدو قد عملوا صيبا[٣] على البر من جانبهم ليقاتلوا من ورائها ، فرتبت العساكر الإسـلامية نفوسها بخيولهـا ، وعاموا أطـلابا ، الفارس إلى جانب الفارس ، متماسكين بالأعنـة معتمدين على الرماح ، كما قال القائل :

فعمنا إليهم بالحديد سـباحة ومن عجب أن الحديد يعوم

وازدحـم الناس وانسكر المـاء بهـم فصار كالجبال . وطلـع المسلمون ، والسلطان فى أوائـل القوم[٤] ، فلم يلبث التتار أن انهزموا أقبح هزيمـة ، وقتل مقدمهم جقر وجماعة كثيرة منهـم وأسرت جمعة ، وأقام السلطان إلى العصر وجمع الأسرى ورءوس القتلى وبات فى مكان النصر ، والعساكر لابسة والخيل

(١) كذا فى الأصل بغير نقط .

(٢) فى الأصل حقر بدون نقط . ولم يجد المحقق وسيلة لتصحيح الاسم .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) فى الأصل « القرل » وهو سهو

ملجمة . وأصبح يوم الاثنين بمنزلته حتى عاد من كان قد ساق خلف العدو ، واستبرىء أمر العدو ، ثم عادت العساكر ، وكان العود عليهم أشق .

ولما صار السلطان بالبر الشامى بلغه أن التتار الذين كانوا نازلوا البيرة ومقدمهم دربای قد هربوا وتركوا أزوادهم والمجانيق التى معهم ، ورموا النار فى بعض ذلك ، ونزل أهل البيرة وحملوا من ذلك شيئا كثيرا . فنزل السلطان على جبل مشرف قرب البيرة من الجانب الشامى ، وتوجه إليها على الجسر الذى مده العدو وهو جسر كبير تحته المراكب والصوارى والسلاسل ، ومعه جماعة من الأمراء ، وأنعم على النائب بها بألف دينار ، و [الأمير سيف الدين] الصروى[1] المجرد بها بألف دينار ، وعم من بها بالتشاريف ، وأنعم على أهل الثغر بمائة ألف درهم ، وجرد بها جماعة زيادة على من بها ، وعاد إلى مخيمه ، وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث جمادى الآخرة والأسرى بين يديه .

ذكر فتوح كينوك[2]

كان قد كثر فساد أهل كينوك وتعديهم على التجار والقصاد ، وكتب إلى صاحب سيس فى ذلك فلم تفد فيه المكاتبة ، فجرد الأمير حسام الدين العين تابى مقدم العسكر الحلبى إلى كينوك ، فوصل إليها فى ثالث المحرم ، فأخذوا الحوش البرانى ، ودخل الأرمن إلى القلعة ، فقاتلهم المسلمون وملكوها وقتلوا الرجال وسبوا الحريم ، وأغار العسكر على أطراف طرسوس ونهبوا وسبوا .

---

(١) ورد نفس النسبة من قبل ، والاضافة للإيضاح .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٨ ص ١٠ — ١١) .

وهذه كينوك هى الحدث الحمراء التى بناها سيف الدولة على بن حمدان، ومعنى تسميتها كينوك أى المحترقة. وكان قسطنطين صاحب سيس قد أخذها من ملوك الروم السلجقية وأحرقها. وهى التى يقول فيها المتنبى عند بنائها يمدح سيف الدولة فى قصيدته التى أولها : « على قدر أهل العزم تأتى العزائم »

سل الحدث الحمراء يعرف لونها ويعلم أى الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها على والقنا تقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم

وكان من خبرها : أن سيف الدولة بن حمدان سار لبنائها ، وكان أهلها سلموها بالأمان للدمستق ملك الروم ، فى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فنزلها سيف الدولة فى يوم الأربعاء ثانى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، فخط الأساس من يومه ، وحفر أول الأساس بيده ، وأقام حتى كمل بناؤها فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب من السنة .

ذكر إغارة عيسى بن مهنا على الأنبار[1]

وفى سنة اثنتين [وسبعين[2]] وستمائة : رسم السلطان للأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا [أمير العرب[3]] بالإغارة على بلاد العراق ، فوصل إلى الأنبار فوجد بها جماعة من التتار ، وكان السلطان قد اختفى أمره[4] ، فلما وصل عيسى إلى

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١١ س ٨ — ١١) .
(٢) ، (٣) الإضافة من السلوك (نفس الموضع) .
(٤) المقصود أن أخباره انقطعت عن التتار حتى توهموا أنه هو الذى قدم إليهم بنفسه .

الأنبار توهموا أن السلطان دهمهم ، فعدوا إلى البر الآخر[1] ، واقتتل عيسى وخفاجة ، ودام القتال نصف نهار ، وكانت هذه الإغارة فى ثامن عشر شعبان .

ذكر الإغارة على مرعش[2]

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة : توجه عسكر حلب صحبة الأمير حسام الدين العين تابى إلى جهة مرعش ، وأغاروا على بلاد سيس ، وحازوا غنائم كثيرة ، وقلعوا أبواب ربض مرعش ، وغرق ربيعة بن الظاهر بن غنام فى نهر هناك .

ذكر غزوة سيس[3]

كان صاحب سيس قد اعتمدوا ما يقتضى فسخ المدنة التى وقع الإتفاق عليها فى سنة ست وستين عند إطلاق ولده ليفون[4] ، وقطع الهدايا المقررة عليه ، وخالف الشروط من أنه لا يجدد بناء ولا يحصن قلعة ، وصار لا يطالع بخبر صحيح كما تقرر معه ، ثم لم يقتصر على ذلك إلى أن صار يلبس الأرمن السراقوجات ويخيف[5] القوافل ويدعى أنهم من عسكر التتار ، فاقتضى ذلك أخذ كينوك وإخرابها كما ذكرنا ، فتصور[6] صاحب سيس من ذلك . فذكر السلطان لرسوله سوء اعتماده ، وأرسل إليه يعرفه أنه عزم على قصد سيس ، ثم أمر السلطان

(١) زاد السلوك هناه فانهزموا إلى أيغا فرجع إلى بلاده » (جـ ١ ص ٦١١)

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦١٦ ص ٢ — ٣)

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦١٨) .

(٤) فى الأصل « ليون » . وقد أشار المتن إليه باسم « ليفون »

(٥) كذا فى الأصل بغير نقط

(٦) تصور هنا بمعنى توهم وتخيل فى اصطلاح القرن الثامن الهجرى بمعنى توهم وقوع الشر .

فى نفسه قصده ولم يبده لأحد، بل أظهر الحركة إلى الشام، وعرض العساكر فى يوم واحد تحت القلعة، وخرج ثالث شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة، ووصل إلى دمشق فى سلخ الشهر، وخرج منها فى سابع شهر رمضان بجميع العساكر. ولما وصل إلى حماة خرج الملك المنصور صاحب حماة بعساكره، ثم سار وفى خدمته العساكر والعربان. بخرد الأمير شرف الدين بن مهنا، والأمير حسام الدين العين تابى إلى جهة البيرة بصورة جاليش العسكر المنصور فوصلوا إليها. ولما وصل السلطان إلى سرمين رحل منها إلى جهة الدربساك، وأخر الأثقال وبعض العسكر صحبة الأمير شمس الدين سنقر جاه بسرمين، وجرد الأمير عز الدين الأفرم أمير جاندار، والأمير مبارز الدين الطورى لتمهيد جوانب النهر الأسود، فقطعته العساكر بمشقة. ونزل السلطان بين الدربساك وبغراس، وأمر جماعة من مقدمى الألوف أن يتوجه كل منهم إلى جهة، فطلعوا تلك الجبال، وأمر الناس بوقود الشموع فقطعوا تلك الجبال والأوعار والمضايق. وكان السلطان قد حمل ثلاثين مركبا لأجل التعدية، ونزل السلطان داخل باب اسكندرونة خلف السور الذى بناه الملك هيتوم والد ليفون صاحب سيس، ثم رحل إلى قرب المثقب، وملكت العساكر جسر المصيصة وملكوا المصيصة، وغلبت العساكر على ما فيها، وقتلوا من وجدوه بها، وغنم الناس ما لا يحصى كثرة من البقر والجاموس والغنم، وحضر إلى الطاعة جماعة كبيرة من التركمان والعربان بمواشيهم وخيولهم، فجهزهم السلطان إلى البلاد الإسلامية، وساق مُطلَباً فى تاسع وعشرين شهر رمضان، فوصل إلى سيس، فعدل عنها ووصل دَرْبَنْد(١) الروم، ووجد بقايا من حريم

(١) فى الأصل «بند» والتصويب منقول من السلوك (جـ١ ص ٦١٨)

التتار فسبين، وعاد فبات فى تلك الجبال، وعيّد بمدينة سيس، وهى كرسى ملك الأرمن، وبها بستان متملكها ومناظره. فانتهبت مدينة سيس وهدمت وأحرقت وتحصن أهلها بقلعتها. ولما فرغ من إحراق المدينة وهدم قصور التكفور، وعادت الجاليشية بما سبوه من حريم المغول وأولادهم، وسيقت الغنائم، وعاد السلطان ورعت العساكر الزروع. ووصل الأمير جمال الدين المحمدى، والأمير عز الدين الدمياطى إلى طرسوس ووجدوا بها من الخيل والبغال مقدار ثلثمائة رأس فاستاقوها. وتوجه الأمير مبارز الدين الطورى، والأمير عز الدين كرجى إلى قريب البحر وقاتلوا جماعة من العدو، ووجدوا مراكب فى البحر فدخلوا إليها وأخذوها وقتلوا من فيها. ووصل الأمير سيف الدين الزينى إلى قلعة البرزين، ووصل الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى أذنة، وغنموا نساء وأطفالا. وأغارت العساكر فى تلك الجبال[1] وقتلوا رجالا كثيرة. ووصل الأمير بدر الدين بيسرى والأمير سيف الدين أيتمش السعدى إلى أياس، وكان خبر العسكر قد وصل إلى من بها من الفرنج فنقلوا أموالهم إلى المراكب فأحرقت العساكر وقتلت جماعة كبيرة فى البر والبحر، وحضر بعد ذلك كتاب والى إسكندرونة يتضمن: أن العساكر لما قصدت أياس ركب جماعة منها من الفرنج والأرمن قريب ألفى نفس هاربين ففرقوا جميعهم، وأخذ الأمير بدر الدين أمير سلاح جشارات خيول. هذا ما يتعلق بغزوة سيس.

وأما العسكر والعربان الذين توجهوا إلى جهة البيرة فوصلوا إلى رأس عين وغنموا غنائم كثيرة، وانهزم من كان فى تلك الجهة من التتار، وعاد العسكر سالما منصورا. ووصل السلطان إلى المصيصة وأحرقت من الجانبين.

---

(١) فى الأصل «من»، والتصويب منقول من السلوك (ج ١ ص ٦١٨ س ٦)

ولما تكامل حضور الأمراء بالغنائم وخـروج التركمان والعربان الواصلـين إلى الطاعة من الدربندات، رحل السلطان وعبر على بحيرة بها أغصان ملتفة مثل الغابة وبها جزائر قد تحصن بهـا جماعة من تلك البلاد ونقلوا إليهـا حريمهـم وأموالهم ، فرمى العسكر نفوسهم فيها عـوما بالخيل ، فقتلوا وسبوا . ثم عبروا على تل حمـدون ، وقلعة النقـير فعانت العساكر فيهما ، وخرج العسكر من الدربندات فشاهدوا الغنائم قد ملأت المروج طولا وعرضا، فوقف السلطان بنفسه وفرق الغنائم وعمّ بها الناس ، وما أخذ لنفسه شيئا منها . ثم سار بعد القسمة فنزل دهلـيزه بحارم .

فقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

يا ملك الأرض الذى عزمه كم عامر للكفر منه خرب

قلبت سيسـا فوقهـا تحتهـا والناس قالوا سيس لا تنقلب

ذكر شيء من أخبار بلاد سيس

وسبب استيلاء الأرمن عليها

المصيصة بناها عبد الملك بن مروان فى أيام أبيه ، فى سنة أربع وثمانـين للهجرة النبوية .

وأما طرسوس فهى من المدن القديمة ، وفيها دفن الخليفة عبد الله المأمون ابن الرشيد كما ذكرنا .

وطرسوس وأذنة وما يليهما تسمى قيليقيا ، وتعرف هـذه البلاد بالدروب والعواصم، وبها كان الغزو والرباط والجهاد والمثاغر، وكانت مضافة إلى مملكة

مصر فى إمارة أحمد بن طولون ومن بعده، حتى استولى الروم عليها كما قدمنا . واستمرت بيد الروم إلى أن استولى عليها مليح بن لاون الأرمنى ، وذلك فى أيام العادل نور الدين الشهيد، بمساعدته ،وهزم [مليح] جيش الروم فقوى عند ذلك البلاد، وكانت هزيمته للروم فى يوم الأحد سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وأسر من مقدميهم ثلاثين أسيرا ، فأحسن إليه نور الدين وخلع عليه ، وكتب إلى بغداد يعظم أمر الروم ويذكر أن هذا مليح الأرمنى من جملة غلمانه ، وأنه كسر الروم ، ومنّ بذلك على أهل بغداد .

واستمر ملك هذه البلاد فى هذا البيت إلى الآن .

نعود إلى أخبار السلطان الملك الظاهر .

قال: ثم رحل السلطان وخيم بمرج أنطاكية، وانبثت العساكر فى تلك المروج ورعت الأعشاب ، ثم رحل .

ذكر منازلة حصن القصير وفتحه[1]

هذا الحصن مما لم يفتحه السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف ابن أيوب رحمه الله ، وقيل إنه صالح عليه ، وما زال لمن يكون بابا برومية ؛ والبابا خليفة عند الفرنج يَنْفُذ أمره وحكمه فى سائر ملوك الفرنج .

وأمر الحصن راجع إلى بُترك[2] أنطاكية ، والفرنج تميزه وتؤثره . وأهله أهل شره ومنعة وفساد ، وكان مضرة على القَرْعة[3] وتلك الجهات . ولما فتح السلطان

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٢٠ س ١٠).

(٢) ورد فى هذه النسخة لفظ البطرك بالطاء والتاء والكاف والقاف .

(٣) القرعة « كذا فى الأصل » .

أنطاكية سأل أهل القصير الهدنة والمناصفة، فأجيبوا إلى ذلك كما قدمنا . فـا وفوا وأخفوا فى المناصفة . ولمـا وصل صمغار [مقـدم التتار] إلى جهة حارم ضرب أهل القصـير البشائر ، ودلوا على الطريق وأمثال ذلك ممـا يقتضى فسخ الهدنة . وكان السلطان قد رسم للأمـير سيف الدين الدوادار بالتردد إلى كليام النائب بالقصير وإظهار مصافاته . واعتمد ذلك وتوجه المذكور إليه فى خامس عشر شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، ومعه جماعة من السلاح دارية بصورة أصحابه ، فوصلوا إلى القصير وأظهر الأمير سيف الدين غضبا كون كليام ما خرج للقائه وقصد الرجوع ، فبلغه ذلك فخرج مسرعا ليسترضيه ويرده . فادركه فامتنع من الرجوع واستدرجه حتى أبعد عن الحصن، ثم قتل من كان معه وأخذ كليام وأحضره إلى السلطان . فكتب إلى أصحابه بالتسـليم فـا رجعوا إلى كلامه . بفرد السلطان جماعة من أمراء حلب وهم: سيف الدين الصروى[1] وشهاب الدين مروان والى أنطاكية وجماعة من الرجال ، فنازلوا القصير .

وتوجه السلطان إلى دمشق واستصحب كليام معه ، وكان شيخا كبـيرا وكان ابنـه فى الأسر ، فـات كليام فى الأسر بعـد اجتماعه بابنه . ولمـا اشتد الحصار على القصير وعدموا الأقوات سلموا الحصن المذكور فى يوم الأربعاء ثالث وعشرين جمادى الأولى سـنة أربع وسـبعين . وحمل أهـله إلى الجهات الـتى قصدوها .

---

(١) راجع ما تقدم ص ٣٣٥ من هذا الجزء .

ذكر وفاة الأبرنس صاحب طرابلس وما انفق بعد وفاته (١)

وفى تاسع شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وستمائة : توفى الأبرنس بيمند ابن بيمند صاحب طرابلس . ووصل ملك قبرص ، وهو ابن عم الأبرنس إلى طرابلس لتعزية ولده ، وكان السلطان قد كتب إلى البرنس يقول : « إن اللاذقية ما برحت للمسلمين ، ولما راح صاحب حلب تغلّب أبوك وأخذها ظلما وعتوا ، ونحن لنا فى اللاذقية النصف ، فترك النصف الآخر فإنه من حقوق المسلمين » . فلما سمع الفرنج ذلك قووا البرج ، وخاف المسلمون عاديتهم . فرسم السلطان لركن الدين النائب ببلاطنس بنقل مَنْ باللاذقية من المسلمين إلى البلاد السلطانية . فوصل كتاب نائب البرنس الذى باللاذقية يذكر أنهم ما برحوا فى الطاعة ، وقد عز عليهم خروج من عندهم . ووردت رسل ملك عكا وهو يشفع عند السلطان فى استمرار الصلح ، فترك السلطان الحديث فى اللاذقية . وكان السلطان قد سير عسكرا للحوطة على عرقا ومغل بلادها ، فسير ملك عكا وقبرص يتوسل فى أمرهم ، وسأل إنفاذ من يوثق به لأجل الدعاوى ، ويكون منه إلى نواب السلطان ومن ملك عكا إلى نواب البرنس . فسير الأمير سيف الدين الدوادار فتوجه إلى عرقا . وأقام بها ، فاجتمع عنده نائب بعلبك ، وولاه البر ومشايخ البلاد ومستخدميها ونواب الفرنجية . وكتبت الدعاوى وترددت الرسل . واتفقت وفاة الأمير صارم الدين الظافرى (٢) النائب بحصن الأكراد ، فبقى الفرنج يعتذرون به وأنكروا

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦١٩ س ٨ — ١٠) .

(٢) ترد هذه النسبة بالكاف ولا تتصور إمكان الإنتساب إلى الكفر والأرجح هو الظافرى ، راجع ما تقدم ص ٣٢٧ من هذا الجزء .

الدعاوى، ثم سأل الملك حضور الأمير سيف الدين إلى طرابلس فدخلها فى ثامن المحرم فى تجمل كثير من المماليك السلطانية ومماليكه وأجناده، وتلقاه أبناء الملوك بها، واجتمع بالملك وسلم إليه كتاب السلطان، وتقرر على الفرنج القيام بعشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيرا من المسلمين .

ذكر غزوة النوبة(١)

وفى سنة أربع وسبعين وستمائة : كثر تعدى داود متملك النوبة، وحضر إلى قريب أسوان وأحرق سواق . وكان قبل ذلك قد حضر إلى عيذاب ، وفعل الأفعال الشنيعة . وتوجه الأمير علاء الدين الخزندار والى قوص إلى أسوان فلم يدركه وظفر بنائبه الأمير قمر الدين [بقلعة] الدو المسمى صاحب الجبل وجماعة معه ، فجهزهم إلى السلطان فوسطوا . وأمر السلطان بتجريد الأمير شمس الدين أقسنقر أستاد الدار، والأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار، وصحبتهم جماعة من العسكر ومن أجناد الولايات والعربان بالوجه القبلى . وكان قد حضر ابن أخت ملك النوبة مرمشكد(٢) الذى أخذ داود الملك منه . فجهز العسكر المنصور وتوجه [مرمشكد] صحبتهم . فأغار الأمير عز الدين على قلعة الدو وقتل وسبى ، وسار الأمير شمس الدين فى أثره يستأصل(٣) شأفة من بقى ، ونزل الأمير شمس الدين بجزيرة ميكائيل وهى رأس جنادل النوبة ، وهى كثيرة الأوعار وفى وسط البحر ، فقتلوا وأسروا . وكان نائب قلعة الدو الذى ولى عوض الموسط

(١) أنظر السلوك (جـ ١ ص ٦٢١ — ٦٢٣) .

(٢) كذا فى الأصل دائما . أما ابن أبى الفضائل فيسميه « شكندة » أما القلقشندى فيسميه « مرقشكنز » . وفى السلوك (الموضع لسابق) « مشكد » .

(٣) فى الاصل « يستأثر » .

قد هرب إلى الجزائر، فأعطى أمانا واستمر على نيابته، وحلف لمرمشكد المتوجه صحبة العسكر ما دام على الطاعة . وخاض الأمير عز الدين فى وسط البحر إلى برج فحاصره وأخذه وقتل به مائتين وخمسين نفرا .

ثم ساق العسكر والتقوا الملك داود، وما زال السيف يعمل فيهم حتى أفناهم وما سلم إلا من ألقى نفسه فى البحر، وهرب داود، وأسر أخوه سنكوا[1] . وجُرِّد جماعة من العسكر وساقوا ثلاثة أيام وأمسكوا أم الملك داود[2] وأخته .

وقرروا على الملك مرمشكد المتوجه صحبة العسكر قطيعة فى كل سنة، وعرض على أهل النوبة الإسلام أو القيام بالجزية أو القتل، فاختاروا القيام بالجزية وأن يقوم كل واحد بدينار عينا، وحرقت كنيسة سوس التى كان داود يزعم أنها تحدثه بما يؤديه . وكان داود قد بنى مكانا سماه عيذاب عمره على أكتاف المسلمين [الذين أسرهم من عيذاب وأسوان[3]] وفيه منازل وكنائس، وميدان صور فيه قتل المسلمين بعيذاب وأسراهم بأسوان، فمحيت تلك التصاوير منه وخرب. وتقرر حمل ماهو مخلف عن الملك داود وأقاربه . وكانت إقامة العسكر بدنقلة سبعة عشر يوما حتى تمهدت البلاد واستنقذت أسرى المسلمين المأسورين من أسوان وعيذاب، وألبس مرمشكد التاج على عادة ملوك النوبة، وأجلس بمكان الملك [داود[4]] وحلف اليمين العظيمة عندهم على ماتقرر وهى :

---

(١) كذا فى الأصل بزيادة ألف لاحاجة لها .

(٢) فى الأصل « الولد » والتصحيح منقول عن نص السلوك (ج ١ ص ٦٢٢ ص ٦) .

(٣) الإضافة ضرورية وهى منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٦٢٣ س ٤ — ٥) .

(٤) « جامة وهى منقولة عن السلوك » (ج ١ ص ٦٢٣ س ٧) .

« والله ، والله والله ، وحق الثالوث المقدس ، والإنجيل الطاهر ، والسيدة الطاهرة العذراء أم النور والمعمورية ، والأنبياء المرسلين والحواريين والقديسين ، والشهداء الأبرار . وألا : أجحد المسيح كما أجحده بودس[1] ، وأقول فيه مايقول اليهود وأعتقد ما يعتقدونه . وألا : أكون بودس الذى طعن المسيح بالحربة ، أنى أخلصت نيتى وطويتى من وقتى هذا وساعتى هـذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس ، وأنى أبذل جهـدى وطاقتى فى تحصيل مرضاته ، وأنى مادمت نائبه لا أقطع ماقـرر علىّ فى كل سـنة تمضى ، وهو مايفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يتحصل لمن تقدم من ملوك النوبة ، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مُخْلَصاً من كل حـق ، والنصف الآخر أرصـده لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها ، وأن يكون علىّ كل سنة : من الأفيلة ثلاثة ، ومن الزرافات ثلاث ، ومن إناث الفهود خمـس ، ومن الصهب الجياد مائة ، ومن الأبقار الجياد المنتخبة أربعمائة . وإننى أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدى فى البلاد من العقلاء البالغين دينارا عينا ، وأن تفرد بلاد العلى والحيل خاصا للسلطان . وأنه مهما كان لداود ملك النوبة ولأخيه سنكوا ولأمه وأقاربه ، ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة ، أحمله إلى الباب العالى مع من يرصد لذلك . وأننى لا أترك شيئا منه قل ولا جل ، ولا أخفيه ولا أمكن أحدا من إخفائه ، ومتى خرجت عن جميع ماقررته أو شىء من هذا المذكور أعلاه كله كنت بريئا من الله تعالى ، ومن المسيح ، ومن السيدة الطاهرة ، وأخسر دين النصرانية ، وأصلى إلى غير الشرق ، وأكفر بالصليب ، وأعتقد ماتعتقد اليهود ،

(١) كذا فى الاصل .

وإنى لا أترك أحدا من العربان ببلاد النوبة ، ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطانى ، ومهما سمعت من الأخبار السارة والنافعة طالعت به السلطان فى وقته وساعته ، ولا أنفرد بشىء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة ، وأنى ولىّ من والى السلطان وعدو من عاداه ، والله على ما نقول وكيل . »

[ثم هذا عهد آخر صادر من أمير بطاعة مرمشكد وبطاعة بيبرس (١) .]

« وحلّفتُ الرعية أيضا بتلك الجهات بأنهم يطيعون نائب السلطان ، وهو الملك مرمشكد المقيم بدنقلة ، وكل نائب يكون للسلطان أطيعه ولا أرى عليه برأيى ، ولا أخبئ عنه مصلحة ، وكل ما أسمعه من الأخبار الجيدة والردية أطالع نائبه به . ومتى علمت على نائبه الملك مرمشكد أمرا يخالف المصلحة لا أطيعه فيه وأطالع السلطان به فى الوقت والساعة . وأنى لا أدخل فى حكم داود ، ولا أكون معه ، ولا أطالعه بخبر من الأخبار ، ولا أرتضى به ملكاً ، ورضيت بأن أقوم بدينار عينا فى كل سنة خالية على » .

وعاد العسكر وأحضر من النوبة ما نذكر ، وهو ما وجد فى كنيسة سوس من الصلبان الذهب وغيرها : أربعة آلاف وستمائة وأربعون دينارا ونصف ، وأوانى فضيات ثمانية آلاف وستمائة وستون دينارا ، والذى أحضر من الرقيق ، سبعمائة رأس .

---

(١) الإضافة ضرورية لتحديد نقطة الفصل بين وثيقتين مختلفتين . الأولى هى نص اليمين الذى حلف به ملك النوبة الجديد ، والثانية هى نص التعهد بالطاعة للملك الجديد .

وقد نشر الدكتور زيادة فى ملاحق السلوك نص الوثيقة الأولى دون الوثيقة الثانية (راجع السلوك ملحق ٥ جـ ١ ص ٩٧٢ — ٩٧٤) .

وأما الملك داود فإنه هرب إلى جهة الأبواب ، فقاتله صاحبها الملك أدر، وقتل ولده ، وأمسكه وسيره إلى السلطان .

ذكر غزوات النوبة فى الإسلام

أول ما غُزيت النوبة فى سنة إحدى وثلاثين للهجرة النبوية ، غزاها عبد الله ابن سعد فى خمسة آلاف فارس ، وأصيب فى ذلك اليوم معاوية بن حديج فى عينه ، وأصيب أبرهة الصباح فى عينه ، وكانوا يسمون النوبة : رماة الحدق . وهادنهم عبد الله بن سعد بعد أن وصل دنقلة .

وفى ذلك يقول الشاعر :

لم تر عينى مثل يوم دنقلة ... والخيل تعدو بالدروع مثقلة

ترى الحماة حولها مُجَدَّلة ... كأن أرواح الجميع مهملة

وقال يزيد بن أبى حبيب : « ليست الموادعة بين أهل مصر والنوبة موادعة هدنة ، وإنما هى هدنة أمان ، نعطيهم شيئا من قمح وعدس ، ويعطوننا رقيقا ، ولا بأس بما يشترى من رقيقهم » .

وكان البقط المرتب على النوبة وهو الرسم على ما قرر :

فى كل سنة أربعمائة رأس من الرقيق ، وزرافة واحدة . لأمير المؤمنين ثلاثمائة وستون رأسا ، وللنائب بمصر أربعون رأسا .

ويطلق لرسله ، إذا وصلوا بالبقط تاما ، ألف وثلثمائة أردب قمح ، لرسله منها ثلثمائة .

وقال البلاذرى فى كتاب الفتوحات : « إن المقرر على النوبة أربعمائة رأس ، يأخذون بها طعاما ؛ أى غلة » .

وألزمهم المهدى العباسى بثلاثمائة وستين رأسا وزرافة .

ثم غُزيت فى زمن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ولم تفتح و إنما كان قتال ونهب وسبى .

وغزاها يزيد بن أبى حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، على يد عبد الأعلى بن حميد . وغزاها أبو منصور تكين التركى هى و برقة فى عام واحد ، ولم تفتح النوبة .

ثم غزاها كافور الإخشيدى ، وكان أكثر جيشه السودان .

فقال الشاعر :

ولما غزا كافور دنقلة غدا بجيش لطول الأرض من مثله عرض

غزا الأسود السودان فى رونق الضحى فلما التقى الجمعان أظلمت الأرض

ثم غزاها ناصر الدولة بن حمدان ، فكبسه السودان ، ونُهب جيشه ، وأخذت أثقاله ، وذلك فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة فى أيام المستنصر العبيدى .

ثم غزاها بعد ذلك شمس الدولة توران بن أيوب أخو الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ولم يصل إلا إلى أبريم .

وكل هذه غزوات ، و إنما الفتح هذا .

ذكر غزوة الروم وقتل التتار[1]

قد ذكرنا فى أخبار السلطان فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، طاعة أمراء الروم ووصولهم إلى خدمة السلطان ، وإكرامه لهم وإحسانه إليهم وما عاملهم به . ولما وصل السلطان إلى الديار المصرية فى رابع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، أقام بها إلى شهر رمضان منها ثم عزم على السفر ، وجهز من وصل إليه من أمراء الروم بالخيول والخيام وغير ذلك ، وتوجه من قلعة الجبل المحروسة ، بعساكر الديار المصرية فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان من السنة ، ورتب الأمير شمس الدين آقسنقر أستاد الدار فى النيابة عنه بقلعة الجبل[2] والصاحب بهاء الدين وجعلهما فى خدمة ولده الملك السعيد . واستصحب معه الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين وجعله وزير الصحبة ، وهى أول سفرة سافرها صحبته ، واستصحب أكثر كتاب الإنشاء ، وفوض فى هذا اليوم نظر الجيوش للقاضى عز الدين إبراهيم بن الوزير الأعز فخر الدين مقدام بن شكر ، والشهادة به للقاضى شمس الدين الأرمنتى ، واستصحبهما صحبته .

ثم رحل يوم السبت ثانى عشرين الشهر وصحبته أمراء الروم ، وسار فما مر بمملكة إلا استصحب عسكرها وخزائنها وأسلحتها ، وكان وصوله إلى دمشق فى يوم الأربعاء سابع عشر شوال ، وخرج منها متوجها إلى حلب فى يوم السبت العشرين من الشهر ، وكان وصوله إلى حلب فى يوم الأربعاء مستهل ذى القعدة ،

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٢٧ وما بعدها) .

(٢) يسميه صاحب السلوك نائب الغيبة بقلعة الجبل .

وخرج منها فى يوم الخميس ثانى الشهر إلى حَيْلان فترك بها بعض الثقل ، وتقدم إلى الأمير نور الدين على بن مجلى[1] نائب السلطنة بحلب أن يتوجه إلى الساجور ، ويقيم على الفرات بمن معه من عسكر حلب ، لحفظ معابر الفرات ، خشية أن يعبر منها أحد من التتار إلى الشام . ووصل إلى الأمير نور الدين ، الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا .

ولما اتصل خبر نزول هذا الجيش بالتتار المقدمين بالعراق جهزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لينالوا من العسكر غِرَّةً ، فاتصل خبرهم بالأمير نور الدين [نائب حلب وهو على الفرات[2]] فركب إليهم وقاتلهم وهزمهم ، وأخذ منهم ألفاً[3] ومائتى جمل . ورحل السلطان من حيلان يوم الجمعة ثالث الشهر إلى عين تاب ، ثم إلى دلوك ، ثم إلى مرج الديباج ثم إلى كينوك ، ثم رحل منها إلى كراصو[4] ، ثم إلى اقجا دربند ، فوصله يوم الثلاثاء سابع الشهر فقطعه فى نصف نهار ، وبات فى وطأة هناك . وقدم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى جماعة من العسكر جاليشا ، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التتار مقدمهم كراى ، فهزمهم وأسر منهم وقتل ، وذلك فى يوم الخميس تاسع الشهر . ثم ورد الخبر على السلطان أن عسكر المغل ومقدمهم تتاون[5] وعسكر الروم ومقدمهم [معين الدين] البرواناه قد قربوا من العسكر ، فرتب السلطان عساكره وطلعت العساكر على

(١) كذا فى الأصل وفى السلوك « ابن محل » بالحاء المهملة .

(٢) الإضافة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٢٨ س ١٠) .

(٣) فى الأصل ألف بالرفع وحقه النصب .

(٤) فى الأصل « كل صو » والتصحيح يعتمد على السياق وعلى تحديد خط السير .

(٥) كذا فى الأصل وفى السلوك « تتاورن » بواو بين .

جبال مشرفة على صحراء هوتى[1] من بلد أبلستين، وكان العدو فى تلك الليلة قد بات على نهر جهان[2]، وهو نهر جيحان ، فأقبل المسلمون من علو الجبل ، وترتبت المغل أحد عشر طلبا ، كل طلب منها يزيد على ألف ، وهزلوا عسكر الروم عنهم ، وجعلوه طلبا بمفرده [لئلا يكون مخامرا عليهم[3]] .

وكان أبغا بن هولاكو قد انتخب هذا الجيش من عسكره، وكان فيه جماعة من أكابر مقدمى المغل . فوقف السلطان وتقدم إليهم جماعة من مماليكه وخواصه ، فأخلدت فرقة منهم إلى الأرض وقاتلوا قتالا شديدا ، وحملت فرقة[4] منهم من ميسرتهم واستدارت خلف الصناجق السلطانية ، فحمل السلطان عليهم، فانجلت الحرب عن قتل التتار ، وكان من بقى منهم كما قيل :

فلزهـــم الطراد إلى قتال أحد سلاحهم فيه القذاره

وكانت وقعة عظيمة مشهورة فشهت فيها المغل .

واستشهد من المسلمين فى هذا اليوم شرف الدين قيران[5] العلائى أحد مقدمى الحلقة ، وعز الدين أخو المحمدى .

---

(١) كذا فى الأصل بنقطة واحدة وفى السلوك بنقطتين (هوتى) وعند ابن أبى الفضائل صحراء البلستين (حاشية السلوك جـ ١ ص ٦٢٨ حاشية ٦) .

(٢) وعن حاشية السلوك (جـ ١ ص ٦٣٢ حاشية ١) أن التتار بايتوا لياتهم على نهر ذبان وهو أصل شهر جهان وأن هذا النهر يسمى أيضا جيحان .

(٣) الإضافة ضرورية للتعليل وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٢٨ س ١٦) ج

(٤) الضمير يعود على المغول .

(٥) كذا فى الأصل قيران بالياء وبغير الياء فى «س» (انظر السلوك جـ ١ ص ٦٢٩ س ١٢) ج

ونزل السلطان فى المنزلة التى كان العدو نازلا بها ، وأحضرت بين يديه الأسارى من المغل ، فاستبق السلطان بعض أكابرهم وقتل من بقى منهم ، وأسر جماعة من أكابر أمراء الروم ، ووصل جماعة منهم إلى الخدمة . وكان ممن أسر ووصل من الروم بكلاء[1] بن البرواناه ومعه ولد أخته ، وولد خواجا يونس ، والأمير نور الدين بن جاجا ، والأمير قطب الدين أخو الأتابك ، والأمير سراج الدين جاجا ، وسيف الدين سنقر جاه الزوباشى ، ونصرة الدين صاحب سيواس ، والأمير كمال الدين ، عارض الجيش بالروم ، وحسام الدين بركاول ، قريب البرواناه ، وسيف الدين بن عليشير التركمانى ، والأمير سيف الدين جاليش النائب بالروم ، وهو أمير داد ، ومعناه أمير العدل ، وظهير الدين فتوح[2] مشرف الممالك ، ومرتبته دون الوزارة ، والأمير نظام الدين أوحد بن الأمير شرف الدين بن الخطير وإخوته ، وقاضى القضاة حسام الدين قاضى الروم ، ومظفر الدين بن جحاف ، وأولاد الأمير صارم الدين بن الخطير ، وجماعة من أصحابهم ، وسيف الدين بكمكنا[3] الجاشنكير ، ونور الدين المنجنيقى ، وأولاد رشيد الدين صاحب ملطية[4] كمال الدين وإخوته ، وأمير على صاحب كركر ، وأكثر هؤلاء حضروا بيوتهم وأولادهم ، وأما البرواناه فانه هرب .

---

(١) كذا فى الأصل ، وراجع عن البرواناه وابنه وغيرهم من أمراء الروم : السلوك (ج ١ ص ٦٢٩) .

(٢) الفاء هنا تقترب من الميم فى الشكل .

(٣) كذا فى الأصل وفى السلوك « سيف الدين قفجاق الجاشنكير » وفى النهج السديد لابن أبى الفضائل « سيف الدين قليج الجاشنكير » (انظر السلوك ج ١ ص ٦٢٩ س ١٢) .

(٤) فى الأصل « ما طية » .

قال القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى السيرة الظاهرية : وأما البرواناه فانه شمر الذيل وامتطى هربا أشهب الصبح وأحمر الشفق وأصفر الأصيل وأدهم الليل ، ودخل قيسارية فى وقت السحر من يوم الأحد ثانى عشر الشهر ، فأفهم سلطانها غياث الدين [كيكاوس بن كيخسرو (١)] والصاحب فخر الدين وزيرها ، والأتابك مجد الدين والأمير جلال الدين المستوفى ، والأمير بدر الدين ميكائيل النائب ، والطغرائى وهو ولد أخى البرواناه : أن جيش الإسلام كسر بعض المغل ، وأن بقية المغل انهزموا ، ويخشى أن يدخل المغل قيسارية ويقتلون من بها حنقا على الإسلام ، فأخذهم وأخذ زوجته بنت غياث الدين صاحب أرزن الروم ، وتوجهوا كلهم إلى توقات . ولهذه كريى خاتون [امرأة البرواناه] أربعمائة جارية استصحبتهن معها . وكانت أم هذه كريى خاتون ملكة الكرج . وتوقات مكان حصين مسيرة أربعة أيام من قيسارية .

وجَرّد السلطانُ الأميرَ شمس الدين سنقر الأشقر بجماعة لإدراك من انهزم من المغل ، والتوجه أمامه إلى قيسارية ، وكتب بتأمين أهلها . فمر بفرقة من التتار معهم البيوت ، فأخذ عنهم جانبا . وحال بينهم الليل ، فمر كل منهم فى جهة .

ورحل السلطان يوم السبت حادى عشر الشهر من مكان المعركة ونزل قريبا من قرية رمّان ، وهى قريب الكهف والرقيم حقيقةً كما نقل ، لا ما يقال إن الكهف والرقيم من عمل بيسان (٢) والبلقاء .

---

(١) الإضافة للإيضاح عن السلوك (جـ ١ ص ٦٢٩) .

(٢) فى الأصل حسبان .

وقرية رمّان هذه بيوتها مبنية حول سن جبل قائم كالهرم ويطوف بها جبال كأنها أسوار ، ويخرج منها أنهار عليها قناطر لا تسع غير راكب .

واشتدت الأمطار ، ثم سار بكرة النهار إلى الليل ، ونزل بوطأة من أعمال صاروس العتيق ، وبقربها معدن الفضة . فأتى السلطان مُخبر أن التتار فى فجوة هناك فركب بالعساكر فعاقته كثرة الأمطار فعاد وبات بتلك المنزلة . وأصبح فسلك جبالا وعرة ، ومر على قرية أوترال[1] ومنها إلى خان قريب من حصن سمندو ، وكان السلطان قد سير كتابا إلى نائبها ، فقبله وأذعن إلى النزول عنها إن أمره السلطان ، فشكره وأحسن إليه ، وكذلك متولى قلعة درندا ، ووالى دوالوا ، أجابوا كلهم إلى الطاعة . ثم نزل السلطان قرية قريبة من قيسارية شرقى جبل عسيب ، وركب يوم الأربعاء ، نصف ذى القعدة سنة خمس وسبعين وستمائة ، والعساكر فى خدمته ، وخرج أهل قيسارية ، العلماء والأكابر وغيرهم حتى النساء والأطفال فتلقوا السلطان ، وكان دهايز صاحب الروم وخيامه قد نصبت فى وطأة كينجسرو قريبا من المناظر التى لملوك الروم ، فنزل السلطان به ، وارتفعت أصوات العالم بالتهليل والتكبير ، وضربت به نوبة آل سلجق على العادة ، وحضر أصحاب الملاهى فَرُدّوا ، واعتمد السلطان على الأمير سيف الدين جاليش فى النيابة ، وكان أولاد قرمان [أمراء التركمان[2]] قد رهنوا أخاهم الصغير على بك بالروم ، فخرج إلى السلطان فأكرمه ، وطلب منه تواقيع وصناجق له ولأخوته فأعطاه وتوجه ، وكتب السلطان إليهم فى الحضور إلى خدمته ، وأكد فى ذلك .

(١) كذا فى الأصل ، ومن الممكن قراءة أوتراك .

(٢) الإضافة للتعريف وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٣٠ س ١٣) وأمير التركمان يومئذ هو الأمير شمس الدين محمد بن قرمان (جـ ١ ص ٦٣٣ س ٣ — ٤) .

فكان من خبرهم فى الوصول إلى بلاد الروم بعد رحيل السلطان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

قال : ثم ركب السلطان فى يوم الجمعة سابع عشر الشهر ، وعلى رأســه جتر بنى سلجق ودخل قيسارية . وكانت دار السلطنة قد هيئت لنزوله ، وتخت آل سلجق قد نصب لحلوله ، فجلس فى مرتبة السلطنة بكرة النهار ، وحضر القضاة والفقهاء والوعاظ والقــراء والصوفية وأعيان قيسارية ، وذوو المراتب على العادة السلجقية فى أيام الجمع ، ووقف له أمير المحفل — وهو عندهم ذو حرمة ومكانه ، وعليه أكبر ثوب وأكبر عمامة — فرتب المحفل ، وقرأ القراء ، ثم أنشد أمير المحفل بالعربية والعجمية مدائح فى السلطان . ومد السماط ، فأكل من حضر وانصرفوا . وتهيأ السلطان لصلاة الجمعة وحضر إلى الجامع وصلى ، وخطب الخطباء فى جوامع قيسارية باسمــه ، وهى سبعة[1] جوامع . ثم عاد إلى دار السلطنة وأحضر بين يديه دراهم عليها السكة الظاهرية .

وظهر لمعين الدين سليمان البرواناه ولزوجته كرجى خاتون مــوجود عظيم[2] ، فحمل إلى السلطان وكذلك موجود من نزح ، ففرق أكثره على أمرائه .

وحكى الصاحب عز الدين بن شداد فى السيرة الظاهرية قال : حكى لى من أثــق به أن البرواناه بعث إلى السلطان لمــا دخل قيسارية يهنئه بالجــلوس على التخت ، فكتب إليه يأمره بالوفود عليه ليوليه ، فكتب إليــه يسأله أن ينتظره خمسة عشر يوما ، وكان مراده أن يصل إلى أبغــا ويحثه على المســير [بنفسه]

(١) فى الأصل « سبع » .

(٢) فى الأصل « موجودا عظيما » بالنصب وحقه الرفع .

والسلطان بالبلاد ، فلم يدر ذلك فى حدس السلطان . فاجتمع تتاون[1] بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر وعرفه قصد البرواناه فى طلبه الانتظار ، وأن مقصده أن السلطان يتربص حتى يدركه أبغا فى البلاد ، فكان ذلك سبب رحيل السلطان عن قيسارية .

ذكر رحيل السلطان عن قيسارية وهرب عز الدين أيبك الشيخى ولحاقة بأبغا وعود السلطان إلى ممالكه

كان رحيل السلطان من قيسارية فى يوم الاثنين العشرين من ذى القعدة ، وقيل فى الثانى والعشرين منه ، لقلة الأقوات ، وقيل للسبب الذى تقدم ذكره ، وجعل على يزكه الأمير عز الدين أيبك الشيخى ، وكان السلطان قد ضربه لسبقه الناس وتقدمه ، فحقد ذلك ، وتسحب يومئذ والتحق بأبغا بن هولاكو .

ونزل السلطان بقيرلو[2] فورد عليه فيها رسول البرواناه ، ومعه رجل آخر اسمه ظهير الدين الترجمان ، وهو يستوقف السلطان عن الحركة ، وما كانوا علموا بقصد السلطان فى مسيره إلى أية جهة ، وكان الخبر قد شاع أن حركة السلطان إلى سيواس . فأجاب السلطان البرواناه : « أن كتبك وكتب غيرك كانت تأتينى واشترطتم شروطا لم تفوا بها ولا وقفتم عندها ، وقد عرفت الروم وطريقه ، وما كان جلوسنا على التخت رغبة فيه إلا لنعلمكم أنه لا عائق لنا عن شىء نريده بحول الله وقوته ، ويكفينا أخذنا أمك وابنك وابن بنتك وما منحناه من النصر الوجيز ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . »

---

(١) مر من قبل هذا الاسم راجع ما تقدم ص ٣٥١ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى الأصل « قيرلوه » .

ثم رحل ، ونزل خان كيقباد، فلما نزل به بعث الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى إلى قرية رمانة فحرقها ، وقتـل من كان بها من الأرمن وسبى حريمهم ، لأنهم كانوا قد أخفوا جماعة من المغل .

ولمـا رحل السلطان من منزلة روزان كودلوا مرّ فى وطأة خلف حصن سمندو من طريق غير الطريق الذى كان توجه عليها إلى قيسارية ، ويعرف هذا المكان بقزل صـو ، ومعناه النهر الأحمر ، وهـو بعيد المستقى ، كثير الزلق والوحل ، فوقف السلطان وجرد سيفه حتى بسطت جملة من اللبابيد الحمر تحت حوافر الخيـل واخفاف الجمال ، ووقف راجلاً حتى عـبر الناس أولا فأولا ، ثم ركب وعبر ونزل فى واد فيـه مرعى ، ثم رحل إلى صحراء فراحا بالقرب من بازار يلوا ، وهذا البازار هـو الذى كانت الخلائق تجتمع إليـه من أقطار الأرض ، ويباع فيه كل شىء يجلب من الأقاليم .

ثم رحل يوم السبت وسار إلى وطاة أبلستين ومر بمكان المعركه لمشاهـدة رمم التتار ، وحضر جماعة من أهل أبلستين ، وسئلوا عن قتلى التتار ، فقال رجل منهـم : « عددت ستة آلاف وسبعمائة وسبعين من المغل خاصة فى المعركة غير من قتل خارجها » . ولمـا بلغ السلطان أقجا درنبد بعث الأثقال والخزائن والصناجق صحبة الأمـير بدر الدين بيليك الخزندار ليعبر بها الدربند ، وتأخر السلطان ساقـة العسكر يوم الأحد ، ورحل يوم الاثنين فدخل الدربند ، وحصل للناس مشقة ، ولمـا خرجوا منـه قطعوا النهر الأزرق ، وبات .

ثم رحل السلطان فـنزل قريبا من كينوك ، ثم نزل يوم الثلاثاء سادس ذى الحجة قريبا من حارم ، ونزل بعساكره هناك وعيّد عيد الأضحى ، ووصلت إليه رسل

الأمير شمس الدين محمد بن قرمان أمير التركمان وكتبه بما اعتمده بالروم بعد عود السلطان ، وأنه حضر فى عشرين ألف فارس من التركمان وثلاثين ألف راجل متركشة إلى خدمة السلطان فلم يدركه .

ذكر ما اعتمده الأمير شمس الدين محمد بك بن قرمان أمير التركمان فى البلاد الرومية (١)

كان الأمير شمس الدين المذكور قد باين التتار ونابذهم ، وخرج عن طاعتهم وطاعة الروم ، وانحاز إلى السواحل . فلما بلغه خبر كسرة التتار ووصول السلطان إلى قيسارية جمع جموعا كثيرة من التركمان وقصد أقصرا ، فلم ينل منها طائلا فرحل عنها وقصد قونية فى ثلاثة آلاف فارس ونازلها ، فغلق أهلها أبوابها فى وجهه ، فرفع على رأسه صناجق السلطان التى سيرها مع أخيه على بك ، وبعث إليهم يعرفهم أن السلطان الملك الظاهر كسر التتار ودخل قيسارية وملكها ، فقال أهل البلد : « أما الأبواب فنحن لا نفتحها ، ولكن أحرقوها وأدخلوا فنحن لا نمنعكم » ، فأحرقوا باب الفاخرانى ، وباب سوق الخيل ودخلوا قونية يوم عرفة ، وهو يوم الخميس . وكان النائب بها إذ ذاك أمين الدين ميخائيل . فقصد من معه داره ودار غيره من الأمراء ، والأسواق والخانات فنهبوها ، ثم ظفروا بأمين الدين ، فأخرجوه إلى ظاهر البلد وعذبوه إلى أن استأصلوا ماله ثم قتلوه وعلقوا رأسه داخل البلد ، وامتنع أهل البلد من تسليمها ، فاعملوا الحيلة ، ورتبوا رجلا على أن يتوجه إلى قمين من أقمنة حمام عينوه له ، فإذا رأى هناك شابا رمى نفسه عليه وقبّل رجليه ، فإذا قال له الشاب : « من أين تعرفنى ؟ » ، فيقول :

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٣٠ حاشية ٥) .

« ما أنت عـلاء الدين كيخسروا بن السلطان عز الدين كيقباذ ؟ أنسيت تربيتى لك وحملك على كتفى ؟ » . وليكن ذلك بمشهد من العامة ، فلما فعل ذلك وسمعت العامة مادار بين الرجل والشاب ازدحموا عليه ، و إذا جماعة من التركمان كان قد رتب معهم أنهم إذا رأوا العامة قد أحدقوا به فيأخذونه[1] من بين أيديهم ويحملونه إلى الأمير شمس الدين محمـد بك ، ففعلوا ذلك ، فلما رآه أقبل عليـه وضمه إليـه ، وعقد له لواء السلطنة وحمل الصناجق على رأسه ، وذلك فى الرابع عشرين ذى الحجة ، فلما رأى أهـل قونية ما فعلوه حملتهم المحبة فى آل سلجوق على متابعتهـم ، ثم نازلوا القلعـة ، فامتنـع من فيها من تسليمها ، فحاصروها ، ثم تقرر بينهم الصلح على تسليمها و يعطى من فيها سبعون ألف درهم[2] ، فدخلوها وأجلسوا عـلاء الدين فيها على تخت الملك ، ثم بلغ ابن قرمان والتركمان أن تاج الدين محمدا ، ونصرة الدين محمود ، ابنا الصاحب فخر الدين خواجا على ، قد حشدا وقصداهم ، فسار [ابن قرمان] إليهما وعلاء الدين معه ، فالتقوا على آمد شهر ، فكسرها وقتلهما ، وقتل خواجا سعد الدين يونس بن سعد الدين المستوفى صاحب أنطاكية ، وهو خال معين الدين البرواناه ، وقتـلوا جلال الدين خسرو بك بن شمس الدين يوناس بكلارتكسى[3] ، وأخذوا رءوسهم وعادوا بهم إلى قونية فى آخر ذى الحجة . واستمروا بقونية إلى أن دخلوا[4] سـنة ست وسبعين وستمائة ، فبلغهم

---

(١) فى الأصل « فيأخذه » ﷺ

(٢) يتوقف تحديد المعنى فى هذه الجملة على أعراب العدد ، والراجح أن الذين استسلموا هم الذين دفعوا المبلغ وتكون القراءة المطلوبة فى هذه الحالة « سبعين ألف درهم » .

(٣) كذا فى الأصل بغير نقط .

(٤) كذا فى الأصل .

أن أبغا وصل بعد خروج الملك الظاهر من الروم إلى مكان الوقعة ، فرحلوا عن قونية إلى جبالهم . وكانت مدة مقامهم بقونية سبعة وثلاثين يوما .

ذكر وصول أبغا إلى بلاد الروم ومشاهدته مكان[1] الوقعة وما فعله بأهل الروم من القتل والنهب

كان البرواناه معين الدين لما تمت الهزيمة على التتار وعليه ، قد كتب إلى أبغا يستنصر به و يستحثه على الوصول إلى بلاد الروم ، فتوجه أبغا إلى الروم ، ولما شارف البلاد خرج إليه البرواناه بمن معه ، وتوجه فى خدمته بالعساكر إلى أن وصل إلى البلستين ، ووقف على موضع المعركة ، فتأسف على المغل و بكى ، ثم قصد منزلة السلطان الملك الظاهر ، فقاسها بعصا الدبوس فعلم عدة من كان نازلا بها من العساكر وأنكر على البرواناه[2] كونه لم يُعرفه جلية حال العسكر ، فاعتذر بأنه ما علم بذلك ، وأن العسكر حضر بغتة ، فلم يقبل عذره . وكان الأمير عز الدين أيبك الشيخ فى خدمة أبغا ، فقال له : « أرنى مكان الميمنة والقلب والميسرة » فأقام[3] له فى كل منزلة رمحا ، فلما رأى بعد ما بين الرماح قال : « ما هذا العسكر الذى حضر معى يكفى هؤلاء » ، وكان فى خدمته من عسكره ثلاثون[4] ألف ، وكان قد سيرهم إلى الشام فأعادهم من كينوك ، وتوجه إلى قيسارية وسأل أهلها فقال : « هل كان مع صاحب مصر جمال ؟ » ، فقالوا : « لم يكن معه

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٢٣) .

(٢) فى الأصل « أنه » .

(٣) فى الأصل « فقام » .

(٤) فى الاصل « ثلاثين » .

إلا خيل و بغال » ، فقال : « هل نهب منكم شيئا ؟ » ، قالوا : « لا ، إلا مشترى بالذهب » ، فقال : « منذكم فارقكم ؟ » قالوا : « منذ خمسة وعشرين يوما » ، فقال : « هم الآن عند جماهم[1] » . ثم حزم على قتل من بقيسارية من المسلمين ، فاجتمع إليـه القضاة والفقهاء ، وقالوا : « هؤلاء رعية ولا طاقة لهم بدفع عسكر إذا نزل عليهم ، وهم مع الزمان عبيد من ملك » ، فـلم يرجع إلى ذلك ، وأمر بقتل جماعة من أهل البلد ، وقتل قاضى القضاة جلال الدين حبيب ، وأمر عسكره أن يبسط فى المملكة الروميـة ، فقتل من الرعايا ما يزيد على مائتى ألف ، وقيل بلغت عدة من قتل من الرعايا والفلاحين وغيرهم خمسمائة الف من قيسارية إلى أرزن الروم [ولم يقتل أحدا من النصارى[2]] ، ثم عاد أبغا إلى الأردو ، وكان من خبر قتل البرواناه معين الدين ما قدمناه .

نعود إلى سياقة أخبار السلطان الملك الظاهر

قد قدمنا أن السلطان نزل بالقرب من حارم ، وعيّد عيد الأضحى هناك ، وحضر إلى خدمته أمراء بنى كلاب ، ثم نزل السلطان بالقرب من أنطاكية فى مروجها ورحل إلى دمشق ، فكان دخوله إليها فى خامس المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وقيـل فى سابعه .

قال المؤرخ : كان السلطان لمـا توجه إلى الروم كلف أهل دمشق جباية مال بسبب إقامة الخيـل[3] ، فحضر إليـه الشيخ محيى الدين النواوى وكلمه فى ذلك

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الإضافة ضرورية للفهم وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٣٣ ش ١٢) .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٤٠ س ٧ ، ٨) .

بكلام خشن، فلاطفه السلطان، وقال له : « يا سيدى : مد يدك أعاهدك أننى متى كسرت العدو فى هذه السفرة أبطل الجباية و يكون خاطرك معى » ، فعاهده على ذلك . فلما فتح البلاد وكتب إلى الشام بالبشارة ، كتب إلى الأمير بدر الدين بكتوت الأقرعى ، شاد الدواوين بدمشق ، كتابا مضمونه : أنه لا يحل ركابا إلا وقد استخرجت من أهل دمشق مائتى ألف درهم، ومن برها ثلثمائة ألف درهم ، ومن قراها ثلثمائة ألف درهم ، ومن البلاد القبليه تكملة ألف ألف درهم ، فتبدّل فرح أهل الشام لذلك حزنا ، وتمنوا زوال الدولة ، فما كملت خباية نصف المال حتى مات السلطان .

واستهلت سنة ست وسبعين وستمائة

ذكر وفاة السلطان الملك الظاهر

ركن الدين بيبرس الصالحى رحمه الله تعالى

قال القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى السيرة الظاهرية : ودخل السلطان دمشق فى خامس المحرم وقد رنّح النصر أعطافه[1] ، وروى من دماء الأعداء أسيافه ، وقدامه مقدمو التتار قد ركبوا وهم فى القيود عوض شهب الجياد، وبعد أن كانوا مقترنين صاروا مقرنين فى الأصفاد، ونزل بقصره فى الميدان الأخضر ، معتقدا أن الدنيا فى يده قد حصلت ، والبلاد التى حلها ركابه عنه انفصلت ، وأن سعده استخلص له الأيام وأصفاها ، والممالك شرقا وغربا لو لم يكن بها غيره لكفاها ، وإذا بالمنية قد أنشبت أظفارها ، والأمنية وقد وضعت حوبها [و][2] أوزارها ، والعافية وقد شمّرت الذيل ، والصحة وقد قالت لطبيبه : « أهلك والليل » ، ورماح الخط وقد قالت لأقلام الخط : « أصبت فى لبس الحداد من المداد » ، والقلوب وقد قالت عند شق الجيوب : « نحن أحق منك بهذا المراد » ، والحصون وقد قالت لقصره الأبلق : « ما كان بناؤك على هذه الصورة إلا فألا[3] بما تسود الجدران به عند الفجائع من السواد » .

---

(١) فى الأصل « رنح النصر أعطافه وتصحيحه يستند على المحفوظ المأثور .

(٢) الإضافة يحتمها المعنى .

(٣) رسم الناسخ الفاء أقرب ما تكون إلى الميم وقد مر مثل ذلك .

قال : وكان ابتداء مرضه الذى اعتل به الوجود ، وتباشرت به الأكفان والخدود : ليلة السبت خامس عشر المحرم . فإنه ركب وقت العصر من يوم الجمعة رابع عشرة وكأنه مودع لأخدانه ورؤية موكبه وركوب حصانه ، ونزل والتاث جسمه بعض التياث ، وأصبح وليس عنده ذلك الانبعاث . فلما انقضت مـدة أجله ، وانطوت صحيفة عمله ، قبض الله روحه الزكية ، ورجعت إلى ربها راضية مرضية ، وذلك بعد الزوال من يوم الخميس سابع عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة .

وكأن نفوس العالم كانت نفسا ، وأنزل الله السكينة فلا تسمع إلا همسا ، واستصحبت مهابته السكون وخادعت العقول حتى أن ما كان[1] من وفاته كاد كل يحلف أنه ما يكون .

وحمل فى محفة إلى قلعة دمشق فى تلك الليـلة ، وسكنت الشفاة والألسنة ، وتناومت العقول من غير نوم ولا سنة . وجُعل فى بعض القاعات بالقلعة على سرير يوماً إليه بالترحم والسلام ، ولا يزوره غير الملائكة الكرام .

قال المـؤرخ : وتولى غسله وتحنيطه وتصبيره وتكفينه المهتار شجاع الدين عنبر ، والفقيه كمال الدين الإسكندرى المعروف بابن المنبجى ، والأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار ، ثم جعل فى تابوت وعلق فى بيت من بيوت قاعة البحرة بقلعة دمشق . وكانت مدة مرضه ، رحمه الله تعالى ، ثلاثة عشر يوما ، وهى مدة مرض الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رحمـه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل : « ما كانت » .

وأول ما فتحه السلطان بنفسه : فيسارية الساحل ، وآخر ما فتحه فيسارية الروم ، واستمر بقلعة دمشق إلى أن ابتاع ولده السلطان الملك السعيد دار العقيقى بدمشق بستين ألف درهم ، وحصل الشروع فى عمارتها ووضع الأساس فى يوم الأربعاء خامس جمادى الآخرة من السنة . وكانت النفقة على العمارة من ريع أملاكه . وحمل إليها ليلة الرغائب الخامس من شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، [و] بعد أن صلى عليه فى صحن جامع دمشق ليلا ، أدخل من باب البريد وخرجوا به من باب النطاقين إلى تربته وتولى حمله الأمير عز الدين أيدمر نائب السلطنة بالشام والأمير عز الدين الداودار والطواشى صفى الدين جوهر الهندى ، وألحده القاضى عز الدين الشافعى .

ولما تمت له سنة من يوم وفاته عملت له الأعزية بالقرافتين[1] ، ومدت الأسمطة للقراء والفقراء وفرقت على الزوايا ، وحضر الناس على اختلاف طبقاتهم . وقرئ له عدة ختمات ، وعمل له بعد ذلك عدة أعزية بمدرسة الشافعى ، والجامع الطولونى ، والجامع الظاهرى ، والمدارس الظاهرية ، والصالحية ، ودار الحديث الكاملية ، والخانقاه الصلاحية ، والجامع الحاكمى ، وعمل للتكارزة[2] خوان حضره جماعة من الفقراء والصالحين .

مدة حكمه

وكانت مدة ملكه ، رحمه الله تعالى ، سبع[3] عشرة سنة وشهرين واثنى عشرة يوما .

---

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٤٨ — ٦٤٩) .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل : سبعة عشرسنة .

وكان له من الأولاد : السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد قاءان بركه ، وأمه ابنة الأمير حسام الدين بركه خان بن دولة خان الخوارزمى[1] ، والملك المسعود نجم الدين الخضر ، والملك العادل بدر الدين سلامش ، وسبع بنات .

وتزوج أيضا ابنة الأمير سيف الدين نوكية[2] التتارى ، وابنة الأمير سيف الدين كراى التتارى ، وابنة الأمير سيف الدين تماجى[3] التتارى ، وامرأة شهرزورية تزوجها لما قدم غزة وحالف الشهرزورية ، ثم طلقها لما ملك الديار المصرية .

نائبـــه : مملوكه الأمير بدر الدين بيليك الخزندار .

وزراؤه : الصاحب زين الدين بن الزبير مدة يسيرة . ثم استوزر بعده الصاحب بهاء الدين على بن محمد المعروف بابن حنا .

قضاته : وقد تقدم ذكر قضاته فى أخبار دولته .

* * *

(١) كذا فى الأصل وفى السلوك (جـ ١ ص ٦٤٠ س ١٦ ، ص ٦٤٩ س ٣) النثرى .

(٢) كذا فى الأصل وفى السلوك « توكلى » (نفس الموضع) .

(٣) « « « وانظر السلوك (نفس الموضع) .

ذكر أخبار السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركه قاءآن[1] ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار الصالحى وهو الخامس من ملوك دولة الترك .

ملك الديار المصرية والبلاد الشامية، بعد وفاة والده السلطان الملك الظاهر، فى يوم الخميس سابع عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وكان ولى عهد أبيه، على ما قدمناه فى أخبار الدولة الظاهرية[2] ، فى يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة اثنتين وستين وستمائة ، وجُدّد له الحلف ، فى يوم الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وستمائة .

قال : ولما توفى السلطان بدمشق كان الملك السعيد بمصر، وكان الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة وأكابر الأمراء قد أخفوا موت السلطان[3]. وكتب الأمير بدر الدين بيليك الخزندار إلى الملك السعيد كتابا بخطه يخبره بوفاة السلطان ، ويعلمه بما دبره من كتمان ذلك إلى أن يصل بالعساكر والخزائن إلى خدمته ، وسأله كتمان الحال إلى أن يصل إليه ، وصير إليه المطالعة على يد الأمير بدر الدين الجوكان دار الحموى ، والأمير علاء الدين أيدغمش الحكمى الجاشنكير، فلما وصلا بالمطالعة وأنهيا مامعهما من المشافهة خلع عليهما وأنعم على كل منهما بخمسة آلاف درهم، وأظهر أن ذلك بسبب بشارتهما بعود السلطان إلى دمشق . ثم ركب الأمراء فى بكرة يوم السبت تاسع عشرين الشهر على العادة إلى سوق الخيل بدمشق .

(١) كذا فى الأصل ، ويرد فى الأصل أيضا (قا آن) ويرد فى السلوك (جـ ١ ص ٦٤١) قان .

(٢) راجع ما تقدم ص ١٠٠ ، ص ١٥٧ من هذا الجزء .

(٣) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٤١ سـ ٥) حيث يرد الخبر عن إخفاء وفاة السلطان .

ثم رحلوا من دمشق فى صفر بالجيوش والعساكر ، و بينهم محفـة محمولة ، وجماعة من المماليك السلطانية فى خدمتها يظهرون أن السلطان الملك الظاهر فيها وهو ضعيف ، كل ذلك حفظا للهابة ، وما زال الأمر كذلك إلى أن وصـلوا إلى الديار المصرية ، وكان وصول المحفة والأمراء إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس خامس عشرين صفر سنة ست وسبعين وستمائة ، وسلم الأمير بدر الدين الخزندار الخزائن والعساكر للسلطان الملك السعيد ، وأظهروا عند ذلك وفاة السلطان وحلف الناس للملك السعيد ، واستقر له الملك وعمره يومئذ تسع عشرة[1] سـنة .

وكتب [الملـك السعيد] إلى دمشق وسائر الممالك الشامية يخبر «النواب» بوفاة السلطان وسلطنته ، ويطلب منهم ايمين ، فوصل الأمر[2] فى البريد بذلك إلى دمشق فى يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول ، فجمع النائب عن السلطنة بها وهو الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى ، الأمراء والمقدمين ، وقرىء عليهم كتاب السلطنة فحلفوا ، وحلف جميع العسكر والقضاة والأعيان ، ثم رسم لمتولى دمشق أن يحلف أهل دمشق ، فحلف أهل كل حارة بحضور عدلين ، ورسم لمتولى البريد بذلك ، فحلف أهـل القرى والضياع ، ودامت مدة الحلف بدمشق أحد عشر يوما حتى كملت . ثم خلع على الأمراء والمقـدمين والقضاة والأعيان والنظار وكتاب الإنشاء بدمشق فى سادس عشر الشهر ، وخلع على الأعيان والأكابر بالطرحات ، وما كان قبل ذلك يخلع بالطرحة ، إلا على قاضى القضاة ، وحلف أيضا صاحب حمـاة وأهل بلده ، ونائب حلب وأمراؤها وجندها وأهلها ، وسائر الممالك الشامية لم يختلف منهم أحد ولا توقف عن اليمين .

(١) فى الأصل : تسعة عشر سنة .

(٢) فى الأصل : « الأمراء » والتصحيح يقتضيه السياق .

ذكر وفاة الأمير بدر الدين بيليك الخزندار

كانت وفاته ، رحمه الله تعالى ، بقلعة الجبل فى ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة ، وذلك أنه لما وصل إلى خدمة السلطان الملك السعيد وقف وحلف الأمراء والخواص والأجناد وغيرهم للملك السعيد ، فلما تكامل ذلك توجه إلى والدة السلطان زوجة مخدومه ليعزيها بالسلطان ويهنيها بسلطنة ابنها ، فشكرت فعله وما اعتمده من حق ولدها من حفظ السلطنة عليه ، ثم أخرجت له هنابا فيه مشروب ، وقالت له : « أشرب هذا فانك قد تعبت فى هذا اليوم وما أكلت شيئا . » فقال لها : « والله لى ثلاثة أيام ما آكل فى كل يوم نصف أوقية طعام خوفا على السلطان الملك السعيد ، ولم أزل أدارى الأمراء منذ وفاة السلطان إلى أن كمل هذا الحلف المبارك » . وتناول الهناب وشرب منه جرعتين وأعاده فى الثالثة لكثرة إلحاحهم عليه ، وتوجه إلى داره فحصل له قولنج ، وانقطع وتزايد به الأمر ، فمات ، رحمه الله تعالى . وهذا الفصل الذى دبرته والدة الملك السعيد من سوء التدبير وقبح المكافأة ، فانه وقع الخيال عندها وعند ابنها منه ، ولعل هذا الخيال كان غير صحيح : فإنه أحسن السياسة وأجمل التدبير ووفى لمخدومه ، وكان رحمه الله تعالى ، تربية السلطان ، اشتراه وهو مفردى ورباه من صغره ، وكان خزنداره ، ثم أستاد داره فى الإمره ، ونائبه فى السلطنة وكانت مكانته عنده مكينة ، يرجع إلى رأيه ويعتمد عليه فى سائر أحواله ويثق بنصحه ، وتمكن فى الدولة الظاهرية تمكنا عظيما ، وكان له بالديار المصرية إمرة مائة فارس وبالشام إمرة خمسين فارسا ، وجعل له السلطان عند زواجه

بابنه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قلعة الصبيبة و بانياس وأعمالها والشغر[1] وغير ذلك .

ولما مات وقعت الأوهام فى نفوس الأمراء وتخيلوا ، فإنهم علموا ما أسلفه المذكور من الخدمة للملك السعيد وحفظ الخزائن والعساكر ، وأنه أدى الأمانة فى طاعته .

واستناب السلطان بعد وفاته الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى الظاهرى أستاد الدار ونائب السلطنة بالديار المصرية فى غيبة السلطان ، وأقر الصاحب بهاء الدين على وزارته .

وركب[2] السلطان فى يوم الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الأول بشعار السلطنة والأمراء فى خدمته ، وتوجه صوب الجبل الأحمر ، وذلك أول ركوبه ، وخلع على الأمراء والأعيان .

ذكر القبض على من يذكر من الأمراء والإفراج عنهم ومن مات منهم

كان من سوء التدبير الذى اعتمده السلطان الملك السعيد : أنه قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيمرى[3] الشمسى فى يوم الجمعة حادى عشرين شهر ربيع الأول ، واعتقلهما بقلعة الجبل ، وكانا من أكبر الأمراء ، وأخصهم بصحبة السلطان والده ، فتغيرت لذلك قلوب الأمراء ،

---

(١) فى الأصل : الشمرا ،

(٢) عن ركوب الملك السعيد راجع السلوك (جـ ١ ص ٦٤٣) .

(٣) فى الأصل سيرى وهو خطأ يتكرر .

ثم اجتمع مماليكه ومماليك الأمير بدر الدين بيليك الخزندار، وحسنوا له القبض على نائبه الأمير شمس الدين آقسنقر [الفارقانى] واستعانوا بالأمير سيف الدين كوندك الساقى، وأمسكوه وهو جالس عند باب القلعة[1] وسحبوه إلى الدور وضربوه ونتفوا لحيته ، وذلك فى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر، واعتقل فلم يلبث إلا قليلا ومات .

ثم أفرج عن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر و بدر الدين بيسرى[2] فى يوم السبت ثانى جمادى الأولى وخلع عليهما وأعادهما إلى ما كانا عليه .

ثم قبض على خاله الأمير بدر الدين محمد بَىْ بن الأمير حسام الدين بركه خان فى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة ، واعتقله بقلعة الجبل ، فغضبت أخته والدة السلطان لذلك ، وأنكرته على ابنها ، فأفرج عنه فى ليلة الثلاثاء خامس عشرين الشهر وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه . وشرع فى خلال ذلك فى تقديم مماليكه وترجيحهم وسماع آرائهم .

قال : ولما صدرت منه هذه الأفعال اجتمع الأمراء وتشاوروا ، وقصدوا أن يتوجهوا إلى الشام ، ثم رجعوا عن ذلك و بعثوا إلى السلطان وقد اجتمعوا فى يوم خميس ، وامتلأت بهم القلعة ، وأنكروا فعله ، وحذروه عاقبة ما يطرق إليه ، فلاطفهم وحلف لهم أنه لا يريد بهم سوءا ، وتولى الأمير بدر الدين الأيدمرى اليمين ، فسكنت خواطرهم ، واستقر الحال مدة لطيفة .

وكان السلطان لما قبض على الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى رتب فى النيابة بعده الأمير شمس الدين آقسنقر الألفى المظفرى ، فلم يرضه الخاصكية لأنه غير

(١) هو باب من أبواب القلعة بناه الملك الظاهر بيبرس راجع السلوك (ج ١ ص ٤٤٦ حاشية ٦).

(٢) فى الأصل « سيرى » .

ظاهرى . واتفق أنه ولى خوشداشه الأمير علم الدين سنجر المظفرى ، المعروف بأبى خرص، نيابة المملكة الصفدية، وزاده على إقطاع النيابة نواحى من الخاص السلطانى، وهى أريحا وكفرين ونمرين من الغور ، فأوهموا السلطان منه وزعموا أنه يقصد إقامة المظفرية ولا تؤمن غائلته ، فعزله عن قريب ،وولى الأمير سيف الدين كوندك الساقى نيابة السلطنة [لأنه ربى معه فى المكتب[1]] وقيل إن ولايته كانت فى سنة سبع وسبعين . ولما فوضت إليه النيابة أمر الوزير الصاحب بهاء الدين أن يجلس بين يديه وألا يوقع إلا بأمره .

وتقدم من المماليك السعيدية الأمير حسام الدين لاجين[2] الزينى ، وانضم إليه الخاصكية ، وقويت شوكته وأخذ لخوشداشيته الإقطاعات ، ونافس النائب . فضم النائب إليه الأمراء الأكابر ، ومال إليهم واستجلبهم ، هـذا كله فى سـنة ست وسبعين وستمائة ، وبعضه فى سنة سبع على ما قيل .

وفى سنة ست وسبعين وستمائة أيضا فى يوم السبت سابع ذى القعدة : برز السلطان الملك السعيد بالعساكر إلى منزلة مسجد التبن[3] لقصـد الشام ، ثم انتقل بخواصه من هذه المنزلة فى يوم السبت حادى عشر الشهر ونزل بالميدان السعيدى وعادت العساكر إلى منازلهم وبطلت الحركة .

وفيها : فى شهر رمضان طلعت سحابة عظيمة بصفد، لمع[4] منها برق عظيم خارق،

---

(١) الإضافة للتعليل وهى منقولة من السلوك (جـ ١ ص ٦٤٤ س ٢ — ٤) .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) يقع هذا المسجد قرب المطرية بحسب حاشية ناظر السلوك (جـ ١ ص ٦٨٤ حاشيه ٣) .

(٤) فى الأصل « بلغ »

وسطع منها لسان كالنار ، وسمع صوت رعد هائل ، ووقع على منارة جامعها صاعقة شقت المنارة من رأسها إلى أسفلها شقا يدخل فيه الكف .

وفيها : سأل قاضى القضاء صدر الدين سليمان [بن أبى العز[1]] الحنفى أن يؤذن له فى الإقامة بدمشق مدرسا ومجاورا لتربة السلطان ، فأذن له ، فأقام بدمشق . وفوض قضاء الحنفية بالديار المصرية لنائبه القاضى معز الدين .

ذكر عزل قاضى القضاة محيي الدين عبد الله بن محمد بن عين الدولة وإضافة عمله إلى قاضى القضاة تقى الدين بن رزين[2]

وفى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى القعدة من هذه السنة ، عزل القاضى محيي الدين أبو الصلاح عبد الله بن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة الصفراوى[3] عن القضاء بمصر والوجه القبلى . وسبب ذلك أنه كان قد حصل له فالج منذ خمس سنين ، فأقعد وعجز عن الكتابة ، وكان يعلّم عنه كاتب الحكم ، فعزل الآن . وأضيفت ولايته إلى القاضى تقى الدين بن رزين ، وعطل القاضى محيي الدين وانقطع بمنزله إلى أن مات ، وكانت وفاته بمصر فى رابع شهر رجب ، وقيل فى خامسه من سنة ثمان وسبعين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : فوض السلطان الملك السعيد قضاء القضاة بدمشق والشام أجمع من العريش إلى سلمية لقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الشافعى ، وعزل القاضى عز الدين بن الصايغ ، وتوجه القاضى شمس الدين إلى دمشق فى سابع

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٤٨) .

(٢) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٤٧) .

(٣) كذا فى الأصل .

وعشرين ذى الحجة ، فوصل إليها فى ثالث عشرين المحرم ، وخرج الناس للقائه إلى غزة . ومنهم من وصل إلى الصالحية ، وكانت الشفاعة قد قويت بولايته قبل وقوعها .

وفيها : كانت وفاة قاضى القضاة الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى[1] الحنبلى ، فى يوم السبت ثانى عشرين المحرم سنة ست وسبعين ، ودفن يوم الأحد بتربة عمه الحافظ عبد الغنى . وكان مولده فى يوم الأحد رابع عشر صفر سنة ثلاث وستمائة بدمشق ، ولما أفرج عنه بعد القبض عليه كما تقدم ، لزم بيته بالمدرسة الصالحية وتوفر على اشتغال الطلبة إلى أن توفى . وكان كريما سمحا كثير العبادة والذكر ، وولى أيضا مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة الشيخ خضر وشىء من أخباره[2]

وفى سابع المحرم سنة ست وسبعين وستمائة : كانت وفاة الشيخ خضر ابن أبى بكر بن موسى العدوى المهرانى شيخ الملك الظاهر فى معتقله بقلعة الجبل ، ودفن بسفح المقطم .

وقد حكى الشيخ شمس الدين محمد بن مجد الدين إبراهيم الجزرى فى تاريخه ، « حوادث الزمان وأنبائه » ، مبدأ أمره ، وكيف تنقلت به الحال ، فقال : كان فى مبدأ أمره يخدم الأكابر ببلد الجزيرة ، ثم استخدم لِشَيْل زبائل دور

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٤٨ س ٤ — ٧) .

(٢) راجع شذرات الذهب (ص ٣٥١ ، وفيات عام ٦٧٦ هـ) . وراجع ما تقدم ص ١٩٨ من هذا الجزء .

السلطنة والقلعة بجامكية وجراية . ثم ذكر عنه أنه أفسد بعض جوارى الدور ، فرسم بخصيه ، فهرب إلى حلب ، وخدم بابا عند ابن قراطابا فأحبل جارية ، فطلب فهرب إلى دمشق ، والتجأ إلى الأمير ضياء الدين القيمرى ، وأقام بمغارة فى زاويته بجبل المزة ، فيقال إنه اجتمع بجماعة من الصالحين وبشروه بما يكون منه ومن السلطان الملك الظاهر . واتفق اجتماع الملك الظاهر به فى مدة مقامه بدمشق فى خدمة الملك الناصر فبشره بالملك . وكان الشيخ خضر قد احتوى على عقل الأمير سيف الدين قشتمر العجمى أحد الأمراء البحرية ، فكان يخبره بسلطنة الملك الظاهر قبل وقوعها ، ويخبره بأكثر ما وقع ، ثم اجتمع به الأمير سيف الدين ايتامش[1] السعدى فأخبره أيضا بخبر الملك الظاهر ، ثم كان من سلطنة الملك الظاهر ما قدمناه ، وصار هو فى صحبة قشتمر العجمى ، وخرج معه عند خروج السلطان إلى الشام بسبب الملك المغيث صاحب الكرك ، فلما نزل السلطان على الطور سأل عنه الأمير سيف الدين قشتمر العجمى فأخبره أنه قد انقطع فى مغارة عند قبر أبى هريرة ، رضى الله عنه ، فتوجه السلطان إليه واجتمع به ، فأخبره بوقائع كثيرة لم يخرم[2] ، فاغتبط به ولازمه ، وبقى السلطان إذا حاصر بلدا من البلاد الساحلية والجبلية يخبره الشيخ بما يكون من أمره فيها ، وبالوقت الذى يفتح فيه ، فلا يخرم ذلك . ولما قصد السلطان أن يتوجه إلى الكرك فى سنة خمس وستين وستمائة استشاره فى ذلك فأشار عليه ألا يتوجه إليها فى هذه السفرة ، وأن يتوجه إلى الديار المصرية فخالفه وتوجه إليها ، فانكسرت فخذه بركة زيزا قبل وصوله كما قدمنا ذكر ذلك . ولما رأى السلطان ذلك منه عظم عنده وبنى

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل بالعامية بمعنى الخطأ فى التقدير .

له زاوية بظاهر القاهرة بالحسينية بجـوار أرض الطبالة ، ووقف عليها أحكارا بجملة كثيرة ، وبالقدس زاوية ، وبدمشق زاوية بالمـزة ، وببعلبك زاوية ، وبحماة زاوية ، ثم هدم كنيسة اليهود بدمشق ، وهى الكنيسة العظمى عندهم ، وجعلها زاوية كما تقدم ، وهدم كنيسة النصارى بالقـدس ، وقتل قسيسها بيده وعملها زاوية ، وهدم كنيسة الروم بالإسكندرية ، وهى كرسى كنائسهم يعتقدون فيها البتركية ، ويزعمون أن رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فيها[1] ، وهو عندهم يحنا المعمدانى الذى عَمّد المسيح بن مريم ، وجعلها مسجدا وبنى فيها المحاريب وسماها المدرسة الخضراء ، وفتح لهـا شباكا إلى الطريق ، ورتب فيها فقراء من جهته ، وكذلك فى جميع زواياه : جعل بكل زاوية منها فقراء يقطعون المصانعات ويحمون أرباب الجرائم من اللصوص وغيرهم ، ويتعاطون الفسق .

قال : ولقـد سأله مرة والدى إبراهيم[2] فقال : « يا أخى ، اشتهى أعرف كيف كان سبب وصلتك إلى هذه المنزلة ؟ » ، فقال له : « والله لا أقول لك حتى تقول لى الذى تعرف منى » ، فقال له : « أعرفك شيخ نحس ، نفوك من الجزيرة ثم من حلب ومن دمشق ، وما رأيتك إلا وقد صرت فى هذه المنزلة » ، فقال : « والله العظيم صدقت ، وما صدقنى أحد فى الحديث إلا أنت يا أخى ، لمـا هربت من الجزيرة طلعت إلى جبل الجودى ، فبقيت احتطب فى كل يوم جرزة[3] حطب أبيعها بدرهـم ونصف ، فلمـا كان فى بعض الأيام إذا أنا بفقير عريان ليس عليـه لباس ، وقـد أنبت الله له شعرا على جسده ، يستر عورته ،

(١) فى الأصل « فيها » والتصحيح يستند إلى السياق .

(٢) ليس المقصود والد المؤلف بل المقصود والد صاحب الرواية الذى نقل عنه النويرى .

(٣) جرزة بمعنى حزمة (القاموس المحيط) .

فقال لى : « ياخضر ، ايش تعمل ؟ » ، قلت : « أحتطب » فقال : « تعال غدا إلى هذا المكان وخذ منه جرزتين حطب[1] ، بع الواحدة لنفسك والأخرى اشتر لى بثمنها مومى ومقصا ومشطا ، » . فقلت : نعم . فلما كان الغد قصدت ذلك المكان فوجدت به جرزتين حطبا ، فبعت إحداهما واشتريت له ما طلب ، وبعت الأخرى لنفسى ، فلما اجتمعت به قال لى : « اذهب إلى الشام ، فسوف يكون لك مع[2] ملكه شأن عظيم » . فقدر الله تعالى أنى سكنت هذه المغارة بالمزة ، فحصل لى اجتماع بالسلطان الملك الظاهر لما كان فى خدمة الملك الناصر ، وفتح على بأن بشرته بالملك ، فلما ملك كان سبب الوصلة بينى وبينه الأمير سيف الدين قشتمر العجمى . قال : « وكان ذلك الفقير قد أخبرنى بجميع ما يقع لى فى عمرى وبجميع ما يقع للسلطان واقعة بعد أخرى » .

قال : قال والدى : وكان فى ذلك الوقت قد حصل لى وجع فى ظهرى ، فقلت له : إن ظهرى يؤلمنى فمسح بيده على ظهرى ، فسكن الوجع ، فقال : « يا مجد الدين ، سكن الوجع أم لا ؟ » . قال : فقلت : أما الوجع فقد سكن ، وأما أنى اعتقد أنك رجل صالح فلا ، وإنما هذا من جملة السعادة التى حصلت لك . ثم كان من قبض السلطان عليه واعتقاله ما تقدم ذكره ، ولم يزل فى اعتقاله إلى أن مات . قال : ولما عاد السلطان من غزاة الروم إلى دمشق كتب باطلاقه فورد البريد بعد وفاته .

وكان واسع الصدر كريم النفس ، يعطى الدراهم والذهب الكثير ، ويصنع له الطعام فى قدور كبيرة مفرطة فى الكبر ، وكانت أحواله غير متناسبة والأقوال

(١) كذا فى الأصل « بالحطب » .

(٢) فى الأصل « لك ذلك » وهذا الحذف يقتضيه تركيب العبارة .

فيه مختلفة ، فمـن الناس من يثبت صلاحه ، ومنهم من يرميه بالعظائم ، وكان يكتب إلى صاحب حماة وغيره من الأمراء فى أوراقه إليهم : خضر نياك الحمارة ، وكتب بذلك إلى قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ورقة ، فأفضى عنها ، ثم أخرى كذلك ، فلما وصلت إليه الورقة الثالثة أحضر رسوله وقال له : « قل له ، والله لئن وصل إلى ورقة منه بعد هذه فيها مثل هذا : أحضرته إلى مجلس الحكم وقابلته بما يستحقه بمقتضى ما كتب به خطه » ، فامتنع بعد ذلك من مكاتبته . ومات وله نيـف وخمسون سنة ، وكان ربـع القامة ، كث اللحية ، فى لسانه عجمة ، سامحه الله وإيانا .

وفيها : كانت وفاة الأمـير جمال الدين أقش المحمدى الصالحى[1] بالقاهرة فى ليلة الخميس ثالث عشر ربيع الأول ، ودفن من الغد بتربته بالقرافة الصغرى ، وقد ناهز سبعين سـنة . وكان السلطان قـد تقم عليه وحبسه مدة ثم أفرج عنه وأعاده إلى الإمرة ، وكان رحمه الله تعالى عديم الشر .

وفيها : توفى الأمير عز الدين أيبك الدمياطى الصالحى النجمى أحد الأمراء الأكابر المقدمين . وكان السلطان الملك الظاهر قد اعتقله كما تقدم ثم أفرج عنه ، وكانت وفاته بالقاهرة فى ليلة الأربعاء تاسع شـعبان ، ودفن بتربته التى أنشأها بين القاهرة ومصر ، المجاورة لحوض السبيل المعروف به ، وقد ناف على سبعين سنة ، وكان كريما جدا ، له مروءة تامة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى الأمـير عز الدين أيدمر العلائى ، وكان ينـوب عن السلطنة بقلعة صفد ، جرى بينه وبين النواب مفاوضة أدت إلى أن طلب الدستور من

(١) أقش المحمدى الصالحى غير أقش النجيبى الصالحى ، بحسب هـذا النص وبحسب نص المتن ص ٣٨٧ من هذا الجزء ، وراجع أيضا السلوك (جـ ١ ص ٦٥٠) .

السلطان لينهى مصالح ، فأذن له فحضر إلى الديار المصرية فأدركته منيته ، فتوفى فى ليلة الأربعاء سابع عشر شهر رجب ، ودفن فى يوم الأربعاء بالقرافة الصغرى . وكان عفيفا أمينا محبا للعلماء والفقراء ، وهو أخو الأمير علاء الدين أيدكن الصالحى العمادى ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى الأمير شمس الدين بهادر المعروف بابن صاحب صهيون ، وكان قد قدم إلى خدمة السلطان الملك الظاهر قبل وفاته بثلاث سنين ، فأحسن إليه وأكرمه ، وكانت وفاته بالقاهرة فى ليلة الأحد العشرين من شعبان ، ودفن من الغد بتربته التى أنشأها خارج باب النصر ، وقد ناف على أربعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، كانت وفاة الملك القاهر بهاء الدين أبى محمد عبد الملك بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد ابن أيوب ، بغتة فى يوم السبت خامس عشر المحرم من غير مرض ، بل كان راكبا بسوق الخيل بدمشق فاشتكى ألماً فى فؤاده ، فعاد إلى منزل[1] كريمته زوجة الملك الزاهد[2] مجير الدين داود بن صاحب حمص ، فأدركته منيته ، فمات عند دخوله إليها ، وقيل إنه مات فى باب الدار قبل الدخول إليها ، ودفن بسفح قاسيون . وكان مولده فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكان رحمه الله تعالى رجلا جيدا شجاعا بطلا مقداما ، سليم الصدر حسن الأوصاف كريم الأخلاق ، لين الكلمة كثير التواضع ، حسن الإعتقاد فى الفقراء والصالحين ، وكان يلبس

(١) فى الأصل : منزله .

(٢) بضم الناصخ الدال كالراء .

ملابس العرب و يتزيا[1] بزيهم و يركب كركبهم و يتخلق بأخلاقهـم فى كثير من أفعاله ، رحمه الله .

وقد حكى الشيخ قطب الدين اليونينى[2] ، نفع الله به ، فى تاريخه ، فى سبب وفاته ، قال : حكى لى تاج الدين نوح بن شيخ السلامية[3] حكاية غريبة معناها : أن أن الأمـير عز الدين أيدمر العلائى نائب السلطنة بقلعة صفد حدثه بها ، قال : كان السلطان الملك الظاهر مولعا بالنجوم وما يقوله أرباب التقاويم ، فأخبر أنه يموت بدمشق فى هـذه السنة ، سنة سبع وستين وستمائة ، بالعم ملك[4] ، فحصل عنـده من ذلك أثر كبير . قال : وكان الملك الظاهر عنـده حسد شديد لمن يوصف بالشجاعة أو بذكر جميـل ، ولمـا دخل[5] الملك القـاهر إلى الروم صحبة السلطان ظَهَرَ يوم المصاف عن شجاعة ، وظهرت نكايته فى العدو حتى تعجب من فعله من شاهده ، ورآه الملك الظاهر فتأثر منه ، وانضاف إلى ذلك أن السلطان حصل منه فى ذلك اليوم فتور على خلاف عادته ، وظهر عليه النـدم كونه تورط فى بلاد الروم — بكلمة المـلك القاهر فى ذلك الوقت — بكلام فيـه إشارة إلى الإنكار وتقبيح فعله ، فأثر ذلك عنده أثرا آخر ، فلما عاد من غزاته وسمع الناس يلهجون بمـا فعله الملك القاهر تأثر من ذلك أيضا ، وتخيل فى ذهنه أنه إذا سَمّه فمات هو الذى ذكره أرباب النجوم لأنه يطلق عليه اسم ملك وله ذكر ، فأحضره

(١) فى الأصل « يتزايا » بزيادة ألف .

(٢) وعنه أيضا أخذ صاحب السلوك (جـ ١ ص ٦٣٥ ، ٦٣٦) .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) يرد مثل ذلك التنبؤ فى السلوك (جـ ١ ص ٦٣٥ س ١٥) بنفس ألفاظه .

(٥) فى الأصل داخل ، بزيادة ألف .

السلطان عنده لشرب القمز ، وأعد له سما فى ورقة وجعلها إلى جانبه ، من غير أن يطلع على ذلك أحدا ، وللسلطان هنايات ثلاثة تختص به مع ثلاثة من سقاته ، لا يشرب فيها غيره إلا من يكرمه و يناوله أحدها من يده ، واتفق قيام الملك القاهر لقضاء الحاجة ، فجعل السلطان ما فى الورقة فى هناب وأمسكه بيده ، فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه فقبل الأرض وتناوله وشرب ما فيه . وقام الملك الظاهر لقضاء الحاجة فأخذ الساقى الهناب من يد الملك القاهر وملأه على العادة وهو لا يشعر بما وضعه السلطان فيه ، فلما عاد السلطان تناول ذلك الهناب فشرب ما فيه وهو لا يظن أنه الذى جعل فيه ما جعل ، فلما شربه أحس واستشعر وعلم أنه قد شرب من ذلك الهناب الذى فيه آثار السم و بقاياه وتخيل وامتد به المرض ومات كما تقدم . وأما الملك القاهر فمات من غد ذلك اليوم . وذكر الأمير عز الدين العلائى أنه بلغه ذلك من مُطلع لا يشك فى أخباره ، والله تعالى أعلم .[1]

وفيها : قتل الأمير عز الدين أيبك الموصلى الظاهرى ، كان نائب السلطنة بحمص ثم نقله السلطان إلى نيابة السلطنة بحصن الأكراد وما معه ، وكان ذا صرامة ونهضة وذكاء ومعرفة ، وكان يتشيع ، قتل غيلة ليلة الأربعاء سابع عشرين شهر رجب .

وفيها : كانت وفاة الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف الدين بن مرى بن الحسن بن الحسين بن حزام بن محمد النواوى[2]

(١) انظر السلوك (جـ ١ ص ٦٣٥ ، ٦٣٦)

(٢) فى السلوك (جـ ١ ص ٦٤٨ حاشية ٢) نسبة إلى قرية (نوى) . وفى بدائع الزهور لابن أياس ، تحقيق محمد مصطفى (جـ ١ ، القسم الأول ، ص ٢٦٤) أن مولده ببلدة نوى بدمشق .

الشافعى . وكانت وفاته عند أبيه بنوى فى يوم الأربعاء خامس عشر شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، ومولده بنوى فى سـنة إحـدى وثلاثين وستمائة ، فيكون مدة عمره خمسا[1] وأربعين سنة تقريبا . وكان رحمه الله تعالى كثير الورع والزهد واسع العـلم له مصنفات مشهورة مفيدة منها : كتاب الروضة فى الفقه ، عليـه تعتمد الشافعية وبه يحتجون غالبا ، وشرح مسلم ، ورياض الصالحين ، وكتاب الأذكار ، وشرح التنبيه ، ومات قبل أن يكمله . ولم يكن فى زمانه مثله فى ورعه وزهده ، وكان لا يأكل إلا ممـا يأتيه من جهة أبيه من نوى ، فكان يخبز له الخبز بها ويُقمرّ ويرسل إليه فيأكل منـه ، وما كان يجمع بين إدامين ، فيأكل إما الدبس أو الخـل أو الزيت أو الزبيب ، ويأكل اللحم فى كل شهر مرة . وكان يتولى دار الحديث الأشرفية ، فيجمع المباشر للوقف جامكيته بهـا ، ثم يستأذنه فيما يفعل بها إذا اجتمعت ، فتارة يشترى بها ملكا ويوقفه على المكان ، وتارة يشترى بها كتبا ويوقفها ويجعلها فى خزانة المدرسة المذكوره . وكان لا يقبل لأحد هدية ، ولا يأكل لأحد من أهل دمشق طعاما ولا غيره ، وكان رحمه الله تعالى يواجه السلطان الملك الظاهر بالإنكار عليه فى أفعاله ، ويلاطفه السلطان ويحمل جفوة كلامه ويخاطبه ياسيدى ، رحمه الله تعالى . وعاش والده الحاج شرف بعده إلى سنة إحدى وثمـانين فمات فى سابع عشر صفر ، وقيل فى سنة اثنتين وثمانين ، ودفن بنوى ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل « خمسة » .

واستهلت سنة سبع وسبعين وستمائة

ذكر توجه السلطان إلى الشام وإقامته بدمشق وتجريد العساكر[1]

فى هذه السنة : توجه الملك السعيد إلى الشام وصحبته أخوه الملك المسعود نجم الدين خضر، ووالدته ابنة الأمير حسام الدين بركة خان، واستصحب الأمراء والعساكر. وكان رحيله من قلعة الجبل فى ذى القعدة، ووصل إلى دمشق فى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة من السنة. ولما حل ركابه بدمشق أمر بأبطال الجبايات والمظالم التى كانت حدثت فى الدولة الظاهرية، فاستبشر الناس بذلك .

ولما استقر السلطان بدمشق جرد العساكر المصرية والشامية ، فجرد الأمير سيف الدين قلاون الألفى الصالحى فى عشرة آلاف، وأمره أن يتوجه إلى جهة سيس، وجرد الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى فى عشرة آلاف وأمره أن يتوجه إلى قلعة الروم، وأقام هو بدمشق فى مماليكه وخواصه، ونائبه الأمير سيف الدين كوندك . وأقام بدمشق من الأمراء الأكابر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير علم الدين سنجر الحلبى ، وكان السلطان قد أفرج عنه بعد وفاة والده الملك الظاهر وأحسن إليه .

---

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٤٩ ، ٦٥٠) .

قالوا : وأراد السلطان بتجريد الأمراء الأكابر وإبعادهم عنه أن يتمكن فى غيبتهم من التدبير عليهم ، وعزم أنهم إذا عادوا قبض عليهم وأقطع أخبازهم لمماليكه ، وظن أن ذلك يتم له ، والمقادير بخلاف ظنه . فتوجه الأمراء إلى الغزاة [وفى نفوسهم من ذلك إحن[1]] وكان من أمرهم عند عودهم ما نذكره إن شاء الله تعالى .

[ذكر] أمر شاد الدواوين

وفى هـذه السنة فى رابع عشرين ذى الحجة : حصل بين الأمير بدر الدين بكتوت الأقرعى شاد الدواوين بدمشق ، وبين نائب السلطنة بها ، مفاوضة أدت إلى شكواه إلى السلطان ، فانتصر الأمراء لنائب السلطنة ، فرسم بتفويض شاد الدواوين بالشام إلى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، وكان من جملة الأمراء بحلب ، وخلع عليه وأقطع خبز الأقرعى ، ونقل الأقرعى إلى حلب على إقطاع الدوادارى .

وفى هذه السنة ، فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة وهى سنة سبع وسبعين وستمائة : ولد مؤلف هذا الكتاب وجامعه ، فقير رحمة ربه أحمد[2] بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم بن عبادة[3] بن على

---

(١) الإضافة للتعليل وهى منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٥٠ س ٥) .

(٢) كذا فى الأصل . والعبارة دالة على أن النسخ تم فى حياة المؤلف ، أما فى النسخة « ص » التى أنجزت بعد موت المؤلف فإن العبارة هى « الشيخ الفاضل شهاب الدين أحمد » .

(٣) فى الأصل « منجا » والتصحيح معتمد على عدة أمثلة تشبه فيها العين ذات الزلومة الخرطومية الزخرفية باء وجيما ، ومعتمد على ورود ذكر جد وحيد اسمه عباده (راجع السلوك جـ ٢ ص ٣٦٣) .

ابن طراد بن خطاب بن نصر بن إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر بن هلال بن الحسين بن ليث بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عبد الله ابن عتيق ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن صاحبه ، وأبي أصحابه ، وجد صاحبه ، والخليفة من بعده ، وهو ثاني اثنين ابن أبي قحافة عثمان ، رضوان الله عليهم ، بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، عرف مؤلفه بالنويري ، عفا الله عنه ولطف به ، وكان مولده بمدينة أخميم من صعيد مصر في التاريخ المذكور .

وفي هذه السنة : كانت حوادث ووفاة جماعة من أرباب المناصب ، وولاية غيرهم ، نذكرها الآن في هذا الموضع . ولا نشترط في إيرادها الترتيب ، بل نوردها بمقتضى المناصب ، فمن ذلك :

[ذكر] وفاة الأمير جمال الدين أقش النجيبي الصالحي

كانت وفاته بالقاهرة في يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر . وكان يلي أستادارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وتولى أستادارية السلطان الملك الظاهر في ابتداء سلطنته ، ثم نقله إلى نيابة السلطنة بالشام كما تقدم . وكان رحمه الله تعالى ، دينا كثير الإحسان إلى الرعية والرفق بهم . وكان يكره السعاية في الناس ، ومن سعى عنده بأحد أبعده ، وكان يحب أهل الخير ويقربهم . وأنشأ بدمشق مدرسة للشافعية وخانقاه للصوفية على الميدان بالشرف الأعلى ، وخانا للسبيل بميدان الحصا . ووقف بالديار المصرية وقفا على المجاورين .

ولم يرزق فى عصره ولدا . وكان عظيم الشكل والخلقـة ، كبير البطن ، جهورى الصوت ، أكولا ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة الصاحب بهاء الدين

وفى هـذه السنة : كانت وفاة الصاحب الوزير بهاء الدين [أبو الحسن (١)] على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا ، بمصر وقت آذان العصر من يوم الخميس سلخ ذى القعدة . ودفن يوم الجمعة قبل الصـلاة بتربته بالقرافة . ومولده بمصر فى سنة ثلاث وستمائة ، ومات وهو جد جد (٢) . وكان فى ابتداء أمره فى دكان يبيع الخام ، ثم تنقلت به الأحوال وباشر فى الديوان السلطانى حتى انتهى إلى هـذه الغاية . وكان من رجال الدهر حزما وعزما وتدبيرا ، وكتابة وتحصيلا للأموال ، وقياما بمصالح الدولة ، وكان شـديد الغيرة على منصبه ، فإذا تعرض أحد من المتعممين المباشرين إلى الإجتماع بالسلطان عمل على إتلافه (٣) ، وكذلك (٤) من يجتمع بأكابر الأمراء من هذه الطائفة ، ويحسن إلى من يتصل بخدمته وخدمة أولاده ، وينتمى إليهم ويقدمهم ، وكان حسن الظن بالفقراء والمشايخ كثير الإكرام لهم ولا يمل من حوائجهم ، ويتشفع الناس عنده بهم فلا يردهم ، وكان أمينا فى وزارته ، ما تكلم عليه ولا على أولاده بخيانة وإنمـا كانوا كلهم يتجهون تجـاه الغل (٥) ويزورون فاتسعت بذلك أحوالهم وكثرت أموالهم ، وعمروا الأبنية العظيمة

(١) الإضافـة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٥١ س ٥) وراجع شـذرات الذهب (ص ٣٥٨ ، وفيات عام ٦٧٧ هـ) .

(٢) العبارة مألوفة فى العامية . (٣) فى الأصل ، « تلاقة » .

(٤) فى الأصل ، وذلك .

(٥) الكتابة غير مقروءة وأقرب قراءة : « يتجهون نجاه الغل » : أى الكسب ، وفى الأصل بدون نقط « يتجرون نجاه العل » .

والمساكن البديعة والمتنزهات ، وعمر هو مدرسة بزقاق القناديل بمصر ، ووقف عليها أوقافا ،وكان كثير الصدقة ، والتزم صوم الدهر فى وزارته . وكان يثيب الشعراء[1] على مدائحهم ، وامتدحه الشيخ رشيد الدين الفارقى فقال : —

وقايل فى الورى نبه لها عمرا فقلت إن علينا قد تنبه لى

ما لى إذا كنت محتاجا إلى عمر من حاجة فليتم حسبى انتباه على

وكان متمكنا من السلطان الملك الظاهر ، يصرح باعتقاد بركته ، حتى رام جماعة من الأمراء الأكابر خوشداشية السلطان أذاه عند السلطان وذكر معايبه فى أوقات ، فكان السلطان إذا تنسم[2] ذلك منهم أو من أحدهم بادره السلطان بذكر محاسنه وأنه فى بركته ، فيقف من يقصد أذاه عن ذلك . ولما مات وصل الخبر إلى السلطان وهو بمنزلة الكسوة ، فأمر بايقاع الحوطة على الصاحب تاج الدين ولد ولده ، وكان صحبته ، وأخذ خطه بمائة ألف دينار ، وأرسله إلى مصر ، ورسم أن يستخرج من أخيه الصاحب زين الدين مائة ألف دينار، ومن الصاحب عز الدين بن الصاحب محيي الدين مائة ألف دينار. وفوض السلطان وزارته للصاحب برهان الدين الخضر السنجارى ، وفوضت[3] وزارة الصحبة للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء فى هذا التاريخ ، ودخل إلى دمشق متوليا .

---

(١) فى الأصل « الشعر » والتصويب يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى الأصل بالعامية .

(٣) فى الأصل « وفوضت إليه » والحذف يقتضيه السياق .

[ذكر] وفاة مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمـــر بن العـــديم

وفيها : توفى القاضى مجد الدين [أبو محمد](١) عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم قاضى الحنفية بدمشق ، وكانت وفاته بدمشق فى يوم الثلاثاء سادس شهر ربيـع الآخر ، ومولده بحلب فى جمادى الأولى سـنة أربع عشرة وستمائة . وكان رجلا دينا صالحا فاضلا لطيفا ، وتولى تدريس المدرسة الظاهرية بالقاهرة كما تقدم ، وخطابة الجامع الظاهرى بظاهر القاهرة ، ثم نقل إلى قضاء دمشق كما تقـدم . ولمـا مات فوض قضاء القضاة الحنفية بدمشق لقاضى القضاة الشيخ صدر الدين أبى الربيع سليمان بن أبى العز بن وهيب الحنفى ، وكان قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية ، وتوجه فى الصحبة الظاهرية إلى غزوة الروم ، فلمـا عاد واتفقت وفـاة السلطان سأل أن يكون مدرسا بدمشق ومجاورا لتربة السلطان ، ففوض إليه تدريس المدرسة الظاهرية بدمشق ، وكان ابتداء جلوس المدرسين بها فى ثالث صفر من هـذه السنة ، وولى تدريس الشافعية بها الشيخ رشيد الدين الفارقى ، واستمر القاضى صدر الدين فى القضاء أربعة أشهر ومات . وكانت وفاته بدمشق فى ليلة الجمعة سادس شعبان ، ودفن بسفح قاسيون بتربته وكان له ، رحمه الله ، التصانيف المفيدة فى مذهبـه ، ولمـا مات فوض القضاء بعده بدمشق لقاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان قاضى ملطية ، وكان قد حضر إلى الشام صحبة السلطان الملك الظاهر ، ففوض

---

(١) الكنية منقولة عن السلوك (جـ ١ ص ٦٥٠ ص ١) وراجع شذرات الذهب (ص ٣٥٨ ، وفيات عام ٦٧٢ هـ) .

إليه القضاء بدمشق فى التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة ، وقيل فى شوال منها .

وفيها : كانت وفاة الشيخ تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن شاها نشاه ابن غسيان بن محمد بن جلب راغب المعروف بابن ميسر المصرى[1] ، وكان فاضلا جمع تاريخا لمصر ، وقد نقلنا عنه مواضع فيما سلف من كتابنا هذا ، وكانت وفاته بمصر فى يوم السبت ثانى عشر المحرم ، ودفن بسفح المقطم . ومولده فى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول سنة ثمان وعشرين وستمائة بمصر ، رحمه الله تعالى .

[ذكر] وفاة الشيخ العارف نجم الدين أبو المعالى محمد بن الخضر الشيبانى الحريرى[2]

وفيها فى ليلة الأحد رابع عشر شهر ربيع الآخر : توفى الشيخ العارف المحقق نجم الدين أبو المعالى محمد بن الخضر بن سوار بن اسرائيل الشيبانى الحريرى بدمشق ، ودفن بقبة الشيخ أرسلان بمقبرة باب توما . ومولده فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستمائة بدمشق ، وكان دينا صالحا كريما متواضعا فاضلا أديبا ناظما ، وله ديوان شعر ، وشعره كثير المعانى ، رحمه الله تعالى .

---

(١) كانت له وزارة الصحبة بدمشق (راجع السلوك ج ١ ص ٦٧٠ — ٦٧١) .

(٢) راجع شذرات الذهب (ص ٢٩٩ وفيات عام ٦٧٧ هـ) حيث ورد أنه صاحب المقامات

واستهلت سنة ثمان وسبعين وستمائة

[استهلت] والسلطان الملك السعيد بدمشق ، وفى خدمته من الأمراء من ذكر والعساكر مجردة كما تقدم .

وفى هذه السنة فى ثامن المحرم : فوضت وزارة دمشق للصاحب فتح الدين عبد الله بن القيسرانى الحلبى ، وركب والرؤساء والأكابر فى خدمته وباشر من يومه .

وفيها فى شهر ربيع الأول : وقع بين الأمراء الخاصكية وبين الأمير سيف الدين كوندك[1] نائب السلطنة فتنة ، كان سببها أن السلطان الملك السعيد أكثر من الإنعام على الخاصكية وأوسع فى العطاء لهم ، فاتفق أنه أنعم على بعضهم بألف دينار ، فتوقف النائب فى إمضاء المرسوم ، فاجتمع المنعم عليه ببقية خوشداشيته وعرفهم ذلك ، فاجتمعوا وحضروا إلى الأمير سيف الدين كوندك واسمعوه ما يكره ، ودخلوا إلى السلطان وصمموا على عزله ، فأجابهم إلى ذلك . فخرجوا إليه ليوقعوا به ويقبضوا عليه أو يقتلوه . وكان ذلك بحضور الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، فمنعهم من ذلك وأخذه وضمه إليه . فخرج مرسوم السلطان له فى اليوم الثانى بأمرة أربعين فارسا بحلب ، فاستمر عند الأمير شمس الدين سنقر الأشقر سبعة أيام . ووردت الأخبار بعود الأمراء .

---

(١) الضبط نقلا عن ناشر النجوم من عقد الجمان ، ويضبط أيضا بضم الدال نقلا عن النجوم (ج ٧ ص ٢٦٦) .

ذكر عود الأمراء من الغزاة
وظهور الوحشة والمنافرة بينهـم وبين السلطان الملك السعيد
وتوجيههم إلى الديار المصرية

قال : ولمـا عاد الأمراء من الغـزاة وقصدوا العبور إلى دمشق ، أرسـل إليهم الأمـير سيف الدين كوندك يخبرهم بجلية الخـبر و يعلمهم بمـا تقرر سرا . ثم ركب وخرج إليهـم وتلقاهم ، واجتمع بالأمير سيف الدين قلاون الألفى ، و بدر الدين بيسرى الشمسى ، وتحدث معهما فأقاما بالمرج[1] بمن معهما من الأمراء ولم يعبرا [إلى] دمشق ، وسيرا إلى السلطان يقولان له : «إن الأمير سيف الدين كوندك حضر إلينا وشكا من لاجين الزينى شكاوى كثيرة ، ولا بد لنا من الكشف عنها ، فيسيره السلطان إلينا لنسمع كل[2] منهما وننصف بينهما» . فلم يعبأ [السلطان] بقولهما ، وكتب إلى الأمراء الظـاهرية الذين معهما أن يفارقوهما و يعـبروا الى دمشق . فوقـع القاصد بالكتب إلى الأمـير سيف الدين كوندك فأحضره إلى الأمراء وأوقفهم على الكتب ، فتحققوا سوء رأيه فيهم . ورحلوا من وقتهم من المرج ونزلوا بالجسورة[3] وأظهروا الأمور الدالة على الخلاف . وندم السلطان و بعث الأمـير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير شمس الدين سنقر التكريتى الظاهرى أستاد الدار إليهم ، وتلطف بهـم وقصد رجوعهم ، فـا وافقوا على الرجوع .

---

(١) المـرج المقصود موضع قرب دمشق ، و يفرق نص النجوم (جـ ٩ ص ٢٦٦) بين مرج عذراء ومرج الصفر والمرج .

(٢) كذا فى الأصل : بالرفع ، وحقه النصب .

(٣) موضع بظاهر دمشق .

ثم خرجت إليهم[1] والدة السلطان إلى منزلة الكسوة ، واجتمعت بالأمراء وسألتهم الرجوع فما رجعوا . وساروا إلى الديار المصرية ، فوصلوا إليها ونزلوا تحت الجبل فى شهر ربيع الآخر ، فاتصل بالأمراء المقيمين بالقلعة قدومهم ، وكان بها الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى أمير جاندار ، والأمير علاء الدين أقطوان الساقى ، وسيف الدين بلبان الزريقى ، فتقدموا إلى متولى القاهرة بغلق أبوابها فغلقت ، وبنى خلف أكثرها الحيطان . فأرسلوا إلى الأمراء الذين بالقلعة فى فتح الأبواب ليعبر العسكر إلى بيوتهم ، فنزل الأمير عز الدين الأفرم ، والأمير علاء الدين أقطوان إلى الأمراء ليجتمعا بهم ، فقبض عليهما الأمير سيف الدين كوندك ، وأرسل الأمراء ففتحوا أبواب المدينة . ودخل الناس إلى بيوتهم بأثقالهم . ولما قبض على الأمير عز الدين الأفرم وعلاء الدين أقطوان نقلان الى دار الأمير سيف الدين قلاون بالقاهرة . وأغلق الأمير سيف الدين بلبان الزريقى أبواب القلعة واستعد للحصار .

ذكر وصول السلطان إلى قلعة الجبل وما كان من أمره إلى أن انخلع من السلطنة

قال المؤرخ : ولما رأى السلطان توجه الأمراء إلى الديار المصرية وانفرادهم عنه ، جمع من كان بدمشق من بقايا العسكر المصرى والعساكر الشامية ، واستدعى العربان وأنفق[2] الأموال فيهم بدمشق ، وسار إلى الديار المصرية . وكان رحيله من دمشق فى يوم الجمعة ثانى شهر ربيع الآخر ، وسلم قلعة دمشق إلى الأمير

(١) انظر النجوم (جـ ١ ص ٢٦٧ س ٣) .

(٢) فى الأصل « تفق » وتلك عادة المؤلف دائما عند استعمال هذا الفعل .

علم الدين سنجر الدوادارى وجعله نائبا إلى حين عود الأمـير عز الدين أيدمر النائب ، فلما وصل السلطان إلى غزة تسلل أكثر العربان وتفرقوا ، ولم يصل إلى بلبيس ومعه من العسكر الشامى إلا اليسير . فأعطى من بقى منهم دستورا ، فعادوا صحبة الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الشام ، وكان وصولهم فى مستهل جمادى الأول . وكان الأمير سيف الدين قلاون لما عاد من غزاة سيس جرد من العسكر الشامى بحلب الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجـالق الصالحى ، والأمير عز الدين أزدمر العلائى ، والأمير شمس الدين قراسنقر المعزى ، والأمير جمال الدين أقش الشمسى وغيرهم فى نحو ألفى فارس ، فلما اتصل بهم خبر هذا الاختلاف رجعوا إلى دمشق فى شهر ربيع الآخر وقد موا عليهم الأمير جمال الدين أقش الشمسى . ووصل الأمير عز الدين أيدمر النائب بالشام إلى دمشق هو ومن معـه فخرج الأمراء الذين وصلوا من حلب يتلقونه . فلما التقوه سبه الأمـير ركن الدين الجالق والأمير عز الدين أزدمر العلائى وقالا له : « كيف فارقت السلطان » . فلما وصلوا إلى باب الجابية[1] أخذه الأمير جمال الدين أقش الشمسى إلى داره وقال له : « تكون بدارى إلى أن يرد مرسوم السلطان ، ولا تكون سبب إقامة فتنة » . فتوجه معـه إلى داره فأقام عنده إلى عشية النهـار ، وجاء الأمـير ركن الدين الجالق وأزدمر العـلائى إلى الأمـير جمال الدين أقش الشمسى بعد صـلاة العصر وأخذا الأمـير عز الدين النائب من عنده وتوجها به إلى القلعـة وسلماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى فتسلمه منهما وجعله بقاعة البحرة ، ورسم عليه ومكنه من دخول الحمام . فجاء الأميران إلى القلعة فى يوم الاثنين بعد

(١) هو أحد أبواب دمشق (راجع النجوم جـ ٧ ص ٢٨٧ حاشية ١) .

العصر واجتمعا بالدوادارى وأنكرا عليه كونه مكنه من دخول الحمام ، وقالوا : « تسلمه إلينا نتوجه به إلى الديار المصرية » ، فقال : « إنه ما جاءنى ولا جاء كم مرسوم بالقبض عليه . وقد قبضتم عليه ووصل إلى عندى ، فكيف أسلمه إليكما وبأى عذر اعتذر إلى السلطان» . فأغلظوا له فى القول . فلما أنكر حالهم وثب من بينهما وأمر رجاله بالقلعة بغلق أبوابها . فوثب الأميران وجردا سيوفهما وخرجا على حمية ، وأغلق الدوادارى باب قلعة دمشق .

هذا ما كان بالشام .

أما الملك السعيد فانه لم يبق معه من الأمراء الأكابر إلا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر والأمير علم الدين الحلبى ، والبقية من المماليك السعيدية ، كلاجين الزينى ومن يجرى مجراه ، فلما وصل إلى قرب المطرية فارقه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وانفرد عنه وعن الأمراء .

قال : ولما بلغ الأمراء أن السلطان يقصد طلوع القلعة من وراء الجبل الأحمر ركبوا ليمنعوه من الوصول إلى القلعة ، فجاء سحاب أسود وأظلم الوقت حتى أن الإنسان لا يرى رفيقه الذى يسايره ، فطلع السلطان إلى القلعة ، وما رآه . ولما استقر بها حاصره الأمراء وأحاطوا بالقلعة ، واتفق أن لاجين الزينى أنكر على الأمير سيف الدين بلبان الزريقى وشتمه ، فتغير خاطره ونزل من القلعة وانحاز إلى الأمراء ، وتسلل المماليك من القلعة واحدا بعد واحد ونزلوا إلى الأمراء . وأشار الأمير علم الدين سنجر الحلبى على السلطان بالإفراج عن المعتقلين ، فأفرج عن الأمراء الشهرزورية وغيرهم ، واستشار السلطان الأمير المشار إليه فيما يفعل ، فقال : « أرى أن آخذ المماليك السلطانية وأهجم بهم على الأمراء وافرق شملهم » . فلم

يوافقه على ذلك وتمادى الأمر أسبوعا ، فأرسل السلطان إلى الأمراء وسألهم أن يكون الشام بكماله لهم، فأبوا ذلك إلا أن يخلع نفسه من الملك . فالتمس من الأمير سيف الدين قلاون والأمير بدر الدين بيسرى أن يعطوه قلعة الكرك، فأجاباه إلى ذلك . ونزل من القلعة بعد أن حلفوه ألا يتطرق إلى غيرها وأن لا يكاتب أحدا من النواب ولا يستميل أحدا من الجند . وحلفوا له أنهم لا يؤذونه فى نفسه ولا يغيرون عليه . وسفروه لوقته صحبة الأمير سيف الدين بيغان(١) الركنى وجماعة يوصلونه إلى الكرك . فأوصلوه إليها وتسلمها من الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى النائب بها ، وتسلم ما بها من الأمـوال والذخائر . وكان خروجه من السلطنة فى شهر ربيع الآخر سنة ثمـان وسبعين وستمائة . فكانت مدة سلطنته بعد وفاة والده سنتين وشهرين وأياما .

ثم ملك بعـده أخوه السلطان الملك العادل بدر الدين سُلامش(٢) بن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيـبرس الصالحى وهو السادس من ملوك دولة الترك بالديار المصرية .

ملك بعـد خلع أخيه السلطان الملك السعيد فى شهر ربيع الآخر سـنة ثمـان وسبعين وستمائة . وذلك أنه لمـا سُفِّر الملك السعيد إلى الكرك عرضت السلطنة على الأمير سيف الدين قـلاون فأبى ذلك ، وقال : « لم أخلع الملك طمعا فى السلطنة إلا حفظا للنظام ، وألفـةً لأكابر الأمراء أن يتقـدم عليهم الأصاغر ،

(١) كذا فى الأصل ، وفى النجوم يبدغان « بالدال لا بالباء (النجوم جـ ٧ ص ٢٧٠ س ١١ ص ٢٧٤ س ١) .

(٢) ضبط الاسم بفتح السين أو ضمها وبكسر الميم أو ضمها نقلا عن النجوم (جـ ٧ ص ٢٨٦ حاشية ٢) .

والأولى ألا تخرج السلطنة عن الذرية الظاهرية ، فأقام بدر الدين سلامش هذا وله من العمر سبع سنين ، وخطب له على المنابر ، وضربت السكة باسمه ، ودبر الأمر سيف الدين قلاون أتابكية الدولة . ولم يكن للملك العادل معه غير مجرد الاسم . وأقر الصاحب برهان الدين السنجارى[1] على الوزارة وعزل قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن زين على القضاء بالديار المصرية ، وفوضه إلى القاضى صدر الدين عمر بن قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز وذلك فى جمادى الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة . وعزل القاضى شمس الدين بن شكر المالكى ، والقاضى معز الدين الحنفى عن القضاء . ثم أعيدا بعد مدة يسيرة . وفوض قضاء الحنابلة للقاضى عز الدين المقدس الحنبلى . واستناب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بالشام وسيره إلى دمشق . وكان وصوله إليها فى يوم الأربعاء ثانى جمادى الآخرة . وحال وصوله طلب الأمير علم الدين سنجر الداوادارى نائب قلعة دمشق وأمره بتسليم القلعة للأمير سيف الدين الصالحى . حسب مارسم به ، فتسلمها واستمر نائبا بها .

وفى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة أمر الأمير شمس الدين بالقبض على الصاحب فتح الدين ابن القيسرانى وإيقاع الحوطة على موجوده وسير إلى الأبواب السلطانية تحت الإحتياط .

قال : وأخذ الأمير سيف الدين قلاون فى القبض على الأمراء الظاهرية[2]

---

(١) هو الصاحب برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن بن على السنجارى الشافعى (النجوم ج ٨ ص ٢٧٢ س ١٣) .

(٢) من القبض على الأمراء الظاهرية ، راجع النجوم (ج ٧ ص ٥٨ س ٢٩٢ س ٩) .

وهو فى أثناء ذلك يدبر الأحوال ويفرق الأمـوال ويوس الممالك ويمهد لنفسه المسالك .

وأما الأمير بدر الدين بيسرى فإنه إشتغل بالشرب واللهو . فاجتمعت آراء الأمراء على استقلال الأمير سيف الدين قـلاون بالسلطنة ، فأجابهم إلى ذلك ، وخلع الملك سلامش من السلطنة . فكان (كذا) مدة وقوع اسم السلطنة عليه مائة يوم[1] .

وكان حسن الصورة ، جميل الهيئة ، كثير السكون والحياء والعقل والأدب والتأنى على صغر سنه .

* * *

(١) نفس المسألة بتمامها فى النجوم (جـ ٧ ص ٨٥ حاشية ١) .

نجز السفر الثامن والعشرون من كتاب

نهاية الأرب فى فنون الأدب

على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكرى التميمى القرشى ، عرف بالنويرى عفا الله عنه .

ووافق الفراغ من كتابته فى يوم السبت المبارك التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وعشرين وسبعمائة للهجرة النبوية .

وذلك بالقاهرة المعزية عمرها الله تعالى بالإسلام والسنة إلى يوم الدين .

يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول السفر التاسع والعشرين منه :

ذكر أخبار السلطان الملك المنصور سيف الدين

قلاون الألفى الصالحى النجمى

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فهرس موضوعات الجزء الثلاثون

من كتاب نهاية الأرب للنويرى

تقـــديم ٥

سنة ثمـان وخمسين وستمائة ١٣ — ١٥

ذكر أخبار السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ... ١٣

سنة تسع وخمسين وستمائة ١٧ — ٥١

ذكر تفـويض الوزارة إلى الصاحب الوزير بهـاء الدين على بن القاضى سديد الدين أبى عبد الله محمد بن سليم المعروف بابن حنا ١٨

ذكر القبض على جماعة من الأمراء المعزية ١٨

ذكر تفويض قضاء القضاء بالديار المصرية لقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ١٩

ذكر ما اعتمده السلطان فى ابتداء سلطنته ورتبه من المصالح وقرره من القربات والأوقاف والعمائر ٢٣

ذكر بنـاء قلعـة الجزيرة ٢٣

ذكر وصـول من يذكر من المـلوك إلى خدمة السلطان ، وما قرره لكل منهم وما عاملهم به من الإحسان ٢٦

ذكر وصول الخليفة المستعصم بالله إلى الديار المصرية ومبايعته وتجهيزه بالعساكر إلى بلاد الشرق وما كان من أمره إلى أن قتل ٢٨

ذكر استيلاء الأمير علم الدين سنجر الحلبي على دمشق وسلطنته بها ، وأخذها منه وتقرير نواب السلطان بها ٣٨

ذكر ما اتفق بحلب من أمر النيابة ٣٩

ذكر وصول طائفة من التتار إلى البلاد الإسلامية ، وما فعلوه بحلب وتقدمهم إلى حمص وقتالهم وانهزامهم ، وما كان من خبر عودهم ... ٤٠

ذكر الغلاء الكائن بحلب ٤٣

ذكر اختلاف العزيزية والناصرية ، ومفارقة الأمير شمس الدين أقش البرلى البلاد ، وتولية الحلبي نيابة حلب وعزله ، وعود البرلى إليها وخروجه منها ، ونيابة البندقدار وعود البرلى إليها ثانية وخروجه ٤٣

ذكر ما اتفق للسلطان بالشام فى مدة مقامه بدمشق ٤٦

ذكر ركوب السلطان إلى الميدان بدمشق ولعبه بالكرة ومن كان فى خدمته من الملوك ٤٦

ذكر الصلح مع ملوك الفرنج ٤٧

ذكر الغارة على العرب والفرنج ٤٨

ذكر عود السلطان إلى الديار المصرية ٤٩

ذكر أخذ الشوبك ٤٩

سـنة ستين وستمائة ٥٣ — ٧٧

ذكر وصـول الأمير شمس الدين سـلار البغدادى وشىء من أخباره ٥٤

ذكر عود رسل السلطان من جهة الأنيرو ٥٦

ذكر عود رسـل السلطان من جهـة صاحب الروم ووصول رسله إلى السلطان ، وما قرره السلطان من بلاده ٥٦

ذكر عود رسل السلطان من جهة الأشكرى ، وخبر مسجد القسطنطينية ٥٨

ذكر حضور الأمير شمس الدين أقش البرلى العزيزى إلى الديار المصرية ٥٩

ذكر القبض على علاء الدين طيبرس الوزيرى نائب السلطنة بالشام ٦٠

ذكر وصـول جماعة من التتار إلى خدمة السلطان ٦٢

ذكر إنفاذ الرسـل إلى الملك بركة ٦٤

ذكر تفويض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير جمـال الدين النجيبى الصالحى ٦٥

ذكر وفاة شيخ الإسلام عز الدين أبى محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبى القاسم بن الحسن بن أبى محمد السلمى الدمشقى وشىء من أخباره ٦٦

سنة إحدى وستين وستمائة ٧٩ — ٩١

ذكر البيعة للإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد العباسى ٧٩

ذكر القبض على الملك المغيث صاحب الكرك واعتقاله ٧٩

ذكر أخذ الكرك ٨٢

ذكر القبض على الأمراء وهم : الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، والأمير شمس الدين أقش البرلى ، والأمير عز الدين الدمياطى وما نقل من الأسباب الموجبة لذلك ٨٤

ذكر وصول رسل الملك بركة ٨٧

ذكر توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية... ... ... ٨٨

ذكر وصـول التتار المستأمنين ٨٩

سنة اثنتين وستين وستمائة ٩٣ — ١١٠

ذكر تفويض أمر جيش حماة إلى الطواشى شجاع الدين مرشد الحموى ٩٣

ذكر عمارة المدرسة الظاهرية وترتيب الدروس ٩٣

ذكر وفاة الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص والرحبة ٩٤

ذكر جلوس السلطان بدار العدل وما رتبه عند غلو الأسعار ٩٦

ذكر جلوسه بدار العدل وما قرره من مشاركة أمناء الحكم للأوصياء ٩٨

ذكر وصول جماعة من عسكر شيراز ٩٩

ذكر سلطنة الملك السعيد ١٠٠

ذكر ختان الملك السعيد ومن معه ١٠٣

ذكر خبر غازية الخناقة ١٠٣

ذكر وصول رسل الملك بركة ١٠٥

ذكر توجه السلطان إلى الإسكندرية وتقديم سيف الدين عطاء الله على عرب برقـة ١٠٦

ذكر الواقعة الكائنة بين المسلمين والفرنج ببلاد الأندلس، وانتصار المسلمين ١٠٨

ذكر مقتل الزين الحافظى ١٠٩

سنة ثلاث وستين وستمائة ١١١ — ١٢٦

ذكر خبر الحريق بالقاهرة ومصر واتهام أهل الذمة، وما قرره عليهم من الأموال بسببه ١١٤

ذكر تفويض القضاة لأربعة حكام ١١٧

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الأقرع ١٢٣

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الرومى وذنوبه السابقة ... ١٢٣

ذكر وفاة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى وشىء من أخباره ... ١٢٤

سنة أربع وستين وستمائة ١٢٧ — ١٣١

ذكر عمارة جسر دامية ١٢٧

ذكر الوثوب على الأمير عز الدين الحلى وضربه بالسكين وسلامته وقتل الأمير صارم الدين المسعودى ١٢٩

سنة خمس وستين وستمائة ١٣٣ — ١٤٨

ذكر عود السلطان إلى الديار المصرية وبناء الجامع الظاهرى ... ١٣٣

ذكر إقامة الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة وشىء من أخباره ١٣٥

ذكر إنشاء القصر الأبلق بالميدان بظاهر دمشق ١٣٦

ذكر توجه السلطان إلى الشام وعمارة قلعة صفد ١٣٧

ذكر وفاة قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ، ونبـذة من أخباره رحمه الله ، ومن ولى قضاء الشافعية وغيره من مناصبه بعـد وفاته ١٤٠

ذكر وصول الشريف بدر الدين مالك بن منيف وإعطائه نصف إمره المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ١٤٦

ذكر تسـمير من يذكر بالقـاهرة ١٤٧

سـنة ست وستين وستمائة ١٤٩ — ١٥٦

ذكر أخذ الزكاة من عرب الحجاز ١٤٩

ذكر ظهور المـاء بالقدس الشريف ١٤٩

ذكر خبر الحبيس النصرانى ومقتله ١٥١

ذكر بناء القـرية الظاهرية قرب العباسة ١٥٢

ذكر إيقاع الحوطة السلطانية على الأملاك والبساتين وما تقرر على أربابها من المـال ١٥٢

ذكر وصـول الأمير شمس الدين سنقر الأشـقر من بلاد التتار . والصلح مع التكفور هيتوم صاحب سيس ١٥٣

سنة سبع وستين وستمائة ١٥٧ — ١٦٧

ذكر تجـديد الحلف للملك السعيد ١٥٧

ذكر توجه السلطان على خيـل البريد إلى الديار متنكرا وعوده إلى مخيمه بخـربة اللصوص ولم يعلم من به بتوجهه ١٦١

ذكر وفاة الأمير عز الدين أيدمر الحلى الصالحى نائب السلطنة ١٦٥

ذكر توجه السلطان الملك الظاهر إلى الحجاز الشريف ١٦٦

سنة ثمـان وستين وستمائة ١٦٩ — ١٧٢

ذكر توجه السلطان إلى الشام جريدة ١٧٠

سنة تسع وستين وستمائة ١٧٣ — ١٨٣

ذكر القبض على الملك العزيز فخـر الدين عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك والأمراء الشهرزورية ١٧٣

ذكر حادثة السـيل بدمشق ١٧٦

ذكر سفر الشوانى الإسلامية إلى قبرس وكسرها وأسر من كان بهـا وخلاصهـم ١٧٨

ذكر عـود السلطان إلى قلعته ووصول رسـل اليمن واهتمامه بأمر الشوانى ، وما أنعم به من الخلع والخيول على الأمراء والأجناد ١٧٩

ذكر القبض على من يذكر من الأمراء ١٨٠

سنة سبعين وستمائة ١٨٥ — ١٩٥

ذكر توجه السلطان إلى الكرك ثم إلى الشام وعزل الأمير جمال الدين النجيبى عن نيابة دمشق وتولية الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك نيابة السلطنة بالشام واسـتنابة الأمير علاء الدين أيدكن أسـتاد الدار بالكرك ١٨٥

ذكر عود السلطان من حلب ورجوعه إلى الديار المصرية وعوده إلى الشام ١٨٨

ذكر إيقاع الحوطة على القاضي شمس الدين الحنبلي واعتقاله ١٩٠

ذكر توجه السلطان إلى الصعيد ثم إلى الشام ١٩١

سنة إحدى وسبعين وستمائة ١٩٣ — ٢٠٣

ذكر توجه السلطان إلى الديار المصرية على خيل البريد وعوده إلى الشام ١٩٣

ذكر اعتقال الشيخ خضر والأسباب التي أوجبت ذلك ١٩٨

سنة اثنتين وسبعين وستمائة ٢٠٣ — ٢٠٤

ذكر الطلسم الذي وجد بباب القصر بالقاهرة ٢٠٣

ذكر توجه السلطان إلى الشام ٢٠٥

ذكر وصول الملك شمس الدين بهادر صاحب شميساط وشيء من أخباره ٢٠٧

ذكر الظفر بملك الكرج ٢٠٨

ذكر ختان الملك المسعود نجم الدين خضر ولد السلطان الملك الظاهر ٢١٠

ذكر نكتة غريبة ٢١٠

ذكر ورود كتاب متملك الحبشة ٢١١

سنة ثلاث وسبعين وستمائة ٢١٥ — ٢١٧

سنة أربع وسبعين وستمائة ٢١٩ — ٢٣١

ذكر شنق الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وغيره ... ٢٢٠

ذكر متجددات اتفقت بعد وصول السلطان إلى الديار المصرية غير
ما تقدم ذكره ٢٢١
ذكر توجه رسل السلطان إلى أشبيلية وما كان من خبرهم ٢٢٢
ذكر اتصال الملك السعيد بابنة الأمير سيف الدين قلاون ٢٢٣
ذكر توجه السلطان إلى الكرك واستبداله بمن فيها من الرجال وعوده ٢٢٧
سنة خمس وسبعين ومستمائة ٢٣٣—٢٣٧
ذكر وصول جماعة من أمراء الروم إلى خدمة السلطان وطاعتهم له ٢٣٣
ذكر ظهور المسجد بجوار دير البغل ، وإقامة شعائر الإسلام به ... ٢٣٥

غزوات السلطان الملك الظاهر
وفتوحاته وما استولى عليه من البلاد الإسلامية

ذكر ما استولى عليه من القلاع والحصون والبلاد الإسلامية وأضافه
إلى ممالكه ٢٣٩
ذكر فتوح سواكن ٢٣٩
ذكر فتوح خيبر ٢٤٠
ذكر فتوح قرقيسيا ٢٤١
ذكر فتوح بلاطنس وخبرها ٢٤٢
ذكر تسليم صهيون وبرزية ٢٤٣
ذكر أخبار الإسماعيلية وابتداء أمرهم والإستيلاء على حصونهم ... ٢٤٤

ذكر استيلاء السلطان على بلاد الإسماعيلية وشيء من أخبارها ... ٢٤٧
ذكر فتوح العليقة والرصافة ٢٤٩
ذكر فتوح بقية حصون الدعوة ٢٥٠
ذكر أخبار هذه الحصون ٢٥٢
ذكر غزوات السلطان وفتوحاته وما وقع من المصالحات والمهادنات ٢٥٥
ذكر مسير السلطان إلى عكا... ... ... ٢٥٧
ذكر قصد متملك الأرمن حلب المحروسة... ... ... ٢٥٩
ذكرة محاصرة التتار البيرة وتجريد العساكر وانهزام العدو ٢٦٢
ذكر الفتوحات بالبلاد الفرنجية فى هذه السفرة ٢٦٥
ذكر فتوح قيسارية ٢٦٦
ذكر التوجه إلى عثليث وأخذ حصن الملوحة وحيفا ٢٦٧
ذكر فتوح أرسوف ٢٦٨
ذكر ما ملكه السلطان لأمرائه من النواحى التى فتحها الله على يده ٢٧٢
ذكر قصد البرنس صاحب طرابلس حمص وانهزامه ٢٨١
ذكر إغارة العساكر على طرابلس الشام وفتح قلعة حلبا وقلعة عرقا ٢٨٢
ذكر إغارة العسكر على صور ٢٨٤
ذكر فتوح صفد ٢٨٥
ذكر غزوة سيس وأسر ملكها وقتل أخيه وعمه وأسر ولد عمه ... ٢٩٠

ذكر قتل أهل قارا وسبي ذراريهم ٢٩٢

ذكر وقعة مع الفرنج كانت النصرة فيها للمسلمين ٢٩٤

ذكر إغارة السلطان على عكا ٢٩٥

ذكر الصلح مع بيت الإسبتار على حصنى الأكراد والمرقب ٢٩٧

ذكر فتوح يافا ٢٩٨

ذكر فتوح شقيف أرنون ٣٠١

ذكر توجه السلطان إلى طرابلس وإغارته عليها ٣٠٤

ذكر فتوح أنطاكية ٣٠٥

ذكر ملخص أخبار أنطاكية ٣١١

ذكر ما أعتمده السلطان فى قسمة غنائم أنطاكية و إحراقه قلعتها .
وما افتتحه مما هو مضاف إليها وهو : دير كوش وشقيف كفر دنين
وشقيف كفر تلميس ٣١٧

ذكر صلح القصير على المناصفة ٣١٩

ذكر فتوح حصن بغراس من الديوية ٣١٩

ذكر الإغارة على صور ٣٢٠

ذكر الإغارة على بلاد كركر وأخذ قلعة شرموشاك ٣٣١

ذكر الإغارة على عكا ٣٣١

ذكر فتوح قلعة صافيتا ٣٢٤

ذكر صلح أنطرطوس والمرقب ٣٢٨

ذكر فتوح حصن عكار ٣٢٩

ذكر صلح طرابلس ٣٣١

ذكر فتوح القرين ٣٣٢

ذكر صلح صور وما تقرر من المناصفة ٣٣٣

ذكر منازلة التتار البيرة وكسرهم على الفرات وقتل مقدمهم جنقر ٣٣٣

ذكر فتوح كينوك ٣٣٥

ذكر إغارة عيسى بن مهنا على الأبتار ٣٣٦

ذكر الإغارة على مرعش ٣٣٧

ذكر غزوة سيس ٣٣٧

ذكر شيء من أخبار بلاد سيس وسبب استيلاء الأرمن عليها ٣٤٠

ذكر منازلة حصن القصير وفتحه ٣٤١

ذكر وفاة الأبرنس صاحب طرابلس وما اتفق بعد وفاته ٣٤٣

ذكر غزوة النوبة... ... ... ٣٤٤

ذكر غزوات النوبة فى الإسلام ٣٤٨

ذكر غزوة الروم وقتل التتار ٣٥٠

ذكر رحيل السلطان عن قيسارية وهرب عز الدين أيبك الشيخى ولحاقه بأبغا وعود السلطان إلى ممالكه ٣٥٧

ذكر ما اعتمده الأمير شمس الدين محمد بك بن قرمان أمير التركمان في البلاد الرومية ٣٥٩

ذكر وصول أبغا إلى بلاد الروم ومشاهدته مكان الوقعة وما فعله بأهل الروم من القتل والنهب ٣٦١

العودة إلى سياقة أخبار السلطان الملك الظاهر ٣٦٢

سنة ست وسبعين وستمائة ٣٦٥ - ٣٨٤

ذكر وفاة السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي رحمه الله تعالى ٣٦٥

مـــدة حكمـــه ٣٦٧

ذكر أخبار السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركه قاءان بن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار الصالحي وهو الخامس من ملوك دولة الترك ٣٦٩

ذكر وفاة بدر الدين بيليك الخزندار ٣٧١

ذكر القبض على من يذكر من الأمراء والإفراج عنهم ومن مات منهـــم ٣٧٢

ذكر عزل قاضي القضاة محيي الدين عبد الله بن محمد بن عين الدولة وإضافة عمله إلى قاضي القضاة تقي الدين بن زين ٣٧٥

ذكر وفاة الشيخ خضر وشيء من أخباره ٣٧٦

سنة سبع وسبعين وستمائة ٣٨٥ — ٣٩١

ذكر توجه السلطان إلى الشام وإقامته بدمشـق وتجريد العساكر ٣٨٥

ذكر أمر شاد الدواوين ٣٨٦

ذكر وفاة الأمير أقش النجيبى الصالحى ٣٨٧

ذكر وفـاة الصاحب بهـاء الدين ٣٨٨

ذكر وفاة مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب بهاء الدين عمر بن العديم ١٩٠

ذكر وفاة الشيخ العارف نجم الدين أبو المعالى محمد بن الخضر الشيبانى

الحـــريرى ٣٩١

سنة ثمـان وسبعين وستمائة ٣٩٣ — ٤٠٠

ذكر عود الأمراء من الغزاة وظهور الوحشة والمنافرة بينهم وبين

السلطان الملك السعيد وتوجيههـم إلى الديار المصرية ٣٩٤

ذكر وصول السلطان إلى قلعة الجبل وما كان من أمره إلى أن انخلع

من السـلطنة ٣٩٥

فهـرس موضوعات الكتاب ٤٠٣

التعريف بمصطلحات المتن ٤١٧

التعريف بمصطلحات المتن (*)

أتابك :

أطلق هذا اللقب فى أيام المماليك بمصر على مقدم العساكر أو القائد العام ، على اعتبار أنه أبو العساكر والأمراء جميعا ، وكان يسمى أتابك العساكر .

الأخوة الإسبتارية :

من الطوائف الدينية العسكرية ، وهى تدين للبابا مباشرة بالطاعة وزاد ما يجرى بذله لها من الأراضى ، وجعل لها معظم رجال الكنيسة عشر ما يرد إليهم من دخل .

الأخوة الداوية :

أو الفرسان الداوية ، وفكرة إنشاء هذه الطائفة فكرة دينية وعسكرية ، واتخذوا الصليب الأحمر شعارا لهم فجعله الفرسان على أرديتهم البيضاء واتخذه الأجناد على ستراتهم السوداء .

اردو :

لفظ مغولى معناه المعسكر .

أستادار (الأستدارية) :

هو الذى يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير ومصروفاته وتنفذ فيه أوامره ، وهو فارسى مركب .

أمراء العربان :

فرقة من العساكر غير النظامية فى الجيش ، وكانت تؤلف طلائع الجيش النظامى . وهم مشاة أو فرسان .

(*) لوحظ أن بعض مصطلحات المتن تحتاج إلى مزيد من التعريف ، فتم حصرها والتعريف بها . ولمزيد من الايضاح راجع « التعريف بمصطلحات صبح الأعشى » للاستاذ محمد قنديل البقلى ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٨٤ .

امير جاندار :

وظيفتـه أن يستأذن على دخول الأمراء لخـدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان ويقـدم البريد مع الدوادار وكاتب السر .

أمير مجلس :

هو الذى يتحـدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم . ولا يكون إلا واحدا . ومن عمله أيضا أنه يتولى أمر مجلس السـلطان أو الأمـير فى الترتيب وغيره .

البرواناه :

لفظ فارسى معناه فى الأصـل الحـاجب . وقـد أطلق فى دولة السلاجقة الروم بأسيا الصغرى على الوزير الأكبر .

البريدى :

هو الذى يحمل البريد ، وله رؤساء تسمون مقدمى البريد .

البشـارة :

كثيرا ما يذكر المؤرخون هذه العبارة بعـد إيراد حادث سار . والبشائر أيضا تعنى الرسائل التى كان السـلاطين يبعثون بهـا إلى البـلاد والأعمال فى الأعياد والمواسم والحوادث السارة .

البطاقة :

نوع من المكاتبات تحمـل على أجنحة الحمـام ، وتكتب على ورق خاص رقيق للغاية من صنف الورق الشامى يعرف بورق الطير .

بطريك :

لقب يكتب به عن الأبواب السلطانية للملوك المسيحيين والمتدينين منهم خاصة . وكان يكتب بهذا اللقب إلى رئيس الروم .

البقط :

يطلق البقط على المـال الذى فرضه المسلمون على النوبة بعد فتحهم لها .

ويعرف المقريزى فى خططه البقط بقوله : « البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم » .

التركاش :

لفظ فارسى الأصل ومعناه الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب .

التشاريف :

ملابس خاصة ينعم بها السلطان ، وهى على طبقات أعلاها ما هو مختص بالأمراء المقدمين من النواب وغيرهم .

التكفور :

لفظ أرمنى معناه المتوج ، وقد أطلقه الأرمن على ملوكهم .

التوقيع :

جاءت التسمية من التوقيع على حواشى القصص وظهورها كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإنشاء أو كتاب الدست أو من جرى مجراهم بما يعتمد فى القضية التى رفعت القصة بسببها .

الجاشنكير :

هو الذى يتحدث فى أمر السماط مع الأستادار ويتذوق الشراب قبل السلطان فى الولائم والأسمطة خوفا من أن يدس فيه سم أو نحوه وهى كلمة فارسية مركبة من لفظين .

الجاندارية :

فئة من مماليك السلطان أو الأمير ، ووظيفته أن يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان .

جرائد الجند :

الجريدة الفرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها .

الجمدار :

موظف يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ملابسه .

الجوكان :

هو المحجن الذى تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان أيضا ، واللفظ فارسى .

الجوكندار :

لقب يطلق على الذى يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة .

الخاصكية :

هم الذين يلازمون السلطان فى خلواته ، ويسوقون المحمل الشريف .

الخركاة :

الجمع خركاوات . وهى كالبيت تصنع من الخشب على هيئة مخصوصة تغشى بالجوخ ونحوه وتحمل فى السفر لتكون فى الخيمة لتقى العسكر من البرد .

خشداش :

الخشداشية هم الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد ، فبنت بينهم رابطة الزمالة القديمة .

الدبوس :

آلة حربية ، وفى محيط المحيط « الدبوس هراوة مدملكة الرأس فى طرفها كتلة صغيرة » .

الدربند :

تجمع دربندات ، لفظ فارسى ومن معانيه المضايق والطرقات والمعابر الضيقة .

الدوادار :

اسم فارسى مركب من لفظين ، أحدهما عربى ومعناه الدواة ، والثانى دا ومعناه ممسك . وصاحب وظيفة الدوادارية هو الذى يحمل دواة السلطان أو الأمير ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات نحو تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد .

الركابية :

وهم الذين يحملون السلاح حول

الخليفة أو السلطان عند ركوبه فى المواكب ولهم زى خاص بهم .

الريدا فرنس :

لقب ملك فرنسا ، ولفظه : ريد تعريب للكلمة الفرنسية Roi بمعنى ملك .

الريدارغون :

لقب يلقب به الملوك من غير المسلمين ، وخاصة ملوك بلاد أرغون وهى البلاد الرومية . وقد ورد فى ألقاب صاحب القسطنطينية .

الزردخاناه :

دار السلاح ، وهى كلمة فارسية مركبة وتعنى أيضا السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب .

السلاح دار :

هو المنوط بحمل سلاح السلطان أو الأمير الذى هو فى خدمته . ومن وظيفته أيضا الإشراف على السلاح خاناه وما هو من توابع ذلك .

السماط :

معناه المائدة السلطانية ، أو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين .

السنجق :

لفظ تركى يطلق فى الأصل على الرمح ، والجمع سناجق ، وهى رايات صغار يحملها السنجقدار .

شاد الدواوين :

كانت مهمته مرافقة الوزير والتفتيش على مالية الدواوين وعلى موظفيها وعادته أمرة عشرة .

الشوانى :

جمع شينى أو شيئية وهى سفن حربية كبيرة وتجمع أيضا شون ويقابلها فى الفرنسية Galire ويظهر أن الشوانى كانت أكبر السفن الحربية فى مصر وأكثرها استعمالا .

الصاحب :

فى أصل اللغة اسم للصديق ، وهو من القلب الوزراء المدنيين اختصوا به دون العسكريين .

العلامة السلطانية :

هى ما يكتبه السلطان بخطه على صورة إصطلاحية ، وكان لكل سلطان علامة وتوقيع .

القصة :

هى الطلب أو الإلتماس و يرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصة دار .

القومص :

اسم ملك طرابلس من الإفرنج .

كاتب الجيش :

يعاون ناظر الجيش ، و يعاونه مجموعة من الكتاب .

كاتب الدرج :

هم الطبقة الثانية من موظفى ديوان الإنشاء وسموا كتاب الدرج لكتابتهم المناشير والتواقيع والتقاليد ونحو ذلك فى دروج الورق .

كاتب الدست :

هم الطبقة الأولى من موظفى ديوان الإنشاء وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان .

المراسيم السلطانية :

يكتبها مستوفى الصحبة و يعلم عليها السلطان وتصدر المراسيم السلطانية كذلك باعتماد الرسل .

مستوفى الصحبة :

يشارك الوزير ويوصى بإلزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها ،

المنجنيق :

جمعها منجينقات وهى من أسلحة الحصار وقد عرفها المماليك وتقدمت صناعتها على أيديهم .

المهتار :

لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت .

النائب :

من موظفى الديوان يقوم برفع الحسابات أو الكتابة عليها .

الوالى :

هو الذى يشرف على الولاية ، ويقابل فى أيامنا (المحافظ) وكان الوالى يعين بمرسوم من السلطان ، وكان عمل الولاة الأساسى هو القيام بأعمال الشرطة وحفظ النظام .

اليزك :

ويجمع أيزاك ومعناها الطلائع .

مطبعة دار الكتب ١٠٨٧٥ / ١٩٩٠ / ٣٣٠٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٤٥٧ / ١٩٩٠

الترقيم الدولى ISBN 977 - 01 - 2445 - 1